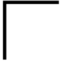
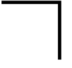
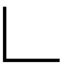
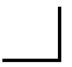
تعظيم الله جل جلاله
تأملاتٌ وقصائد

تأليف
أ.د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية
كلية التربية -جامعة الملك سعود

دار الوطن للنشر

المقدمة

الحمدُ للهِ الذي رفعَ السماءَ بقدرتِهِ وبسـطَ الأرضَ بمشيئتهِ ومهَّدَها للسُّـلَّاك، وسَـخَّرَ الفُلـكَ ومهَّدَ المُلْـكَ ودبَّر الأملاك.

الحيُّ القيـومُ الـذي لا تأخُـذُه سِـنَةٌ ولا نـومٌ، الـذي خلقَ الموتَ والحياةَ وقدَّر النجاةَ والهلاكَ.

الذي له الخلقُ والأمـرُ، وبيـدهِ الإطلاقُ والإمسـاكُ، الـذي أنشـأَ اللـوحَ والقلمَ، وعلَّمَ الإنسـانَ مـا لم يعلمْ ووهبَ له العقلَ الكاملَ والفهمَ والإدراكَ...

والصـلاةُ والسـلامُ على البشـيرِ النـذير والسـراج المنيرِ، أعظمِ الخلقِ خشيةً لربّهِ وتعظيمًا له، وتمجيـدًا لجلالِـهِ، وعبـادةً وذكـرًا وشـكرًا ومحبـةً وخوفًـا ورجـاءً ورغبًا ورهبًا.

واللـهُ سـبحانه وتعـالى هـو أهـلُ الثنـاءِ والمجـدِ، وصاحبُ الجبروتِ والملكوتِ والكبرياءِ والعظمةِ...

هو عالِمُ السـرِّ وأخفى، قيـومُ السـمواتِ والأرضِ، عالمُ الأسرارِ، مقيلُ العثار، مدبرُ الليلِ والنهارِ.

﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

هو الأولُ فليس قبلَهُ شيءٌ، وهو الآخرُ فليس بعدَهُ شيءٌ وهـو الظـاهرُ فليسَ فوقَـهُ شـيءٌ، وهـو البـاطنُ فليسَ دونَهُ شيءٌ...

هــو خــيرُ المســؤولين، وأكــرمُ المعطين، ورازقُ الناسَ أجمعين.

يعلمُ حوائجَ السائلين، وضمائرَ الصـامتين، وأسـرارَ صدورِ العالمين.

لا يـزدادُ على كـثرةِ السـؤالِ إلا جـودًا وكرمًـا، ولا على كثرةِ الحوائجِ إلا تفضلًا وإحسانًا.

هو العليُّ الكبـيرُ، الـوليُّ الحميـدُ، العزيـزُ المجيـدُ، المبدئُ المعيدُ، الفعالُ لما يريدُ، الحيُّ القيـومُ، القـويُّ المتينُ، العظيمُ الجليلُ، له الخلقُ والأمرُ، وبيـدهِ النفـعُ والضرُّ، وله الحكمُ والتقديرُ، والملكُ والتدبيرُ، ليسَ لـهُ في صفاتِهِ شبيهٌ ولا نظيرٌ، ولا له في آلهيتهِ شـريكٌ ولا ظهيرٌ، ولا له في سلطانهِ وليٌّ ولا نصيرٌ.

سـبحانه من مليـكٍ مـا أمنَعَـه، وجـوادٍ مـا أوسـعَهُ، ورفيـعٍ مـا أرفَعَـه، لا رادَّ لمشـيئته، ولا مبـدِّل لكلماتـهِ، قولهُ حُكْمٌ، وقضـاؤه حَتْمٌ، وأمْـرُه رشـدٌ، بـاهِرُ الآيـاتِ، فـاطرُ السـمواتِ، بـارئُ السـماتِ، مجيبُ الـدعواتِ،

مغيثُ اللهفاتِ، مقيـلُ العـثراتِ. أكـبرُ من كـلّ شـيءٍ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ، وأعزُّ من كلِّ شيءٍ، وأقــدرُ من كل شيءٍ، وأعلمُ من كلِّ شيءٍ، وأحكمُ من كلِّ شيءٍ.

قالَ ابنُ القيِّمِ في صفةِ عظمةِ اللهِ ـ عز وجل ـ :

«يدبِّرُ أمرَ الممالكِ، ويأمرُ وينهى، ويخلـقُ ويـرزقُ، ويميتُ ويُحْـيي، ويقضــي وينفِّذُ، ويُعِــزُّ ويُــذِلُّ، ويقلِّبُ الليلَ والنهارَ، ويُدَاوِلُ الأيامَ بينَ الناسِ، ويُقَلِّبُ الـدُّوَلَ، فيذهبُ بدولةٍ، ويأتي بأخرى.

والرسلُ من الملائكـةِ عليهم الصـلاةُ والسـلامُ بين صــاعدٍ إليــه بــالأمرِ، ونــازلٍ من عنــدِهِ بــه، وأوامــرُه ومراسيمُهُ متعاقبةٌ على تعاقبِ الأوقاتِ، نافذةٌ بحسبِ إرادتهِ ومشيئتهِ، فمـا شـاءَ كـانَ كمـا شـاءَ في الـوقتِ الذي يشاءُ على الوجهِ الذي يشـاءُ، من غـيرِ زيـادةٍ ولا نقصانٍ، ولا تَقَدُّمٍ ولا تـأخُّرٍ، وأمـرُهُ وسـلطانُهُ نافِـذٌ في السـمواتِ والأرضِ وأقطارِهـا، وفي الأرضِ ومـا عليهـا وما تحتها، وفي البحارِ والجوِّ، وفي سائرِ أجزاءِ العـالمِ وذرَّاتِهِ، يُقَلِّبها ويُصَرِّفها، ويُحـدِثُ فيهـا مـا يشـاءُ، وقـد أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا، وأحصى كلَّ شيءٍ عددًا، ووسعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وحكمـةً، ووسـعَ سَـمْعُهُ الأصـوات، فلا تختلـفُ عليـه ولا تشـتبهُ عليـه، بـل يسـمعُ ضـجيجَها

باختلافِ لغاتِها على تَفَنُّنِ حاجاتِها، فلا يَشغَلُهُ سمعٌ عن سـمعٍ، ولا تُغلِطُـه كـثرةُ المسـائلِ، ولا يتبَـرَّمُ بإلحـاحِ المُلِحِّين ذوي الحاجات.

وأحاط بصرُه بجميعِ المرئياتِ، فـيرى دبيبَ النملـةِ السـوداءِ على الصـخرةِ الصَّـمَّاءِ في الليلـةِ الظلمـاءِ، فالغيبُ عنده شهادةٌ، والسرُّ عنـده علانيـةٌ، يعلمُ السـرَّ وأخفى من السرِّ؛ فالسرُّ ما انطوى عليه ضمير العبـدِ، وخطرَ بقلبِهِ، ولم تتحركْ به شفتاه، وأخفى منه: ما لم يخطرْ بقلبِهِ بَعْدُ، فيَعلَمُ أنه سيخطرُ بقلبِهِ كذا وكذا في وقتِ كذا وكذا.

وله الخلقُ والأمرُ، وله الملكُ وله الحمدُ، وله الدنيا والآخرةُ، وله النعمةُ، وله الفضلُ، ولـه الثنـاءُ الحسـنُ، وله الملكُ كلُّه، وله الحمد كلُّهُ، وبيدهِ الخيرُ كلُّهُ، وإليـه يرجعُ الأمـرُ كلُّهُ، شـملت قدرتُـهُ كـلَّ شـيءٍ، ووسـعتْ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ، ووسَعَت نعمتُهُ إلى كلِّ حيّ.

﴿**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُـلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ [الرحمن:29]: يغفرُ ذنبًـا، ويفـرِّجُ همًّا، ويكشفُ كربًا، ويجبرُ كسيرًا، ويُغني فقـيرًا، ويُعَلِّمُ جاهلًا، ويهدي ضالًّا، ويُرشِدُ حيرانًا، ويغيث لَهْفَانًا، ويَفُكُّ عانيًا، ويُشـبع جائِعًـا، ويَكْسُـو عاريًـا، ويشـفي مريضًـا،

ويُعـافي مبتلى، ويقبـل تائبًـا، ويجـزي محسـنًا، وينصـرُ مظلومًا، ويقصـمُ جبَّارًا، ويقيـل عـثرَةً، ويسـترُ عـورةً، ويُؤَمِّن روعةً، ويرفعُ أقوامًا، ويضع آخرين.

لا ينــامُ، ولا ينبغي لــه أن ينــامَ، يخفضُ القســطَ ويرفعُهُ، يُرفَع إليه عملُ الليلِ قبلَ عملِ النهارِ، وعمــلُ النهار قبلَ عملِ الليلِ، حجابُه النورُ، لو كشفَهُ لأحرقتْ سُبُحات وجههِ ما انتهى إليه بصرُه من خلقه.

يمينُه مَلأى، لا تَغِيضُها نفقة، سـحَّاءُ الليـلَ والنهـارَ، أرأيتم ما أنفقَ منذ خلقَ الخلـقَ، فإنـه لم يَغِضْ مـا في يمينهِ.

قلوبُ العبادِ ونواصيهم بيدهِ، وأزمَّةُ الأمورِ معقودةٌ بقضـائهِ وقـدرِهِ، الأرضُ جميعًـا قبضـتُهُ يـومَ القيامـةِ، والسمواتُ مطوياتٌ بيمينهِ، يقبضُ سمواتِهِ كلِّهـا بيـدِهِ، والأرضَ باليدِ الأخرى، ثم يَهُزُّهنَّ، ثم يقولُ: أنـا الملـكُ، أنا الملـكُ، أنـا الـذي بـدأت الـدنيا ولم تكنْ شـيئًا، وأنـا الذي أعيدُها كما بَدَأتُها.

لا يتعاظمـه ذنبٌ أن يغفـرَهُ، ولا حاجـةٌ يُسـأَلُها أن يعطيَها.

لـو أن أهـلَ سـمواتِهِ، وأهـلَ أرضِـهِ، وأولَ خلقِـهِ

وآخرَهم، وإنسَـهم وجنَّهم، كـانوا على أتقى قلبِ رجـلٍ منهم، ما زاد ذلـك في ملكـهِ شـيئًا، ولـو أنَّ أولَ خلقـهِ وآخرَهم، وإنسَّهم وجِنَّهم، كـانوا على أفجـرِ قلبِ رجـلٍ منهم، مـا نقصَ ذلــك من ملكــهِ شــيئًا، ولــو أن أهــلَ سمواتِهِ، وأهل أرضِهِ، وإنسَـهم وجِنَّهم، وحيَّهُم وميِّتهم، كـانوا على أفجـر قلبِ رجـلٍ منهم، مـا نقص ذلـك من ملكهِ شيئًا، ولو أن أهلَ سمواته، وأهلَ أرضه، وإنسَـهم وجنَّهم، وحيَّهُم وميِّتهم، ورطَبهم ويابِسـهم، قـاموا في صـعيدٍ واحـدٍ، فسـألوه فـأعطى كلًّا منهم مسـألتَهُ، مـا نقصَ ذلك مما عندَهُ مثقالَ ذرةٍ.

ولو أنَّ أشجارَ الأرضِ كلَّهـا ــ من حين وُجـدتْ إلى أن تنقضـيَ الـدنيا ــ أقلامٌ، والبحـرُ وارءه سـبعةُ أبحـرٍ تمدُّه من بعده مِدادٌ، فكُتِبَ بتلك الأقلامِ، وذلك المدادِ، لفنيت الأقلامُ ونفـدَ المـدادُ، ولم تنفـدْ كلمـاتُ الخـالقِ تباركَ وتعالى.

وكيفَ تَفْنَى كلماتُه جَلَّ جلالُهُ وهي لا بدايةَ لهـا ولا نهاية؟! والمخلوقُ له بدايـةٌ ونهايـةٌ، فهـو أحـقُّ بالفنـاءِ والنَّفادِ، وكيف يُفنِي المخلوقُ غيرَ المخلوق؟!

هو الأولُ الذي ليسَ قبلهُ شيءٌ، والآخرُ الذي ليسَ بعده شيءٌ، والظاهرُ الذي ليس فوقه شيءٌ، والبـاطنُ

الذي ليس دونه شيءٌ.

تبـارَكَ وتعـالى، أحـقُّ من ذُكِـر، وأحـقُّ من عُبـد، وأحـقُّ من حُمِـد، وأولى من شُـكِر، وأنصَـرُ من ابتُغِي، وأرأفُ من مَلَـك، وأجـودُ من سُـئِل، وأعفَى من قَـدِر، وأكرم من قُصِد، وأعدل من انتَقَم.

حكمُه بعد علمهِ، وعفـوهُ بعـد قدرتـهِ، ومغفرتُـه عن عِزَّتـهِ، ومَنْعُـه عن حكمتهِ، وموالاتُه عن إحسانهِ ورحمتهِ.

ما لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ واجبٌ **كَلَّا ولا سَعْيٌ لَدَيْهِ ضَائِعُ**

إن عُذِّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أو نُعِّمُوا **فَبِفَضْلِهِ، وهو الكريمُ الواسِعُ**

هو الملـكُ الـذي لا شـريكَ لـه، والفـردُ فلا نـدَّ لـه، والغنيُّ فلا ظهيرَ له، والصمدُ فلا ولدَ له، ولا صاحبةَ له، والعليُّ فلا شبيهَ له، ولا سَمِيَّ له، كـلُّ شـيءٍ هالـكٌ إلا وجهَهُ، وكلُّ مُلكٍ زائـلٌ إلا ملكـهُ، وكـلُّ ظـلٍّ قَـالِصٌ إلا ظِلُّهُ، وكلُّ فضلٍ منقطعٌ إلا فضله.

لن يُطاعَ إلا بفضلهِ ورحمتهِ، ولن يُعصى إلا بعلمـهِ وحكمتهِ، يُطاعُ فيَشـكرُ، ويُعصَى فيتجـاوزُ ويَغْفِـرُ، كـلُّ نقمةٍ منه عدلٌ، وكلُّ نعمـةٍ منـه فضـلٌ، أقـربُ شـهيدٍ،

وأدنى حفيـظٍ، حــالَ دون النفــوسِ، وأخــذَ بالنواصــي، ونسَخَ الآثار، وكتبَ الآجالَ، فالقلوبُ له مُفْضِيَةٌ، والسرُّ عنــده علانيــةٌ، والغيبُ عنــدَهُ شــهادةٌ، عطــاؤه كلامٌ، وعذابهُ كلامٌ، ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئاً أَنْ يَقُـولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ** ﴾ [يس:82]»[1].

أما بعد:

فإنَّ هذا الكتابَ يهدفُ إلى ترسيخِ أعظمِ قيمةٍ في حيــاةِ المســلمِ وهي العبوديــةُ للــهِ عزوجل: ﴿**وَمَـا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾.

والعبوديــةُ هي: الــذلُّ والخضــوعُ والانقيــادُ للــهِ عزوجل والافتقـارُ التـامُّ إليـه سـبحانهُ، وتحقيـقُ أنـه لا معبــودَ بحــقّ إلا اللــهُ، وهــذا لا يكــونُ إلا بتعظيمِ اللــهِ عزوجل المتضمنِ للخوفِ والرجاءِ والمحبـةِ لـه تعـالى وقــد ذمَّ اللــهُ لأ من لا يعظمُــهُ فقــال: ﴿**مَـا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾.

وقال: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾.

فشــأنُ اللــهِ أعظمُ من كــلِّ شــيءٍ، وعظمــةُ الله عزوجل فوقَ كلِّ تصدرٍ وتقديرٍ.

---

1 (?) انظر: الوابل الصيب؛ لابن القيم (ص:15، وما بعدها).

وقد جعلتُ هذا الكتـابَ ــ تعظيمُ اللـهِ ــ الأولَ في مكتبـةِ اسـعد مجتمعـك ليترسـخَ في النـاسِ أنَّ تعظيمَ اللهِ عزوجل هو أعظمُ وسيلةٍ توصلُ إلى سعادةِ الفردِ والأسـرةِ والمجتمـعِ بـل إلى سـعادةِ البشـريةِ كلِّهـا خصوصًـا في زمنِ العولمـةِ وحيث صـار العـالمُ قريـةً واحدةً ضعفَ منه أثر الوسائلِ الخارجيةِ لحمايةِ ووقايةِ المجتمـعِ من منـعٍ ومراقبـةٍ فصـار لزامًـا الاهتمـامُ والتركـيزُ التـامُّ على تقويـةِ تعظيمِ اللـهِ في النفسِ بتقويةِ الوازعِ الدينيِّ ومراقبةِ اللهِ في السرِّ والعلنِ.

إنَّ المعظمَ للـهِ عزوجل متـوازنٌ من جميـعِ الجوانبِ يحملُ همَّ الآخرةِ ولا ينسى نصـيبهُ من الـدنيا، معظِّمٌ لأمرِ اللهِ ونهيه في كـلِّ زمـانٍ ومكـانٍ، محقـقٌ لتوحيدِ اللهِ على أكملِ وجهٍ سـالمٌ من الشـركِ بجميـعِ صورِهِ، مؤدٍ واجباتِهِ الدينيةِ على أكملِ وجهٍ، من صـلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وغيرِها من الفرائضِ والواجباتِ.

وهـو كـذلك من أعظمِ النـاسِ تأديـةً للحقـوقِ وأعظمِهـا: حـقُّ الوالـدين، والأبنـاءِ والزوجـةِ والأرحـامِ والجيرانِ والأصدقاءِ والأطفالِ والفقيرِ وغيرِهم.

وكذلك فإنه يجتنبُ المحرماتِ التي نهى اللهُ عنهـا من مسـكراتٍ ومخـدراتٍ وانحرافـاتٍ جنسـيةٍ،

واعتداءاتٍ على الأنفسِ والأمـوالِ بالسـرقةِ والرشـوةِ وغيرِها.

والمعظمُ لله عزوجــل مجتنبٌ لهــذه المحرمــاتِ عبوديةً للـهِ عزوجل خوفًـا ورجـاءً ومحبـة للـهِ، ولـذلك فإنه يجتنبُ المحرَّماتِ في سائرِ الأماكنِ داخــل وطنــه وخارجه، إذا رآه الناسُ وإذا لم يَرَوْه، لأنه لا يــراقبُ إلا اللــهَ عزوجل، فسـلِمَ بـذلك من التنـاقضِ والازدواجيـةِ التي سيطرتْ على كثير من الناسِ.

وكـذلك فـإنَّ المعظمَ للـهِ عزوجل لا يقتصـرُ على تركِ المحرماتِ الظاهرةِ فقط، بـل يهتمُّ بتطهـيرِ قلبِـهِ من المحرماتِ الباطنةِ كالكبر والغلِّ والحسدِ والبغضاءِ والرياءِ والسمعةِ والغرورِ وغيرِ ذلك.

وكـذلك فإنـه يهتمُّ بتحليـةِ قلبـهِ بـالقيمِ والعبـاداتِ القلبيـةِ كالصـدقِ والإخلاصِ والمحبـةِ والصـبرِ والتوكـلِ والإنابةِ وغيرِها.

والمعظمُ للــهِ عزوجل همُّه إقامــةُ العبوديــةِ للــهِ تعالى في نفسِهِ أولًا، وإسعادُ الآخرين بدخولِهم فيها،.

والمعظمُ للهِ عزوجل معظمٌ لجنابِ النبيِّ مدافعٌ عنه محبٌّ له، يشرفُ بالتأسي به والانضواءِ تحت لوائِهِ

ولذلك فإنه يقتدي به في كلِّ الأمورِ، ويدعو إلى سنتهِ، ويبينُ فضائِلَهُ ومحاسِنَهُ وكمالَ أخلاقهِ وآدابِهِ ، وهو لا يُقَـدِّمُ على الكتـابِ والسـنةِ شـيئًا من الآراءِ والأهـواءِ والأقوالِ والعاداتِ.

كمـــا أنـــه ملـــتزمٌ بمنهجِ الوســـطيةِ في عباداتِـــهِ وتعاملاتِـهِ كلِّهـا سـالمٌ من التطـرفِ والغلـوِّ والإرهـابِ والبدعِ والضلالات.

والمعظمُ للهِ هو الساعي الحقيقيُّ لإعمار الــوطنِ وتنميتِـهِ عبـادةً للـهِ في سـائرِ المجـالاتِ الاقتصـاديةِ والإداريةِ والاجتماعيةِ والسياسـيةِ والصـحيةِ والتعليميـةِ والأمنيـةِ وفـقَ الكتـابِ والسـنةِ، حيث يجعـلُ من هـذه الحياةِ مزرعةً للآخرةِ وممرًّا إليها.

ولذلك فإنه من أكثر الناسِ إتقانًـا لعملِـهِ وإحسـانًا له. كما أنه لا يبخلُ بالخيرِ على الناسِ، بل يدلُّ النــاسَ على كلِّ خيرٍ طلبًا لمرضاتِ اللهِ، ويغلقُ كـلَّ بـابٍ من أبوابِ الضررِ والفسادِ والإيذاءِ وذلـك؛ لأنـه من أصـدقِ الناسِ نصحًا لمجتمعه ووطنه.

المعظمُ للهِ يتفاعلُ مع مجتمعِهِ بـأمرِهِ بـالمعروفِ ونهيهِ عن المنكرِ واصـلٌ لرحمِـهِ، راعٍ لجـارِهِ، مسـاعدٌ

للمحتـاجِ، زائـرٌ للمـريضِ، مصـلحٌ بين المتخاصـمين، مشاركٌ في أفراحِ مجتمعِهِ.

والمعظمُ للـهِ يعمـلُ بشـموليةِ الإسـلامِ الواسـعةِ، ويرسخُ مبادِئَهُ في كلِّ الأمورِ، ويدخلُ في السِّلم كافة، ولا يختزلُ الدينَ في قضايا يحددُها لنفسِـهِ، أو يحـدُدها له غيرُهُ، وإنمـا يعظمُ مـا عظمَـهُ اللـهُ ورسـولُهُ، لا مـا عظمتْهُ الأهواءُ والعـاداتُ والتقاليـدُ والمجتمـعُ والبيئـةُ، وما تفرضُهُ العولمةُ في واقعِنا المعاصرِ. وهو من خلال ذلـك يقـدمُ مصـلحةَ الأمـةِ والمجتمـعِ على مصـالِحِهِ الشخصيةِ الفرديةِ المحدودةِ.

إنَّ ترسيخَ قيمـةِ تعظيمِ اللـهِ عزوجل يعـالجُ كثـيرًا من مشـاكلِ المجتمـعِ الأمنيـةِ والاقتصـاديةِ والإداريـةِ بأيسرِ السبلِ وأقلِّ التكاليفِ والأعباءِ على الدولةِ.

وكذلك فإنَّ ترسيخَ قيمةِ تعظيمِ اللـهِ في النفـوسِ تعالجُ كثيرًا من المشكلاتِ الاجتماعيةِ كعقوقِ الوالـدينِ وقطيعةِ الرحمِ وظلمِ المرأةِ والعنفِ الأسـريِّ وانتهـاكِ الأعراضِ وغير ذلك من الاعتداءِ على الأنفسِ والأموالِ الخاصـةِ والعامـةِ وغـيرِ ذلـك من المشـكلاتِ، حيث لا توجدُ مشكلةٌ إلا ومن أعظمِ أسبابِها ضعفُ تعظيمِ اللهِ عزوجل في النفـوسِ، وقـد رأينـا أنَّ هـذه القيمـةَ لمـا

ترسَّـختْ في نفـوسِ الجيـلِ الأولِ في عصـرِ النبـوةِ وعصرِ الخلافةِ الراشدةِ ومنْ بعدَهم أنتجتْ أمةً ضربتْ أروعَ الأمثلـةِ في الطهـارةِ والاسـتقامةِ والأمانـةِ وأداءِ الواجباتِ والابتعادِ عن المحرماتِ والوصولِ إلى أعظمِ مظاهرِ المدنيةِ والحضارةِ.

وهذا الكتـابُ هـو تـأملاتٌ في تعظيمِ اللـهِ عزوجل من خلالِ تدبرِ الآيـاتِ القرآنيـةِ والأحـاديثِ النبويـةِ في اللهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ، ومـا سـطَّرَهُ العلمـاءُ الربـانيون في بيانِ عظمةِ اللهِ وغناه المطلقِ.

وكذلك ما كتبَهُ الشعراءُ في قصائدَ في تعظيمِ اللهِ عزوجل، وقـد جمعتُ مـا تيسَّـرَ منهـا في هـذا الكتـابِ وهذا العملُ هو جزء من مشروع أسعد مجتمعك.

ويحدوني الأملُ أن نشـتركَ جميعًـا دعـاةٌ وخطبـاءُ ومفكرون وكتابٌ وإعلاميون ورجالُ أعمالٍ في ترسـيخِ قيمـةِ تعظيمِ اللـهِ بكـلِّ الوسـائلِ المتاحـةِ المقـروءةِ والمسموعةِ والمرئيةِ ومثلِ ذلك أن نطبِقَهـا في سـائرِ مجالاتِ حياتِنا ليقتدوا بنا.

أسألُ اللهَ أنْ يباركَ في الجهودِ وأنْ يسعدَ الجميعَ دنيا وآخرة.

د. أحمد بن عثمان المزيد
أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك
كلية التربية -جامعة الملك سعود
aalmazyad@ksu.edu.sa

عبادةُ التعظيمِ

إن تعظيمَ اللهِ عزوجـل من أعظمِ العبـاداتِ الـتي غفلَ عنها كثيرٌ من الناسِ، فسـاءتْ أحـوالُهم، وانقلبتْ مـوازينُهم، وتلاعبتْ بهم الشـياطينُ والأهـواءُ والأنفسُ الأمارةُ بالسوءِ.

فالتوحيـدُ الـذي هـو رأسُ الأمـرِ هـو الأصـلُ في تعظيمِ اللهِ عزوجل فاللـهُ عزوجل أعظمُ من أن يُعْبَـدَ معَـهُ غـيرُه قـال تعـالى في الحـديثِ القُدْسِـيِّ: «**أنـا أغـنى الشـركاءِ عن الشِّـركِ، من عمـلَ عملًا أشركَ فيه معي غَيْرِي تركتُه وشِرْكَهُ**» [مسلم].

ولمَّا عبدَ قومُ نوحٍ الأصـنامَ أنكـرَ عليهم نـوحٌ عليـه السلام وقال لهم: ﴿**مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نوح:13]. قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ: أي ما لكم لا ترجونَ للهِ عظمةً، وقال سـعيدٌ بنُ جبـيرٍ: مـا لكم لا تُعَظِّمُـونَ اللـهَ حـقَّ عظمتِـه، وقـال الكلـبيُّ: لا تخـافونَ للـهِ عظمةً[1].

وهدهدُ سليمانَ عليه السلام لمّا كـان معظمًـا للـهِ عزوجل استنكرَ أن يعبـدَ قـومٌ الشـمسَ من دونِ اللـه

---

[1] (?) مدارج السالكين (2/495).

تعـالى: ﴿**إِنّي وَجَـدتّ امْـرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلّ شَيْءٍ وَلَهَـا عَـرْشٌ عَظِيمٌ * وَجَـدتّهَا وَقَوْمَهَـا يَسْـجُدُونَ لِلشّـمْسِ مِن دُونِ اللّـهِ وَزَيّنَ لَهُمُ الشّيْطَانُ أَعْمَـالَهُمْ فَصَـدّهُمْ عَنِ السّـبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَـدُونَ * أَلاّ يَسْـجُدُواْ للّـهِ الّـذِي يُخْـرِجُ الْخَبْءَ فِي السّـمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَـا تُعْلِنُـونَ * اللّـهُ لاَ إِلَـهَ إِلاّ هُوَ رَبّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ [النمل:23-26].

حتى الجماداتِ فإنها تستبشعُ افـتراءَ الكـذبِ على اللهِ وادعاءَ أن له ولدًا تعظيمًا للـه عزوجل وإجلالًا لـه: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً *لَقَدْ جِئْتُمْ شَـيْئاً إِدّاً *تَكَـادُ السَّـمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْـهُ وَتَنشَـقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْا لِلـرَّحْمَنِ وَلَـداً * وَمَـا يَنبَغِي لِلـرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِـذَ وَلَداً**﴾ [مريم:88-92].

قال الضحاكُ بنُ مزاحمٍ في قولِـه تعـالى: ﴿**تَكَـادُ السَّـــمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْـــهُ**﴾ أي: يَتَشَـــقَّقْنَ من عظمةِ اللهِ عزوجل[1].

---

1 (?) الدر المنثور (5/544).

فعظمـةُ اللـهِ تعـالى متقـرِّرَةٌ لـدى هـذه الأجـرامِ العظيمـةِ، ولـذلك فإنهـا لا تطيـقُ هـولَ تلـك الكلمـةِ الشنيعةِ وهي نسبةُ الولـدِ إلى اللـهِ تعـالى، ولـولا حلمُ اللهِ تعالى لخرَّ العالمُ وتبـددْت قوائِمُـه غضـبًا على من تفوَّه بها.

قـال محمـدُ بنُ كعبٍ: كـادَ أعـداءُ اللـهِ أن يُقيمـوا علينا الساعةَ.

وقدْ ذكرَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه اللـه علاقـةَ التعظيمِ بالوحدانيةِ فقالَ: «فمن اعتقـدَ الوحدانيـةَ في الألوهيةِ للهِ سبحانه وتعالى والرسالةَ لعبـدِه ورسـولِه، ثم لم يُتْبِعْ هـذا الاعتقـادَ موجَبَـهُ من الإجلالِ والإكـرامِ، الذي هو حالٌ في القلبِ يظهرُ أثرُه على الجوارحِ، بـل قارنَه الاستخفافُ والتسفيهُ والازدراءُ بالقولِ أو بالفعلِ كـانَ وجـودُ ذلـك الاعتقـادِ كعدمِـهِ، وكـانَ ذلـك موجِبًـا لفسـادِ ذلـك الاعتقـادِ ومـزيلًا لمـا فيـه من المنفعـةِ والصـلاحِ، إذ الاعتقـاداتُ الإيمانيـةُ تُـزكِّي النفـوسَ وتصـلِحُها، فمـتى لم تـوجبْ زكـاةَ النفسِ ولا صـلاحَها، فما ذاك إلا لأنها لم ترسَخْ في القلبِ»[1].

[1] (?) الصارم المسلول (1/375).

ومن دلائـلِ تعظيمِ اللـهِ عزوجل عبوديـةُ الكائنـاتِ لله تعالى وسجودُها لعظمتِه سبحانه كما قال تعالى: **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَـهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَـالُ وَالشَّـجَرُ وَالـدَّوَابُّ وَكَثِـيرٌ مِنَ النَّاسِ** [الحج:18].

وتعظيمُ اللـهِ جـل وعلا هـو الـذي يعطي العبـادةَ روحَها وجلالَها، وهو الذي يجعلُها عبادةً مقبولـةً خالصـةً صحيحةً تامَّةَ الشـروطِ والأركـانِ، أمَّا عبـادةٌ بلا تعظيمٍ فإنها كالجسدِ بلا روحٍ ولذلك قال ابنُ القيمِ رحمه الله: «وروحُ العبادةِ هو الإجلالُ والمحبةُ، فإذا تخلَّى أحـدُهما عن الآخـرِ فسـدَتْ، فـإذا اقـترنَ بهـذين الثنـاءُ على المحبوبِ المعظَّمِ فذلك حقيقةُ الحمدِ»[1].

والنبيُّ لما سألَهُ جبريلُ عن الإحسانِ قـال: «**أن تعبدَ اللـهَ كأنَّك تـراهُ، فـإن لم تكن تـراهُ فإنـه يـراك**»[2]، وهـذه المراقبـةُ في العبـادةِ هي طريـقُ التعظيمِ والإجلالِ للهِ تعالى قـال ابنُ رجبٍ: «فقولُـه في تفسيرِ الإحسـانِ: «**أن تعبدَ اللـهَ كأنـك تـراهُ**»

---

1 (?) مدارج السالكين (2/495).

2 (?) أخرجه البخاري (48)، ومسلم (9).

إلخ، يشـيرُ إلى أنَّ العبـدَ يعبـدُ اللـهَ على هـذه الصـفةِ، وهي استحضارُ قربِهِ، وأنـه بين يديْـهِ كأنَّه يـراه، وذلـك يوجبُ الخشيةَ والخوفَ والهيبةَ والتعظيمَ»[1].

* * *

1 (?) جامع العلوم والحكم (1/126).

تعظيم الله في أمهات العبادة

والنــبيُّ أرشــدَ إلى تعظيمِ اللــهِ لأ في أمَّهــاتِ العبادةِ **فالصـلاةُ وهي أعظمُ الشـعائرِ التعبديـةِ بعد الشهادتينِ كلُّهـا قائمـةٌ على التعظيمِ للـهِ** عز وجـل ، وكـان يسـتفتحُ الصـلاةَ بعبـاراتِ التعظيمِ والتمجيــدِ والإجلالِ للــهِ عــز وجل. ففي الســننِ عن عائشةَ وأبي سعيدٍ أن النبيَّ كانَ إذا اسـتفتحَ الصـلاةَ قال: «**سبحانك اللهمَّ وبحمدِك وتبـارَكَ اسـمُكَ، وتعالى جدُّك ولا إله غيرُك**»[1].

وفي صحيح مسلمٍ عن عليٍّ بنِ أبي طـالبٍ رضـي الله عنه قالَ: كان رسـولُ اللـهِ إذا قـامَ إلى الصـلاةِ قــال: «**وجَّهْتُ وجهِيَ للــذي فطــرَ الســمواتِ والأرضَ حنيفًــا ومــا أنــا من المشــركينَ إنَّ صَــلاتي ونسُــكي ومحيــايَ وممــاتي للــهِ ربِّ العالمينَ، لا شريكَ لـه وبـذلكَ أمـرتُ وأنـا من المسـلمينَ، اللَّهُمَّ أنت الملِـكُ لا إلــه إلَّا أنت، أنت ربي وأنا عبدُك، ظلمتُ نفسي، واعترفتُ بـذنبي فـاغفِرْ لي ذنـوبِي جميعًـا إنَّه لا يغفـرُ**

---

1 (?) أخرجه الترمذي (225)، والنسائي (889).

الـذنوبَ إلَّا أنتَ، واهـدني لأحسـنِ الأخلاقِ لا يهدي لأحسَنِهَا إلَّا أنتَ، واصرِفْ عني سيئَهَا لا يصرفُ عـني سـيِّئَهَا إلا أنتَ، لبيـك وسـعدَيْك، والخيرُ كلُّه في يـديْك، والشـرُّ ليس إليـك، أنـا بك وإليك تباركْتَ وتعالَيْتَ، أسـتغفِرُك وأتـوبُ إليك»[1].

وفي الصحيحين عن ابن عبـاس رضـي اللـه عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصـلاة في جـوف الليل قال: «**اللهم لك الحمد أنت نور السـموات والأرضِ ومَن فيهن ولـكَ الحمـدُ، أنت قَيَّامُ السـمواتِ والأرضِ ومَنْ فيهن، ولـكَ الحمـدُ، أنت ربُّ السـموات والأرض ومن فيهن، أنت الحقُّ، ووَعدُك الحـقُّ، وقولُـك الحـقُّ، ولقـاؤُك حَقٌّ، والجنةُ حَـقٌّ، والنـارُ حَـقٌّ، والنـبيون حَـقٌّ، ومحمـد ﷺ حَـقٌّ، والسَّـاعة حَـقٌّ، اللَّهُمَّ لَـكَ أسْـلمتُ، وبـك آمنتُ، وعليـكَ تـوكلتُ، وإليـكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ، وإليكَ حاكمتُ، فاغفر لي ما قدَّمتُ وما أخرّتُ، وما أسررتُ ومـا أعلنتُ،**

---

1 (**?**) رواه مسلم (1290)، والترمذي (3344).

أنت إلهي لا إله إلَّا أنت»[1].

فهو أعظمُ الناسِ تعظيمًا لربِّه تعالى، وأحسـنُهم ثناءً عليه وافتقـارًا إليـه ورغبـةً في فضْـلِه ورهبـةً من عذابِه. وفاتحـةُ الكتـابِ كـذلكَ من أعظمِ مـا عُظِّمَ بـه اللهُ تبارك وتعالى، ولذلكَ جـاءَ في الحـديثِ القُدْسِـيِّ: **«قسـمتُ الصـلاةَ بيـني وبين عبـدي نصفينِ، ولعبدي ما سأل، فإذا قـال العبـدُ: الْحَمْـدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قال الله تعـالى: حَمِـدني عبدي، وإذا قـال: الـرَّحْمنِ الـرَّحِيمِ قـال اللـه تعـالى: أثنَى عليَّ عبـدي، وإذا قـال: مَلِـكِ يَـوْمِ الـدِّينِ قـال: مَجَّدني عبـدي ـ وقال مرةً فَوَّضَ إليَّ عبـدي ـ فـإذا قـال: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ قال: هـذا بيـني وبينَ عبـدي ولعبـدِي مـا سـأل، فـإذا قـال: اهـدِنَا الصِّـرَاطَ المُسـتَقِيمَ صِـرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَـيرِ المَغضُـوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّـالِّينَ قـال: هـذا لعبـدِي ولعبـدِي مـا سألَ»**[2].

---

1 (?) رواه البخاري (1053)، ومسلم (1288).

2 (?) صحيح مسلم (ح598) كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحـة في كل ركعـة، وسـنن الترمـذي (2877)، وسـنن النسـائي (900)،

والركوعُ كـذلكَ من مواضِـعِ تعظيمِ اللـهِ جـل وعلا في الصلاةِ لقولِـه : «**أما الركـوعُ فعظِّمُـوا فيـه الربَّ**»[1]. وفي السننِ عن حذيفةَ رضي اللـه عنه أنـه سَـمِعَ رسـولَ اللـهِ يقـولُ إذا ركـعَ: «**سبحانَ ربي العظيمِ**» ثلاث مـراتٍ، وإذا سـجَدَ قـال: «**سـبحانَ ربي الأعلى**» ثلاثَ مراتٍ[2].

وهــذا يــدلُّ على أن التعظيمَ يكــونُ في الركــوعِ والسجودِ إلَّا أنَّه في الركوعِ يكونُ الثناءُ والتعظيمُ أكـثرُ أما السجودُ فيكونُ فيه التسبيحُ الذي هو تعظيمٌ للـهِ لأ ويكونُ فيـه الـدعاءُ والمسـألةُ قـال : «**أما الركـوعُ فعظِّمُوا فيه الربَّ وأما السجودُ فاجتهدُوا في الدعاءِ فَقَمِنٌ أنْ يُستجَابَ لكم**»[3].

وعن عائشة ل قالت: كان رسـولُ اللـه يُكثِـرُ أن يَقُولَ في ركوعِـه وسـجودِه: «**سبحانَكَ اللهمَّ ربَّنـا وبحمدِكَ اللهمَّ اغفِرْ لي**»[4]. وعنها ل قـالت: كـان

وأبي داود (699)، وابن ماجه (774)، وأحمد (9552).

1 (**?**) مسـند أحمـد (1801)، ومسـلم (479)، وأبـو داود (742)، والنسائي (1045).

2 (**?**) الترمذي (261)، وابن ماجه (88).

3 (**?**) مسلم (479)، النسائي (1045)، أحمد (1801).

4 (**?**) البخاري (761)، مسلم (484).

رسـولُ اللـه غ يقـولُ في ركوعِـه وسـجودِه: «**سُبوحٌ قُدوسٌ، ربُّ الملائكةِ والروحِ**»[1].

وكذلك جعلَ النبيُّ ذِكْرَ ما بعد الرفعِ من الركـوعِ منصـبًّا على تعظيمِ اللـهِ جـلَّ وعلا، فعن أبي سـعيدٍ رضي الل عنه قال: كان رسولُ اللـهِ إذا رفَـعَ رأسَـه من الركـوعِ قـال: «**اللهم ربَّنـا لـك الحمـدُ ملْءَ السـمواتِ ومِلْءَ الأرضِ، ومِلْءَ مـا بينهمـا، وملءَ مـا شـئتَ من شـيءٍ بعـدُ، أهـلَ الثنـاءِ والمجدِ، أحـقُّ مـا قـال العبـدُ وكلُّنَـا لـك عبـدٌ، اللهمَّ لا مـانعَ لمـا أعطيتَ، ولا معطيَ لمـا منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجدُّ**»[2].

أما الحجُّ فإنه كذلك من العباداتِ التي يَتَجَلَّى فيهـا تعظيمُ الربِّ جـلَّ جلالُـه في كـلِّ منسـكٍ من مناسـكِهِ فإن هناك كثيرًا من أفعالِ الحجِّ غـيرُ معقولـةِ المعـنى، غـير أنَّ المعـنى الـذي يجمَعُهـا جميعًـا هـو الطاعـةُ المطلقةُ والتعظيمُ المطلقُ للهِ تعالى، فالطوافُ يكونُ حـولَ الـبيتِ الـذي هـو من الحجـارةِ، والحجـرُ الأسـودُ يُقَبَّلُ مع كونِه حجرًا، ورَمْيُ الجِمارِ إنما هو حَجَرٌ يُرمى

---

1 (?) مسلم (487)، النسائي (1134)، أبو داود (872).

2 (?) البخاري (1549)، مسلم (1184)، أبو داود (1747).

به حَجَرٌ، فما الذي جعلَ هذا الحجَرَ يُرْمَى وهذا الحَجَـرَ يُقَبَّلُ وهذا الحَجَرُ يُطافُ حولَه سِوَى العبوديةِ المحضـةِ والتعظيمِ الخالصِ للهِ تعالى!

وفي التلبيـةِ الـتي هي شـعارُ الحجِّ أعظمُ عبـاراتِ الثناءِ والتعظيمِ للـهِ جـل وعلا: «**لبيـك اللهُمَّ لبيـك، لبيك لا شريكَ لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لـك والملكُ، لا شريكَ لك**».

ذكر ابنُ القيمِ رَحِمَهُ اللـهُ في معـنى التلبيـةِ كلامًـا جميلًا نذكرُ منهُ ما يدلُّ على تعظيمِ الـربِّ تعـالى حيثُ ذكرَ من مَعَانيها: إجابةً لك بعدَ إجابةٍ، أو انقيادًا لك بعـد انقيادٍ، أي انقدتُ لك، وَسَعَتْ نفسِي خاضعةً ذليلـةً، أو حبًّا لـك بعـد حبٍّ، أو أخلَصْـتُ لُبِّي وقَلْبِي لـك، فهي شـعارُ التوحيـدِ ملـةِ إبـراهيمَ الـذي هـو روحُ الحجِّ ومقصدُه، بلْ روحُ العباداتِ كلِّها والمقصودُ منها، ولهذا كانت التلبيةُ مفتاحَ هذه العبادةِ التي يُدْخَلُ فيها بها.

وكذلك فإنها مشتملةٌ على الاعـترافِ للـهِ بالنعمـةِ كلِّها ولهذا عَرَّفَها بـاللامِ المفيـدةِ للاسـتغراقِ أي النعمُ كلُّها لك وأنت مُوليها والمنعمُ بها.

ومشتملةٌ كذلك على الاعترافِ بأن المُلْكَ كلَّه للـهِ

وحده، فلا مُلْكَ على الحقيقةِ لغيرِه.

واللهُ سبحانه يفرَّقُ في صفاتِه بين الملكِ والحمدِ، وسَوَّغَ هذا المعنى أنَّ اقترانَ أحدُهُما بالآخرِ من أعظمِ الكمالِ والملكِ. والملكُ وحدَه كمالٌ، والحمدُ كمالٌ، واقترانُ أحدِهما بالآخرِ كمالٌ، فإذا اجْتمعَ الملكُ المتضمِّنُ للقدرةِ، مع النعمةِ المتضمِّنةِ لغايةِ النفعِ والإحسانِ والرحمةِ، مع الحمدِ المتضمِّنِ لعامةِ الجلالِ والإكرامِ الداعِي إلى محبَّتِه، كان في ذلك من العظمةِ والكمالِ والجلالِ ما هو أولى به وهو أهلُه»[1].

* * *

[1] (?) تهذيب سنن أبي داود (1/224-229) باختصار.

حقيقةُ تعظيمِ اللهِ تعالى

ذكـرَ الهـرويُّ رحمـهُ اللـه في (منـازلِ السـائرينَ) حقيقةَ تعظيمِ اللهِ تعالى فقال: «تعظيمُ الحقِّ سـبحانه هو ألا يجعلَ دونَه سببًا، ولا يَرَى عليه حقًّا، أو ينازَع لــه اختيارًا».

وهذا من دُرَر كلامِه رحمه الله، وقد شَرَحه الإمــامُ ابنُ القيمِ فقال: «هذه الدرجةُ تتضـمنُ تعظيمَ الحـاكمِ سبحانه صاحبَ الخلقِ والأمرِ... وذكر من تعظيمِه ثلاثةَ أشياءَ:

إحــداها: أن لا تجعــلَ دونَــه ســببًا، أي لا تجعَــلْ للوصْلةِ إليه سببًا غيرَه، بل هو الذي يوصِلُ عبدَه إليــه، فلا يوصِلُ إلى اللهِ إلا اللـهُ، ولا يقـرِّبُ إليـه سِـوَاه، ولا يُدِني إليه غيرُه، ولا يُتَوصلُ إلى رضـاهُ إلا بــه، فمـا دلَّ على اللهِ إلا اللـهُ، ولا هَـدَى إليـه سِـواه، ولا أَدْنَى إليـه غـيرُه، فإنـه سـبحانَه هـو الـذي جعـلَ السـببَ سـببًا، فالسببُ وسببيتُه وإيصالُه كلُّه خلقُه وفعلُه.

الثاني: أن لا يَرى عليـه حقًّا، أي لا تَـرى لأحــدٍ من الخلقِ لا لك ولا لغيرِك حقًّا على اللهِ، بل الحقُّ للهِ على خلقِه وفي أثرٍ إسرائيلي: أن داودَ عليه السـلامُ قـال: يـا

ربّ بحقِّ آبائي عليك. فأوْحَى اللهُ إليه: يـا داودُ! أيُّ حـقٍّ لآبائِك عليَّ؟ ألســتُ أنــا الــذي هــديتُهم ومننْتُ عليهم واصطفيتُهم وليَ الحقُّ عليهم.

وأمــا حقــوقُ العبيــدِ على اللــهِ تعــالى؛ من إثابــةٍ لمطيعِهم، وتوبتِه على تائِبِهم، وإجابَتِه لسـائِلِهم، فتلـك حقـوقٌ أحقَّهـا اللـهُ سـبحانه على نفسِـه بحكمِ وعـدِهِ وإحسانِه، لا أنَّها حقـوقٌ أحقُّوهـا هم عليـه، فـالحقُّ في الحقيقةِ للهِ على عبدِه. وحقُّ العبدِ عليه هو ما اقتَضَـاه جودُه وبرُّه وإحسـانُه إليـه بمحضِ جـودِه وكرمِـه، هـذا قولُ أهلِ التوفيقِ والبصائرِ.

الثالث: وأمـا قولُـه: ولا ينـازِعُ لـهُ اختيـارًا، أي إذا رأيتَ اللهَ عزوجل قد اختـارَ لـك، أو لغـيرِك شـيئًا؛ إمـا بأمرِه ودينِه، وإما بقضائِهِ وقدرِه، فلا تنازع اختيارَه، بل ارضَ باختيـارِ مـا اختـارَه لـك فـإن ذلـك من تعظيمِـه سبحانه. ولا يَرِدُ عليه قَـدَرُه عليـه من المعاصـي، فإنـه سبحانه وإن قَدَّرَها لكنه لم يختَرْها له، فمنازَعتُهـا غـيرُ اختيـارِه من عبـدِه، وذلـك من تمـامِ تعظيمِ العبـدِ لـه سبحانه»[1].

---

1 (**?**) مدارج السالكين (2/501).

والمؤمنُ ــ من تعظيمِ ربّـه تبـارك وتعـالى ــ يـرى الخيرَ في كلِّ ما يأتي به اللـهُ ــ، ويعلَم أنَّ اللـه تعـالى يريدُ به الخيرَ واليسرَ والفلاحَ الذي قـد يـأتي في ثَـوبِ البلاءِ والشدةِ والضيقِ، ولـذلك قـال النـبيُّ : «**عجبًا لأمـرِ المـؤمنِ إن أمـرَه كلَّه خـيرٌ، وليس ذلـك لأحدٍ إلا للمؤمنِ، إن أصابتْه سراءُ شَـكَرَ فكـان خيرًا له، وإن أصـابَتْه ضَـرَاءُ صَـبَرَ فكـانَ خـيرًا له**»[2].

إن غيرَ المؤمنِ لا يصـيبُه من هـذا الخـيرِ شـيءٌ لأنـه لا يعظمُ اللـهَ تعـالى ولا يرضَـى بقضـائِه، ويـرى لنفسِـه الحـقَّ على اللـهِ تعـالى، كمـا قـالَ صـاحبُ الجنـتينِ: ﴿**وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِـدَنَّ خَيْـرًا مِنْهَـا مُنْقَلَبًا**﴾ [الكهف:36].

أما المـؤمنُ المعظِّمُ لربِّه ــ تبـارك وتعـالى ــ فإنَّه يرضى بما قدَّرَهُ الله عليه، ويصـبِرُ على البلاءِ، ويسـألُ ربَّه أن يرفَـعَ عنــه هــذا البلاءَ وأن يثبِّتَـه على الحــقِّ، كما أنه يعودُ باللائمةِ في نزولِ هـذا البلاءِ على نفسِـه، ويعلمُ أنه مستحقٌّ له وأن اللهَ عزوجل لم يظلمْهُ وإنمـا ابتلاهُ بذنوبِه تنبيهًا وإيقاظًا حتى يتدارَكَ أمرَهُ، ويصلحَ شـأنَهُ، كـلُّ ذلـك لأنـه لا يـرى لنفسِه حقًّا على الله تعالى كما قال الناظمُ وأحسن:

---

[2] (?) أخرجه مسلم (5318).

ما للعبادِ عليه حقٌّ واجبُ كلَّا ولا سعيٌ لديه ضائعُ

إن عُذِّبُوا فبعدلِه أو نُعِّموا فبفَضْلِهِ وهو الكريمُ الواسعُ

* * *

من معاني اسم الله (العظيم)

من أسـمائِه تعـالى: (العظيم) قـال تعـالى: ﴿ **وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُـوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقــرة: 255]، وقال: ﴿**إِنَّهُ كَانَ لا يُـؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ** ﴾ [الحاقة:33].

قالَ الزجاجُ: العظيمُ: المعظَّمُ في صفةِ اللهِ تعالى يفيدُ عِظَمَ الشأنِ والسلطانِ، وليس المرادُ بـه وصـفَه بعظمِ الأجزاءِ لأن ذلـك من صـفاتِ المخلـوقينَ تعـالى الله عن ذلك علوًّا[1].

قال الشيخُ السـعديُّ رحمـه اللـه تعـالى: «العظيمُ الجـامعُ لجميـعِ صـفاتِ العظمــةِ والكبريــاءِ، والمجــدِ والبهاءِ الـذي تحبُّه القلـوبُ، وتعظِّمُـه الأرواحُ، ويعـرفُ العارفونَ أنَّ عظمةَ كلِّ شـيءٍ، وإن جَلّتْ في الصـفةِ، فإنها مُضْمَحِلةٌ في جانبِ عظمةِ العليِّ العظيمِ.

واللهُ تعـالى عظيمٌ لـه كـلُّ وصـفٍ ومعـنىً يـوجبُ التعظيمَ، فلا يقدرُ مخلوقٌ أنْ يُثْنِيَ عليه كما ينبغي لــه، ولا يُحصِي ثنـاءً عليـه، بـل هـو كمـا أثـنى على نفسِـه، وفوقَ ما يُثْنِي عليه عبادُه.

---

1 (?) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج (ص:46).

واعلمْ أن مَعَانِي التعظيمِ الثابتةِ للهِ وحدَه نوعانِ:

أحدُهما: أنه موصوفٌ بكلِّ صفةِ كمالٍ، ولـه من ذلك الكمالِ أكملُـه، وأعظمُـه وأوسـعُه، فلـهُ العلمُ المحيـطُ، والقـدرةُ النافـذةُ والكبريـاءُ والعظمـةُ، ومن عظمتِه أنَّ السمواتِ والأرضَ في كفِّ الـرحمنِ أصـغرُ من الخردلَةِ كما قال ابنُ عباسٍ وغـيرُه، وقـال تعـالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّـماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِـهِ**﴾ [الزمـر:67]، وقـال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِـكُ السَّـمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَـزُولا وَلَئِن زَالَتَـا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْـدِهِ إِنَّهُ كَـانَ حَلِيمـاً غَفُور**اً﴾ [فـاطر:41]، وقـال تعـالى وهـو العليُّ العظيمُ: ﴿**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ**﴾ الآيـة [الشورى:5].

وفي الصحيحِ عنه ﷺ : «**إنَّ اللهَ يقولُ: الكبرياءُ ردائِي والعظمـةُ إزاري، فمن نـازَعَني واحـدًا منهمـا عذبتُه**»[1]، فللـهِ تعـالى الكبريـاءُ والعظمـةُ، والوصفانِ اللذانِ لا يُقْدَرُ قدرُهما ولا يُبْلَغُ كُنْهَهُمَا.

---

1 (?) رواه أبو داود (3567)، وابن ماجه (4164).

النوعُ الثاني من معاني عظمتِه تعــالى: أنَّه لا يسـتحقُّ أحـدٌ من الخلـقِ أن يعظِّمَ كمـا يعظِّمَ اللـهُ؛ فيستحقُّ ـ جلَّ جلالُه ـ من عبادِهِ أن يعظِّمُوه بقلـوبِهم، وألسنتِهم، وجوارحِهم؛ وذلك ببذلِ الجهـدِ في معرفتِـه، ومحبتِه، والذلِّ له، والانكسـارِ لـه، والخضـوعِ لكبريائِه، والخـوفِ منـه، وإعمـالِ اللسـانِ بالثنـاءِ عليـه، وقيـامِ الجوارحِ بشكرِه وعبوديتِه. ومن تعظيمِه: أن يُتَّقى حقَّ تقاتِه؛ فيطاعَ فلا يُعْصَى، ويذكرَ فلا يُنسـى، ويُشْـكَرَ فلا يُكْفَرُ.

ومن تعظيمِه: تعظيمُ ما حرَّمَهُ وشـرعَهُ من زمـانٍ ومكانٍ وأعمـالٍ: ﴿**ذَلِـكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَـعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَـا مِن تَقْـوَى الْقُلُـوبِ**﴾ [الحج:32]، ﴿**ذَلِـكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُـوَ خَيْـرٌ لَـهُ**﴾ [الحج: 30].

ومن تعظيمِه: أن لا يُعترضُ على شيءٍ ممـا خَلَقَـهُ أو شَرَعَهُ»[1].

وعظمةُ اللهِ سبحانَه وتعـالى لا تكيَّفُ ولا تحـدُّ، ولا تمثَّلُ بشيءٍ، ويجبُ على العبادِ أن يعلَمُوا أنـه سـبحانَهُ

---

1 (?) الحق الواضح المبين (ص:27-28).

عظيمٌ كمَا وصفَ نفسَهُ بذلك، ووصفَهُ بـه رسـولُه بلا كيفيـــةٍ ولا تحديـــدٍ، وقـــدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ أنـــه قـــالَ: «**تفكـرُوا في آلاءِ اللـهِ ولا تَفَكَّرُوا في اللـهِ**»، وفي لفـظ: «**تَفكَّروا في خلـقِ اللـهِ ولا تَفَكَّرُوا في اللهِ**».

* * *

من شواهد العظمة

هذا الكونُ مليءٌ بالشواهدِ التي تـدلُّ على عظمـةِ الخالقِ سبحانه وتعالى ـ، وكل شاهدٍ من هذه الشواهدِ يوصِـلُ إلى الـذي يليـه حـتى يصـلَ الأمـرُ إلى الشـاهدِ الأكـبرِ، وهـو شـهودُ جلالِ الـربِّ ــ تبـارك وتعـالى ـ وعظمتِـهِ، وقـديمًا قـال الأعـرابيُّ: «البعـرةُ تـدلُّ على البعيرِ، ومسيرُ الأقدامِ يدلُّ على المسيرِ، فسـماءٌ ذاتُ أبراجٍ وأرضٌ ذاتُ فجـاجٍ، وبحـارٌ ذاتُ أمـواجٍ، أفلا يـدلُّ ذلك على اللطيفِ الخبيرِ».

ولنتأملْ معًا رحلةَ الشواهدِ التي يحكيها لنـا الإمـامُ ابنُ القيمِ رحمه اللهُ وهي رحلةُ التأملِ والتفكرِ والنظرِ بعينِ البصيرةِ والمعاينةِ لكلِّ ما حولَنـا في هـذه الـدنيا، ولكلِّ ما سيكونُ في الآخرةِ من مشاهدَ وأهوالٍ وصولًا إلى دارِ المتقينَ الجنةِ، ودارِ الكافرينَ النارِ، ثمَّ مشاهدُ عذابِ أهلِ النارِ وأعظمُهُ حجبُهم عن اللهِ تعالى: ﴿**كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُـــونَ**﴾ [المطففين: 15]، ونعيمِ أهلِ الجنةِ وأعظمُه رؤيةُ الـربِّ العظيمِ في يـــومِ المزيـــدِ: ﴿**وُجُـــوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِـــرَة*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامـة:22-23]، ثم الانتقـالُ بعـد ذلـك

إلى مشاهدِ صفاتِ هـذا الإلـهِ العظيمِ والـربِّ الكـريمِ، فيكـونُ هـذا أعظمَ المشـاهدِ في قلبِ المـؤمنِ. قـال الإمامُ ابن القيم[1]:

1- شاهد الدنيا:

فأولُ شواهدِ السـائرِ إلى اللـهِ والـدارِ الآخـرةِ: أن يقومَ به شاهدٌ من الدنيا وحقارتِها، وقلةِ وفائِها، وكـثرةِ جفائِها، وخسةِ شركائِها، وسرعةِ انقضائِها ـ ويرى أهلَهـا وعشاقَها صَـرعَى حولَهـا، قـد بَـدَّعَتْ بهم[2]، وعـذبَتْهم بأنواعِ العذابِ، وأذاقتْهم أمرَّ الشرابِ. أضحكَتْهم قليلًا، وأبكَتْهم طـويلًا. سَـقَتْهم كـؤوسَ سُـمِّها، بعـد كـؤوسِ خمرِها. فسكروا بحبِّها. وماتوا بهجرِها.

2- شاهد الآخرة:

فإذا قام بالعبدِ هذا الشاهدُ منها: ترحَّل قلبُه عنهـا، وسافر في طلبِ الدارِ الآخرةِ وحينئذٍ يقومُ بقلبِه شاهدٌ من الآخرةِ ودوامِها، وأنها هي الحيـوانُ حقًـا. فأهلُهـا لا يرتحلون منها، ولا يظْعَنـون عنهـا، بـل هي دارُ القـرارِ، ومحطُّ الرحالِ، ومنتهى السيرِ، وأن الدنيا بالنسبةِ إليها ـ كما قال النبيُّ ﷺ : «**ما الدُّنيا في الآخرةِ إلا كمـا**

---

1 (?) مدارج السالكين (3/250).

2 (?) بدّعت بهم: خذلتهم.

يجعــلُ أحــدُكم إصــبعَه في اليمِّ، فلينظُــرْ بم ترجِعُ؟»[1]، وقال بعضُ التابعينَ: ما الـدنيا في الآخـرةِ إلا أقلُّ من ذرةٍ واحدةٍ في جبالِ الدنيا.

3- شاهد النار:

ثم يقـــومُ بقلبِـــه شـــاهدٌ من النـــارِ، وتَوَقُّدِها واضطرامِها، وبُعْدِ قعرِها، وشدةِ حَرِّها، وعظيمِ عــذابِ أهلِها. فيشاهدُهم وقد سِيقوا إليها سُـودَ الوجـوهِ، زُرقَ العيونِ، والسلاسلُ والأغلالُ في أعنـاقِهم. فلمـا انتهـوا إليهــا: فُتِّحتْ في وجــوهِهم أبوابُهــا. فشــاهدوا ذلــك المنظرَ الفظيـعَ، وقـد تقَطَّعتْ قلـوبُهم حسـرةً وأسـفًا ﴿**وَرَأَى الْمُجْرِمُـــــــــونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِـدُوا عَنْهَـا مَصْـرِفًا**﴾ [الكهـف: 53]، فأراهم شـاهدُ الإيمـانِ، وهم إليهـا يُـدفعونَ. وأتى النـــداءُ من قِبَـــلِ ربِّ العـــالمينَ ﴿**وَقِفُـوَهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ**﴾ [الصـافات:24]، ثم قيلَ لهم ﴿**هَـذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ. أَفَسِحْرٌ هَـذَا أَمْ أَنتُمْ لا تُبْصِرُونَ. اصْلَوْهَا فَاصْـبِرُوا أَوْ لا تَصْـبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْـزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُـونَ**﴾ [الطور:14-16]، فيراهم شاهدُ الإيمــان. وهم في الحميمِ،

---

1 (?) مسلم (2858)، الترمذي (2323)، ابن ماجه (4108).

على وجوهِهم يُسحبونَ. وفي النارِ كالحطبِ يُسجَرون ﴿**لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ**﴾ [الأعراف:41]، فبئسَ اللحافُ وبئسَ الفراشُ.

وإن استغاثوا من شدةِ العطشِ ﴿**يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ**﴾ [الكهف:29]، فإذا شربوه قطَّع أمعاءَهم في أجوافِهم، وصَهَرَ ما في بطونِهم.

شرابُهم الحميمُ، وطعامُهم الزَّقُّومُ ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ**﴾ [فاطر:36-37].

فإذا قام بقلبِ العبدِ هذا الشاهدُ: انخلعَ من الذنوبِ والمعاصي، واتباعِ الشهواتِ. لبسَ ثيابَ الخوفِ والحذرِ، وأخصبَ قلبَهُ من مطرِ أجفانِهِ، وهانَ عليه كلُّ مصيبةٍ تصيبُهُ في غيرِ دينِهِ وقلبِهِ.

وعلى حَسَبِ قوةِ هذا الشاهدِ يكونُ بعدُه من

المعاصي والمخالفـاتِ. فيـذيبُ هـذا الشـاهدُ من قلبِـه الفضلاتِ، والموادَّ المهلكةَ، وينضجُها ثم يخرجُها. فيجدُ القلبُ لذةَ العافيةِ وسُرورَها.

4- شاهد الجنة:

فيقومُ به بعد ذلك: شاهدٌ من الجنةِ، وما أعـدَّ اللـهُ لأهلِها فيها، مما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمِعَتْ، ولا خطـرَ على قلبِ بشــرٍ، فضـلًا عمَّا وصَــفَه اللــهُ لعبــادِهِ على لسانِ رسولِه من النعيمِ المفصَّلِ، الكفيلِ بأعلى أنـواعِ اللـذَّةِ، منَ المطـاعمِ والمشـاربِ، والملابسِ والصـورِ، والبهجةِ والسرورِ. فيقومُ بقلبِهِ شاهدُ دارٍ قد جعلَ اللهُ النعيمَ المقيمَ الدائمَ بحذافِيرِه فيها.

تربتُها المسكُ، وحصباؤُها الدُّرُّ، وبناؤُها لَبِنُ الذَّهبِ والفضـةِ، وقَصَـبُ اللؤلـؤِ، وشـرابُها أحلى من العسـلِ، وأطيبُ رائحةً من المسكِ، وأبردُ من الكافورِ، وألذُّ من الزنجبيلِ، ونساؤُها لو بَرَزَ وجهُ إحداهُنَّ في هذه الــدنيا لغلبَ على ضـــوءِ الشـــمسِ، ولباسُـــهم الحريـــرُ من السندسِ والإستبرقِ، وخدمُهم ولدانٌ كـاللؤلؤِ المنثـورِ، وفـــاكهتُهم دائمـــةٌ، لا مقطوعـــةٌ لا ممنوعـــةٌ، وفُـــرشٌ مرفوعةٌ. وغذاؤُهم لحمُ طيرٍ ممـا يَشْـتهونَ، وشـرابُهم عليه خمرةٌ لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنزفونَ وخُضْرَتُهُم

فاكهةٌ مما يتخيرون، وشاهِدُهم حورٌ عينٌ كأمثالِ اللؤلؤِ المكنونِ، فهم على الأرائكِ مُتكؤونَ، وفي تلك الرياضِ يُحـبرونَ، وفيهـا مـا تشـتهي الأنفسُ وتلـذُّ الأعينُ، وهم فيها خالدونَ.

5- شاهد يوم المزيد:

فإذا انضـم إلى هـذا الشـاهدِ: شـاهدُ يـومِ المزيـدِ، والنظرُ إلى وجهِ الربِّ جلَّ جلالُه، وسماعُ كلامِهِ منه بلا واسطةٍ. كما قال النبيُّ : «**بينما أهـلُ الجنـةِ في نعيمِهم، إذ سطَعَ لهم نورٌ. فرفَعُوا رؤُوسَـهم. فــإذا الــربُّ تعــالى قــد أشــرَفَ عليهم من فوقِهم. وقال: يا أهلَ الجنةِ، سلامٌ عليكم** ـ ثم قـرأ قولَـه تعـالى: **سَلاَمٌ قَـوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ** [يس:58] ــــ **ثم يَتَــوارى عنهم. وتبقَى رحمتُــه وبركتُه عليهم في ديارِهم**»[1].

فإذا انضمَّ هـذا الشـاهدُ إلى الشـواهدِ الـتي قبلَـه: فهناك يسيرُ القلبُ إلى ربِّه أسرعَ من سيرِ الريـاحِ في مهابِّها، فلا يلتفتُ في طريقِه يمينًا ولا شمالًا.

---

1 (?) ابن ماجه (184)، باب (13) فيما أنكرت الجهمية.

6- شاهدُ جلالِ الربِّ وعظمتِهِ:

هـذا، وفـوقَ ذلـك: شـاهدٌ آخـرَ تضـمحِلُّ فيـه هـذه الشواهدُ، ويغيبُ به العبدُ عنها كلِّها. وهو شاهدُ جلالِ الربِّ تعالى، وجمالِه وكمالِه، وعزِّه وسلطانِه، وقيوميتِـه وعلـوِّه فـوقَ عرشِـه، وتكلُّمِـه بكتبِـه وكلمـاتِ تكوينِـه، وخطابِـه لملائكتِه وأنبيائِه.

فإذا شاهدَه شاهدَ بقلبِه قيومًا قـاهرًا فـوقَ عبـادِه، مستويًا على عرشِه، منفردًا بتدبيرِ مملكتِه، آمرًا ناهيًـا، مرسِـلًا رسـلَه، ومُنْـزِلًا كتبَـه. يرضَـى ويغضَـبُ، ويـثيبُ ويعاقبُ. ويعطِي ويمنعُ، ويعـزُّ ويـذلُّ. ويحبُّ ويغضـبُ. ويـرحمُ إذا اسـتُرحِمَ، ويغفـرُ إذا اسـتُغفِرَ، ويعطِي إذا سُئِلَ، ويجيبُ إذا دُعِيَ، ويقيلُ إذا استُقيلَ.

أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأعظمُ من كـلِّ شـيءٍ، وأعـزُّ من كلِّ شـيءٍ، وأقـدرُ من كـلِّ شـيءٍ، وأعلمُ من كـلِّ شيءٍ، وأحكمُ من كلِّ شيءٍ.

فلو كانت قُوى الخلائقِ كلِّهم على واحــدٍ منهم، ثم كانوا كلُّهم على تلك القوةِ، ثم نُسبت تلـك القـوى إلى قوةِ اللهِ تعالى لكانتْ دونَ قوةِ البعوضـةِ بالنسـبةِ إلى قوةِ الأسدِ.

ولـو قُـدِّرَ جمـالُ الـربِّ تعـالى لكـان دونَ سـراجٍ ضعيفٍ بالنسبةِ إلى عينِ الشمسِ.

ولو كـانَ علمُ الأولينَ، والآخـرينَ على رجـلٍ منهم، ثم كان كلُّ الخلقِ على تلكَ الصفةِ، ثم نُسبَ إلى علمِ الربِّ تعالى لكانَ ذلك بالنسـبةِ إلى علمِ الـربِّ كنقـرةِ عُصفورٍ في بحرٍ.

وهكذا سائرُ صفاتِهِ، كسمعِه وبصرِه، وسائرِ نعـوتِ كمالِه. فإنَّه يسمعُ ضـجيجَ الأصـواتِ بـاختلافِ اللغـاتِ، على تفننِ الحاجـاتِ. فلا يشـغَلُه سـمعٌ عن سـمعٍ. ولا تُغلطُه المسائلُ. ولا يتبرمُ بإلحاحِ الملِحِّينَ.

سواءٌ عندَه من أسرَّ القولَ ومن جهـرَ بـه. فالسِّـر عنده علانيةٌ. والغيبُ عنده شهادةٌ.

يرى دبيبَ النملةِ السوداءِ، على الصـخرةِ الصـماءِ، في الليلـةِ الظلمـاءِ. ويـرى نيـاطَ عروقِهـا، ومجـاري القوتِ في أعضائِها.

يضعُ السماواتِ على إصبعٍ من أصابعِ يدِه، والأرضَ على إصبعٍ، والجبالَ على إصـبعٍ، والشـجرَ على إصـبعٍ، والمـاءَ على إصـبعٍ. ويقبضُ سـماواتِه بإحْـدَى يديـه، والأرضـينَ باليـدِ الأخـرى. فالسـماواتُ السـبعُ في كفِّه

كخردلةٍ في كفِّ العبدِ.

ولـو أنَّ الخلـقَ كلَّهم من أولِهم إلى آخـرِهم قـاموا صفًّا واحدًا ما أحاطُوا باللهِ عزوجل. لو كشفَ الحجابَ عن وجهِه لأحـرقَتْ سُـبحاتُه مـا انتهى إليـه بصـرُه من خلقِه.

فإذا قامَ بقلبِ العبدِ هـذا الشـاهدُ: اضْـمَحَلَّتْ فيـهِ الشواهدُ المتقدمةُ، من غيرِ أنْ تعدَمَ. بل تصـيرُ الغلبـةُ والقهرُ لهذا الشاهدِ، وتندرجُ فيـه الشـواهدُ كلُّهـا. ومَنْ هذا شاهِدُه: فله سلوكٌ وسيرٌ خاصٌّ، ليسَ لغـيرِه ممن هو عن هذا في غفلةٍ، أو معرفةٍ مجملةٍ.

فصاحبُ هذا الشـاهدِ: سـائرٌ إلى اللـهِ في يقظتِـهِ ومنامِهِ، وحركتِهِ وسـكونِهِ وفطـرِهِ وصـيامِهِ، لـهُ شـأنٌ وللناسِ شأنٌ. هو في وادٍ والنَّاسُ في وادٍ.

7- شاهدُ التوحيدِ:

فــإذا طلعتُ شــمسُ التوحيــدِ، وباشَــرَتْ جوانُبَهــا الأرواح، ونورُهــا البصــائِرَ، تجلَّتْ بهــا ظلمــاتُ النفسِ والطبعِ، وتحركتْ بهـا الأرواحُ في طلبِ من ليس كمثلِـه شـيءٌ وهـو السـميعُ البصـيرُ، فسـافرَ القلبُ في بيـداءِ الأمرِ، ونَزَلَ منازلَ العبوديةِ، منزلًا منزلًا، فهـو ينتقـلُ من

عِبادةٍ إلى عبادةٍ، مُقيم على معبود واحد.

فلا تزالُ شواهدُ الصفاتِ قائمـةً بقلبِـهِ، توقظُـه إذا رقدَ، وتذكِّرُهُ إذا غفلَ، وتحـدُو بـه إذا سـارَ، وتقيمُـهُ إذا قعدَ.

إن قـام بقلبِـه شـاهدٌ من الربوبيـةِ والقيوميـةِ رأى أنَّ الأمرَ كلَّهُ للـهِ. ليس لأحـدٍ معـه من الأمـر شـيءٌ **مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِـكَ لَهَـا وَمَـا يُمْسِـكْ فَلا مُرْسِـلَ لَـهُ مِن بَعْـدِهِ وَهُـوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْـرُ اللَّهِ يَـرْزُقُكُم مِّنَ السَّـمَاء وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ فَـأَنَّى تُؤْفَكُونَ** [فاطر:2-3]، **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَـاءُ مِنْ عِبَـادِهِ وَهُـوَ الْغَفُورُ الـرَّحِيمُ** [يـونس:107]، **وَلَئِنْ سَـأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُـولُنَّ اللَّهُ قُـلْ أَفَـرَأَيْتُمْ مَـا تَـدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِـفَاتُ ضُـرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْـهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُـونَ** [الزمـر: 38]، **قُـل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَـا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَـذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَـرْشِ الْعَظِيمِ * سَـيَقُولُونَ لِلَّهِ قُـلْ أَفَلَا تَتَّقُـونَ ***

قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ [المؤمنون:84-89].

إن قامَ بقلبِه شاهدٌ من الإلهيةِ: رأى في ذلك الشاهدِ الأمرَ والنهيَ، والنبواتِ، والكتبَ والشرائعَ، والمحبةَ والرضى، والكراهةَ والبغضَ، والثوابَ والعقابَ، وشاهدَ الأمرَ نازلًا ممن هو مستوٍ على عرشِهِ، وأعمالُ العبادِ صاعدةٌ إليهِ، ومعروضة عليه. يجزي بالإحسانِ منها في هذه الدارِ وفي العقبى نضرةً وسرورًا، ويقدمُ إلى ما لم يكنْ عن أمرِهِ وشرعِهِ منها فيجعلُهُ هباءً منثورًا.

وإن قامَ بقلبِه شاهدٌ من الرحمةِ: رأى الوجودَ كلَّه قائمًا بهذهِ الصفةِ، قدْ وَسِعَ من هي صفتُه كلَّ شيءٍ رحمةً وعلمًا، وانتهتْ رحمتُهُ إلى حيثُ انتهى علمُه، فاستوى على عرشِه برحمتِهِ، لتسعَ كلَّ شيءٍ، كما وَسِعَ عرشُهُ كلَّ شيءٍ.

وإنْ قامَ بقلبه شاهدُ العِزَّة والكبرياءِ، والعظمةِ والجبروتِ: فله شأنٌ آخر.

وهكذا جميعُ شواهدِ الصفاتِ، فما ذكرنا إنما هو أدنى تنبيهٍ عليها. فالكشفُ والعيانُ والمشاهدةُ لا

تتجاوزُ الشواهدَ البتةَ.

أإله مع الله؟

قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ[1]: «لا ريبَ أن اللهَ ربُّ العالمينَ، ربُّ السمواتِ والأرضينَ وما بينهما وربُّ العرشِ العظيمِ، ربُّ المشرقِ والمغربِ لا إله إلا هو فاتخذْه وكيلًا، ربُّكم وربُّ آبائِكم الأولين، ربُّ الناسِ مَلِكُ الناسِ إلهُ الناسِ،. وهو خالقُ كلِّ شيءٍ وهو على كلِّ شيءٍ وكيلٌ.

خلقَ الزوجينِ الذكرَ والأنثى، من نطفةٍ إذا تُمنى، وهو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُه، وهو مالكُ المُلك؛ يُؤتي المُلكَ من يشاءُ، وينزعُ الملكَ ممَّنْ يشاءُ، ويعزُّ من يشاءُ، ويذلُّ من يشاءُ، بيدِه الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وما تحتَ الثرى، الرحمنُ على العرشِ استوى، له المُلكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ **﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [هود: 56].

1 (?) مجموع الفتاوى (2/398-400) دار الوفاء.

قلوبُ العبادِ ونواصِيهم بيدِه، وما منْ قلبٍ إلَّا وهــو بينَ إصــبعينِ من أصــابعِ الــرحمنِ، إن شــاء أن يُقيمَــهُ أقامَه، وإن شاء أن يُزيغَهُ أزاغَهُ.

وهو الذي أضحَك وأبكَى، وأغنَى وأقنَى، وهو الــذي يُرسلُ الرياحَ بشرًا بين يديْ رحمتِه، ويُنزلُ من السماءِ ماءً فيُحــيي بــه الأرضَ بعــدَ موتِهــا، ويبُثُّ فيهــا من كــلِّ دابَّةٍ. وهـــو ﴿**الَّذِي خَلَــقَ السَّــمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَــلَ الظُّلُمَــاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَــرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعـام:1]، ﴿**فَمَنْ يُـرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَـهُ يَشْـرَحْ صَـدْرَهُ لِلإِسْـلامِ وَمَنْ يُـرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَـا يَصَّـعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَـذَلِكَ يَجْعَـلُ اللَّهُ الـرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُـونَ**﴾ [الأنعـام:125]، ﴿**وَهُـوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَــهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [القصص:70].

وهو الحيُّ القيومُ الذي لا تأخذُهُ سِنةٌ ولا نومٌ، وهــو القــائمُ بالقســطِ، القــائمُ على كــلِّ نفسٍ بمــا كسَـبَتْ، الخالقُ البـارئُ المصـورُ. ﴿**وَمَا** مِن **دَابَّةٍ** فِي **الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود:6]، ما شـاءَ اللـهُ لا قـوةَ إلا باللهِ، فما شاء اللـهُ كـان، ومـا لم يشـأْ لم يكنْ، ولا

حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ، ولا ملجأَ منه إلا إليه.

فهــذه المعــاني ومــا أشــبهَها من معــاني ربوبيتِــه ومُلكِه، وخلقِه ورزقِه، وهدايتِه ونصرِه، وإحسانِه وبرِّه، وتدبيرِه وصنعِه، ثمَّ ما يتصلُ بذلك من أنه بكــلِّ شــيءٍ عليمٌ، وعلى كــلِّ شــيءٍ قــديرٌ، وأنَّه ســميعٌ بصــيرٌ، لا يشغَلُه سمعٌ عن سمعٍ، ولا تُغلِطُه المســائلُ، ولا يتــبرمُ بإلحاحِ المُلحِّينَ، يُبصرُ دبيبَ النملةِ السوداءِ، في الليلةِ الظلماءِ، على الصخرةِ الصماءِ.

فهذا كلُّه حقٌّ، وهو محضُ توحيدِ الربوبيةِ؛ وهو مــع هذا قد أعطى كلَّ شيءٍ خلقَــه ثمَّ هَــدَى، وأحســنَ كــلَّ شيءٍ خَلَقهُ، وبدأَ خلقَ الإنسانِ من طينٍ.

وهذا صنعُ اللهِ، الذي أتقنَ كــلَّ شــيءٍ، والخــيرُ كلُّه بيديْــهِ، وهــو أرحمُ الــراحمينَ، وهــو أرحمُ بعبــادِهِ من الوالدةِ بولــدِهَا، كمــا أقســمَ على ذلــك النــبيُّ ﷺ فقــالَ: «**واللـــهِ للـــهُ أرحمُ بعبـــادِه من هـــذه الوالـــدةِ بولَدِها**»[1] إلى نحوِ هذه المعاني، التي تقتضي شمولَ حكمتِه وإتقانِه وإحسانِه خَلْقَ كلِّ شيءٍ وســعةَ رحمتِــه وعظمتَها وأنها سبقتْ غضبَه كلُّ هذا حقٌّ»[2].

---

1 (?) البخاري (5999)، مسلم (2754).

2 (**?**) مجموع الفتاوى (2/400).

فاللهُ عزوجل هو مالـكُ الملـكِ الـذي **لَا يَعْزُبُ عَنْـــهُ مِثْقَــالُ ذَرَّةٍ فِي السَّـــمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْـغَرُ مِنْ ذَلِـكَ وَلَا أَكْبَـرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** [سبأ:3]، وإذا نظر العبـدُ في تـدبيرِ اللـهِ تعالى لهذا الكـونِ كـاد عقلُـه يطيشُ من هـذه القـدرةِ الباهرةِ، والقوةِ القاهرةِ، والرحمـةِ الظـاهرةِ، والإتقـانِ والإحسانِ والحكمةِ في كلِّ شيءٍ.

* * *

الطريق إلى تعظيم الله تعالى

إن تعظيمَ اللهِ تعالى لا يكونُ إلَّا بعـدَ معرفـةِ اللـهِ سبحانه وتعالى بأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه ونعوتِ جلالِه، قال تعـالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ إِلَـهَ إِلا اللَّهُ**﴾ [محمـد:19]، فلا بدَّ من العلمِ والمعرفةِ، فهي النورُ الذي يضيءُ لـك طريقَ التعظيمِ والإجلالِ.

فاللهُ سبحانه وتعـالى عظيمٌ في ذاتِـه، عظيمٌ في أسـمائِه، عظيمٌ في صـفاتِه، عظيمٌ في ملكِـه وسـلطانِه، عظيمٌ في خلقِـه وأمـرِه، عظيمٌ في دينِـه وشرعِه، عظيمٌ في علمِه وكلماتِه قال تعـالى: ﴿**قُـلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْـرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَـدَ كَلِمَـاتُ رَبِّي وَلَـوْ جِئْنَـا بِمِثْلِـهِ مَـدَداً**﴾ [الكهـف:109]، وقـال: ﴿**وَلَـوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَـجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْـرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُـرٍ مَّا نَفِـدَتْ كَلِمَـاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيـزٌ حَكِيمٌ**﴾ [لقمـان:27]، هـذا علمُ الله تعالى فماذا عن قدرته؟ قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿**مَّا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِـدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَـمِيعٌ بَصِـيرٌ * أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللَّهَ يُـولِجُ اللَّيْـلَ فِي النَّهَـارِ وَيُـولِجُ النَّهَـارَ فِي اللَّيْـلِ**

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَـلٍ مُّسَـمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَـا تَعْمَلُـونَ خَبِـيرٌ * ذَلِـكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَـا يَـدْعُونَ مِن دُونِـهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُـوَ الْعَلِيُّ الْكَبِـيرُ * أَلَمْ تَـرَ أَنَّ الْفُلْـــكَ تَجْـــرِي فِي الْبَحْـــرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُـرِيَكُم مِّنْ آيَاتِـهِ إِنَّ فِي ذَلِـكَ لَآيَـاتٍ لِّكُـلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ [لقمان:28-31].

إنهـا العظمـةُ المطلقـةُ والقـدرةُ المطلقـةُ والعلـوُّ المطلـقُ، والجلالُ المطلـقُ، والقهـرُ المطلـقُ: **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّـماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** [الزمر:67].

قـــــال الإمــــــامُ ابنُ القيمِ في ارتبـــــاطِ التعظيمِ بالمعرفــةِ: «وهــذه المنزلــةُ ــ أي منزلــةُ تعظيمِ قــال الإمامُ ابنُ القيمِ في ارتباطِ التعظيمِ بالمعرفةِ: «وهذه المنزلةُ ـ أي منزلةُ تعظيمِ الله عزوجل تابعةٌ للمعرفةِ، فعلى قــدرِ المعرفــةِ يكــونُ تعظيمُ الــربِّ تعــالى في القلبِ، وأعرفُ الناسِ بـه أشـدُّهم لـه تعظيمًـا وإجلالًا، وقـد ذمَّ اللـهُ تعـالى من لم يعظِّمْـهُ حـقَّ عظمَتِـهِ، ولا عَرَفَهُ حقَّ معرفتِهِ، ولا وَصَفَهُ حقَّ وصفِهِ، فقال تعالى:

﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:13]»[1].

وقال أبو القاسمِ إسماعيلُ الأصبهانيُّ في صفةِ العظمةِ: «العظمةُ صفةٌ من صفاتِ اللهِ، لا يقومُ لها خلقٌ، واللهُ تعالى خلقَ بين الخلقِ عظمةً يعظّمُ بها بعضُهم بعضًا، فمن الناسِ من يعظَّم لمـالٍ، ومنهم من يعظَّم لفضلٍ، ومنهم من يعظَّم لعلمٍ، ومنهم من يعظَّم لسلطانٍ، ومنهم من يعظَّم لجاهٍ، وكلُّ واحدٍ من الخلقِ إنما يعظَّمُ لمعنى دونَ معـنىً واللـهُ عزوجل يعظَّمُ في الأَحوالِ كلِّها، فينبغي لمن عَرَفَ حقَّ عظمةِ اللـهِ أن لا يتكلمَ بكلمةٍ يكرهُها اللهُ، ولا يرتكبَ معصيةً لا يرضـاها اللهُ، إذ هو القائمُ على كلِّ نفسٍ بما كسبتْ»[2]، يشـير بذلك رحمه اللـهُ إلى أنَّ المعصـيةَ تُضْـعِفُ من تعظيمِ العبدِ لربِّه، وقد تذهبُ التعظيمَ من قلبِه بالكليةِ.

* * *

---

1 (?) مدارج السالكين (2/495).

2 (?) الحجة في بيان المحجة (1/141، 142).

تعظيمُ الأمرِ والنهيِ

وهذا يدلُّ على أن أولَ مـراتبِ التعظيمِ هي تعظيمُ الأمرِ والنهيِ، وقد ذكـر ذلـك ابنُ القيمِ فقـال: «تعظيمُ الأمرِ والنهيِ هـو ناشـئٌ عن تعظيمِ الآمـرِ النـاهي فـإن اللهَ تعالى ذمَّ من لا يعظِّمهُ ولا يعظِّمُ أمرَهُ ونهيَهُ، قـال سـبحانه وتعـالى ـــ: ﴿ **مَـا لَكُمْ لا تَرْجُـونَ لِلَّهِ وَقَارًا**﴾ [نـوح:13]، قـالوا في تفسـيرِها: مـا لكم لا تخافونَ للهِ تعالى عظمةً.

وما أحسنَ ما قالَه شيخُ الإسـلامِ في تعظيمِ الأمـرِ والنهيِ: «هـو ألا يُعَارَضَـا بـترخصٍ جـافٍ، ولا يُعرَّضـا لتشديدٍ غالٍ ولا يُحْمَلَا على علةٍ توهنُ الانقيادَ».

ومعـنى كلامِـه: أن أولَ مـراتبِ تعظيمِ الحـقِّ عزوجل : تعظيمُ أمرِه ونهيِه، وذلك لأن المؤمنَ يعرِفُ ربَّه لأ برسالتِه التي أرسلَ بها رسولَ اللـهِ ﷺ إلى كافـةِ الناسِ، ومقتضاها: الانقيـادُ لأمـرِهِ ونهيـهِ، وإنمـا يكـونُ ذلـك بتعظيمِ أمـرِ اللـهِ عزوجل واتباعِـه، وتعظيمِ نهيِـه واجتنابِه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيـه واجتنابـه دالًّا على تعظيمِـه لصـاحبِ الأمـرِ والنهيِ، ويكونُ بحسبِ هـذا التعظيمِ من الأبـرارِ المشـهودِ لهم

بالإيمانِ والتصديقِ وصحةِ العقيدةِ، والبراءةِ من النفاقِ الأكبرِ. فإن الرجلَ قد يتعَاطَى فعلَ الأمرِ لنظـرِ الخلـقِ وطلبِ المنزلةِ والجاهِ عنـدَهم، ويتَّقِي المنـاهِيَ خشـيةَ سـقوطِه من أعينِهم، وخشـيةَ العقوبـاتِ الدنيويَّةِ من الحدودِ الـتي رتَّبَهـا الشـارعُ على المنـاهِي، فهـذا ليس فعلُـه وتركـه صـادرًا عن تعظيمِ الأمـرِ والنهيِ، ولا عن تعظيمِ الآمرِ الناهِي»[1].

---

1 (?) الوابل الصيب (ص:17-18).

كيف نعرف الله؟[1]

الربُّ تعالى يـدعُو عبـادَه في القـرآنِ إلى معرفتِـه من طريقينِ:

أحدُهما: النظرُ في مفعولاتِه.

والثاني: التفكُّرُ في آياتِه وتدبُّرُها.

فتلـكَ آياتُـه المشـهودَةُ، وهـذه آياتُـه المسـموعَةُ المعقولَةُ.

فـالنوعُ الأولُ: كقولِـه: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ**﴾ [البقرة:164]، إلى آخرها. وقوله: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ**﴾ [آل عمران: 190].. وهو كثيرٌ في القرآنِ.

والثاني: كقولِه: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾ [النساء:82]. وقوله: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ**﴾ [المؤمنون: 68]، وقوله: ﴿**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا**

---

1 (?) الفوائد لابن القيم (ص:40-42).

آيَاتِهِ [ص:29].. وهو كثيرٌ أيضًا.

فأمَّا المفعولاتُ، فإنها دالَّةٌ على الأفعالِ، والأفعالُ دالَّةٌ على الصفاتِ؛ فإنَّ المفعولَ يدلُّ على فاعلِ فعلِه، وذلكَ يستلزِمُ وجودَه وقدرتَه ومشيئتَه وعلمَه لاستحالةِ صدورِ الفعلِ الاختياريِّ من معدومٍ أو موجودٍ لا قدرةَ له ولا حياةَ ولا علمَ ولا إرادةَ.

ثم ما في المفعولاتِ من التخصُّصَاتِ المتنوعةِ دالٌّ على إرادةِ الفاعلِ، وأنَّ فعلَه ليس بالطبعِ بحيثُ يكونُ واحدًا غيرَ متكررٍ.

وما فيها من المصالحِ والحِكمِ والغاياتِ المحمودةِ دالٌّ على حكمتِه تعالى.

وما فيها من النفعِ والإحسانِ والخيرِ دالٌّ على رحمتِه.

وما فيها من البطشِ والانتقامِ والعقوبةِ دالٌّ على غضبِه.

وما فيها من الإكرامِ والتقريبِ والعنايةِ دالٌّ على محبتِه.

وما فيها من الإهانةِ والإبعادِ والخذلانِ دالٌّ على

بُغضِه ومَقتِه.

وما فيها من ابتداءِ الشيءِ في غايةِ النقصِ والضعفِ ثم سَوْقِهِ إلى تمامِه ونهايتِه دالٌّ على وقوعِ المعادِ.

وما فيها من أحوالِ النباتِ والحيوانِ وتصرُّفِ المياهِ دليلٌ على إمكانِ المعادِ.

وما فيها من ظهورِ آثارِ الرحمةِ والنعمةِ على خلقِه دليلٌ على صحةِ النبوَّاتِ.

وما فيها من الكمالاتِ التي لو عَدِمَتْها كانتْ ناقصةً دليلٌ على أنَّ معطي تلكَ الكمالاتِ أحقُّ بها.

فمفعولاتُه من أدلِّ شيءٍ على صفاتِه وصِدْقِ ما أخبرَتْ به رُسُلُه عنه؛ فالمصنوعاتُ شاهدةٌ تُصَدِّقُ الآياتِ المسموعاتِ، منبهةٌ على الاستدلالِ بالآياتِ المصنوعاتِ. قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ [فصلت: 53]، أي أنَّ القرآنَ حقٌّ، فأخبرَ أنَّه لا بدَّ أن يُريَهُم من آياتِه المشهودَةِ ما يبيِّنُ لهم أنَّ آياتِه المتلوَّةَ حقٌّ. ثم أخبرَ بكفايةِ شهادتِه على صحةِ خَبَرِه بما أقامَ من

الدلائلِ والبراهينِ على صـدقِ رسـولِه. فآياتُـه شـاهدةٌ بصدقِه، وهو شاهدٌ بصدقِ رسولِه بآياتِـه. فهـو الشـاهدُ والمشهودُ له، وهو الدليلُ والمدلولُ عليه. فهـو الـدليلُ بنفسِـه على نفسِـه كمـا قـالَ بعضُ العـارفينَ: كيـفَ أطلبُ الدليلَ على من هـو دليـلٌ لي على كـلِّ شـيءٍ؟ فأيُّ دليلٍ طلبتَه عليه فوجودُه أظهـرُ منـه. ولهـذا قـال الرُّسُلُ لقـومِهم: ﴿**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ**﴾؟ [إبـراهيم:10]؛ فهـو أعـرفُ من كـلِّ معـروفٍ، وأبينُ من كـلِّ دليـلٍ. فالأشياءُ عُرِفَتْ بـه في الحقيقـةِ، وإنْ كـانَ عُـرِفَ بهـا في النَّظَرِ، والاستدلالِ بأفعالِه وأحكامِه عليه.

* * *

معرفةُ جمالِ اللهِ عزوجل[1]

من أعزِّ أنواعِ المعرفةِ: معرفةُ الـربِّ سـبحانه بالجمـالِ، وهي معرفـةُ خـواصِّ الخلـقِ، وكلُّهم عَرَفَـهُ بصـفةٍ من صـفاتِه، وأتمُّهم معرفـةً من عَرَفَـهُ بكمالِـه وجلالِه وجمالِه سـبحانه، ليسَ كمثلِـه شـيءٌ في سـائرِ صفاتِه، ولو فَرَضْتَ الخلـقُ كلُّهم على أجملِهم صـورةً، وكلُّهم على تلـكَ الصـورةِ، ونَسَـبْتَ جمـالَهم الظـاهرَ والباطنَ إلى جمالِ الربِّ سبحانَه لكانَ أقلَّ من نسـبةِ سراجٍ ضعيفٍ إلى قرصِ الشـمسِ، ويكفِي في جمالِـه أنَّه لو كَشَفَ الحجابَ عن وجْهِه لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُه[2] مـا انتهى إليه بصرُه من خلقِـه. ويكفِي في جمالِـه أنَّ كـلَّ جمـالٍ ظـاهرٍ وبـاطنٍ في الـدنيا والآخـرةِ فمن آثـارِ صنعَتِه، فما الظنُّ بمَنْ صدرَ عنه هذا الجمالُ؟!

ويكفِي في جمالِه: أنَّه لَهُ العزَّةُ جميعًا، والقوَّةُ جميعًـــا، والجـــودُ كلُّه، والإحســـانُ كلُّه، والعلمُ كلُّه، والفضلُ كلُّه، ولِنُورِ وجهِه أَشْرَقَتِ الظلماتُ، كما قـالَ النبيُّ في دعاءِ الطائفِ: «**أعوذُ بنورِ وجهِكَ الذي أشرقَتْ لهُ الظلمـاتُ وصـلُحَ عليـه أمـرُ الـدنيا**

---

[1] (?) الفوائد (ص:258).

[2] (?) (سُبُحاتُ) وجهِ الله تعالى بضمتين: جلالتُه.

والآخرةِ»[1].

وقال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: ليسَ عندَ ربِّكُم ليـلٌ ولا نهـارٌ، نـورُ السـمواتِ والأرضِ من نـورِ وجهِـه، فهـو سبحانَه نورُ السمواتِ والأرضِ، ويـومَ القيامـةِ إذا جـاء لفصلِ القضاءِ تُشْرِقُ الأرضُ بنُوره.

ومن أسـمائِه الحسـنى (الجميـلُ). وفي الصحيح عنه : «**إن اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ**»[2].

وجمالُـه سـبحانَه على أربـعِ مـراتِبٍ: جمـالُ الـذاتِ، وجمـالُ الصـفاتِ، وجمـالُ الأفعـالِ، وجمـالُ الأسماءِ. فأسماؤُه كلُّها حُسْـنَى، وصـفاتُه كلُّهـا صـفاتُ كمالٍ، وأفعالُـه كلُّهـا حكمـةٌ ومصـلحةٌ وعـدلٌ ورحمـةٌ. وأمَّا جمالُ الذَّاتِ، وما هو عليه، فأمرٌ لا يُدْرِكُـهُ سِـوَاهُ، ولا يعلمُه غيرُه، وليسَ عندَ المخلوقينَ منه إلا تعريفاتٌ تَعَرَّفَ بها إلى مَنْ أَكْرَمَهُ من عبادِه، فإنَّ ذلـكَ الجمـالَ مصونٌ عن الأغيارِ محجوبٌ بسـترِ الـرداءِ والإزارِ، كمـا قـال رسـوله فيمـا يُحْكَى عنـه: «**الكبرياءُ رِدَائي،**

---

1 (**?**) رواه الطبراني في (الكبير) عن عبد الله بن جعفر. وهو ضعيف. انظر: تخريج فقه السيرة (131).

2 (**?**) رواه مسلم (147)، والترمذي (1999).

والعظمـةُ إزاري»[1]. ولمـا كـانت الكبريـاءُ أعظمُ وأوسعُ كانتْ أَحَقَّ باسـمِ الـرداءِ؛ فإنـه سـبحانَه الكبـيرُ المتعالِ، فهو سبحانَه العليُّ العظيمُ.

قال ابنُ عباسٍ: حجبَ الذاتَ بالصفاتِ، وحجبَ الصـفاتِ بالأفعـالِ، فمـا ظنُّكَ بجمـالٍ حُجِبَ بأوصـافِ الكمالِ وسُتِرَ بنعوتِ العظمةِ والجلالِ؟!

ومن هذا المعنى يُفْهَمُ بعضُ معانِي جمـالِ ذاتِه؛ فإنَّ العبدَ يترقَّى من معرفةِ الأفعالِ إلى معرفـةِ الصفاتِ، ومن معرفةِ الصفاتِ إلى معرفةِ الذاتِ. فإذا شاهدَ شيئًا من جمالِ الأفعالِ، اسـتدلَّ بـه على جمـالِ الصـفاتِ، ثم اسـتَدَلَّ بجمـالِ الصـفاتِ على جمـالِ الذاتِ.

ومن ههنا يتبينُ أنَّهُ سبحانَه لهُ الحمـدُ كلُّه، وأنَّ أحدًا من خَلْقِهِ لا يُحصِـي ثنـاءً عليـه، بـل هـو كمـا أثْنَى على نفسِه، وأنـه يسـتحقُّ أن يُعْبَـدَ لذاتِـه، ويُحَبَّ لذاتِه، ويُشْكَرَ لذاته، وأنـه سـبحانَه يُحِبُّ نفسَـه ويُثـني على نفسِه ويحمدُ نفسَـه، وأن محبَّتَـه لنفسِـه وحمـدَه لنفسِـه وثنـاءَه على نفسِـه وتوحيـدَه لنفسِـه، هـو في

---

1 (?) مسلم (620)، وأبو داود (3567).

الحقيقةِ الحمدُ والثناءُ والحبُّ والتوحيدُ؛ فهو سبحانه كما أَثْنَى على نفسِه، وفوقَ ما يُثْنِي به عليه خلقُه.

وهو سبحانه كما يُحِبُّ ذاتَه يحبُّ صفاتِه وأفعالَه، فكلُّ أفعالِه حسنٌ محبوبٌ، وإن كانَ في مفعولاتِه ما يُبْغِضُهُ ويكرهُه، فليس في أفعالِه ما هو مكروهٌ مسخوطٌ، وليسَ في الوجودِ ما يُحَبُّ لذاتِه ويُحْمَدُ لذاتِه إلا هو سبحانَه. وكل ما يُحَبُّ سواهُ، فإنْ كانَتْ محبَّتُه تابعةٌ لمحبتِه سبحانَه بحيثُ يُحَبُّ لأجلِه، فمحبَّتُه صحيحةٌ، وإلا فهي محبةٌ باطلةٌ. وهذا هو حقيقةُ الإلهيةِ؛ فإنَّ الإلهَ الحقَّ هو الذي يُحَبُّ لذاتِه ويُحْمَدُ لذاتِه. فكيفَ إذا انضافَ إلى ذلكَ إحسانُه وإنعامُه وحلمُه وتجاوزُه وعفوُه وبرُّه ورحمتُه؟

فعلى العبدِ أنْ يعلَمَ أنَّه لا إلهَ إلا اللهُ، فيحبُّه ويحمدُه لذاتِه وكمالِه، وأنْ يعلمَ أنَّه لا مُحْسِنَ على الحقيقةِ بأصنافِ النعمِ الظاهرةِ والباطنةِ إلا هو ، فيحبُّه لإحسانِه وإنعامِه، ويحمَدُه على ذلكَ؛ فيحبُّه من الوجهينِ جميعًا.

وكما أنَّه ليسَ كمثلِه شيءٌ، فليسَ كمحبَّتِه محبةٌ. والمحبَّةُ معَ الخضوعِ هي العبوديةُ التي خُلِقَ الخلقُ لأجلِها؛ فإنَّها غايةُ الحبِّ بغايةِ الذُّلِّ، ولا يصلحُ

ذلكَ إلَّا له سبحانَه. والإشراكُ به في هذا، هــو الشــركُ الذي لا يَغْفِرُه اللهُ، ولا يقبلُ لصاحِبِه عملًا.

وحمــدُه يتضــمَّنُ أصــلينِ: الإخبــارُ بمحامــدِه وصفاتِ كمالِه، والمحبةُ له عليها. فمَنْ أخـبرَ بمحاسـنِ غيرِه من غيرِ محبــةٍ لــه لم يَكُنْ حامــدًا. ومن أحبَّه من غير إخبارٍ بمحاسنِه لم يَكُنْ حامدًا حتى يجمَعَ الأمرينِ.

وهو سبحانَه يحمدُ نفسَه بنفسِه، ويحمدُ نفسَه بمــا يُجْرِيــهِ على ألســنةِ الحامــدينَ لــه من ملائكتِــه وأنبيائِه ورُســلِه وعبــادِه المؤمــنينَ؛ فهــو الحامــدُ لنفسِــه بهــذا وهذا؛ فإن حمدَهم له بمشيئتِه وإذنِه وتكوينِـه؛ فإنَّه هــو الذي جعلَ الحامدَ حامدًا، والمسلمَ مســلمًا، والمصــلِّيَ مصليًا، والتائبَ تائبًا؛ فمنــه ابتــدأتِ النعمُ وإليــه انتهَتْ، فابتدأَتْ بحمدِه وانتهَتْ إلى حمدِه.

وهو الذي ألهمَ عبدَه التوبةَ، وفرحَ بها أعظمَ فــرحٍ، وهي من فَضْلِه وجُــودِه. وألهمَ عبــدَه الطاعــةَ، وأعانَــه عليها، ثم أثابَه عليها، وهي من فَضْلِهِ وجودِه.

وهو سبحانَه غنيٌّ عن كلِّ ما سواهُ بكلِّ وجــهٍ، ومــا سواهُ فقيرٌ إليه بكلِّ وجهٍ، والعبدُ مفتقرٌ إليه لذاتِــهِ في الأسبابِ والغاياتِ؛ فإنَّ ما لا يكونُ بــه لا يكــونُ، ومــا لا

يكونُ له لا يَنْفَعُ.

* * *

أعرفُ الناسِ باللهِ[1]

من النــاسِ من يعــرفُ اللــهَ بــالجودِ والإفضــالِ والإحسانِ، ومنهم من يعرِفُه بـالعفوِ والحلمِ والتجـاوزِ، ومنهم من يعرفُه بالبطشِ والانتقامِ، ومنهم من يعرفُـه بالعلمِ والحكمـةِ، ومنهم من يعرفُـه بـالعزّةِ والكبريـاءِ، ومنهم من يعرفُه بالرحمـةِ والـبرِّ واللطـفِ، ومنهم من يعرفُه بالقهرِ والملكِ، ومنهم من يعرفُه بإجابـةِ دعوتِـه وإغاثةِ لهفتِهِ وقضاءِ حاجتِه.

وأعظمُ هـــؤلاءِ معرفـــةً: من عَرَفَـــه من كلامِه؛ فإنَّه يعرِفُ ربًّا قد اجتمعَتْ له صـفاتُ الكمـالِ ونعوتُ الجلالِ، مـنزَّهٌ عن المثـالِ، بـريءٌ من النقـائص والعيوبِ، له كلُّ اسمٍ حسنٍ وكـلُّ وصـفِ كمـالٍ، فعَّالٌ لما يريدُ، فوقَ كلِّ شيءٍ، ومع كـلِّ شـيءٍ، وقـادرٌ على كلِّ شيءٍ، ومقيمٌ لكلِّ شيءٍ، آمرٌ نـاهٍ، متكلمٌ بكلماتِـه الدينيةِ والكونيةِ، أكبرُ من كـلِّ شـيءٍ، وأجمـلُ من كـلِّ شـــيءٍ، أرحمُ الـــراحمينَ، وأقـــدرُ القـــادرينَ، وأحكمُ الحاكمينَ. فالقرآنُ أُنْزِلَ لتعريفِ عبادِه بـه، وبصـراطِه الموصلِ إليه، وبحالِ السالكينَ بعد الوصولِ إليه.

---

1 (?) الفوائد (ص:257).

* * *

الحمدُ من طرقِ تعظيمِ اللهِ تعالى

ومن الوسائلِ التي تُفضِي إلى تعظيمِ اللهِ تعالى وإجلالِه: كثرةُ حمدِه سبحانه وتعالى والثناءِ عليه سبحانه وشكرِه على نعمِه. وقدْ روى البخاريُّ عن أبي أمامةَ أنَّ النبيَّ كانَ إذا رَفَعَ مائدتَه قال: «**الحمدُ للهِ حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، غيرَ مكفيٍّ، ولا مودَّعٍ، ولا مستغنَىً عنه**».

فاللهُ تعالى لا يستطيعُ أحدٌ أن يكافِيه على إنعامِه أبدًا، لأنَّ شكرَه سبحانه هو نعمةٌ من نِعَمِه كما قيل:

إذا كان شُكري نعمةَ اللهِ نعمةً … عليَّ له في مثلِها يجبُ الشكرُ

فكيف وقوعُ الشكرِ إلا بفضلِه … وإنْ طالتِ الأيامُ واتَّصلَ العمرُ

إذا مسَّ بالسرَّاءِ عمَّ سرورُها … وإن مسَّ بالضرَّاءِ أعقبَها الأجرُ

فما منهما إلا لهُ فيه نعمةٌ … تضيقُ بها الأوهامُ والسِّرُّ والجهرُ

فالمعظِّمُ لربِّه عزوجل يعترفُ بقلبِه أنَّه لو أنفقَ جميعَ عمرِه في قيامِ الليلِ وصيامِ النهارِ ولم يَزَلْ

لسانُه رطبًا بذكرِ اللهِ، فإنَّه لا يستطيعُ تأديةَ شكرِ نعمةٍ واحـدةٍ منْ نعمِ اللـهِ عليـه. ومـعَ ذلـكَ فإنَّه يَجِبُ على العبدِ أن يَلْهَجَ بحمدِ اللـهِ تعـالى وشـكرِه والثنـاءِ عليـهِ وأن يقدِّمَ ذلكَ بين يَدَيْ دُعائِهِ وسؤالِه.

فإنَّ الحمدَ يتضمَّنُ مدحَ المحمـودِ بصـفاتِ كمالِـه، ونعوتِ جلالِه، معَ محبَّتِه والرِّضَا عنه، والخضوعِ له. فلا يكونُ حامدًا من جَحَدَ صفاتِ المحمودِ، ولا من أعـرضَ عن محبَّتِـه والخضـوعِ لـه. وكلَّمـا كـانت صـفاتُ كمـالِ المحمـودِ أكـثرَ كـان حمـدُه أكمـلَ، وكلمـا نقصَ من صـفاتِ كمالِـه نقصَ من حمـدِه بحَسَـبِها. ولهـذا كـانَ الحمدُ كلُّه للهِ حمـدًا لا يحصِـيهِ سِـوَاهُ، لكمـالِ صـفاتِه وكثرتِها. ولأجلِ هذا لا يُحْصِي أحدٌ من خلقِه ثناءً عليــه، لمـا لـه من صـفاتِ الكمـالِ، ونعـوتِ الجلالِ الـتي لا يحصِيها سِوَاهُ.

ومعلــومٌ بــالفِطَرِ والعقــولِ الســليمةِ والكُتُبِ السماويَّةِ: أنَّ فاقـدَ صـفاتِ الكمـالِ لا يكـونُ إلهًـا، ولا مدبِّرًا، ولا ربًّا، بل هو مـذمومٌ، معيبٌ نـاقصٌ، ليسَ لـه الحمدُ، لا في الأولى ولا في الآخـرةِ. وإنَّمـا الحمـدُ في الأولى والآخرةِ لمن له صفاتُ الكمالِ، ونعوتُ الجلالِ، التي لأجلِها استحَقَّ الحمدَ.

وكـذلكَ حمـدُه لنفسِـه على عـدمِ اتِّخَـاذِ الولـدِ المتضـمِّنِّ لكمـالِ صَـمَدِيَّتِه وغِنَـاه وملكِـه، وتعبيـدِ كـلِّ شيءٍ له. فاتِّخَاذُ الولـدِ يُنَـافِي ذلـكَ، كمـا قـال تعـالى: **﴿قَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُـوَ الْغَنِيُّ لَـهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ﴾** [يونس:68].

وحمدُ نفسِه على عدمِ الشريكِ، المتضـمِّنِ تفـرُّدِه بالربوبيَّةِ والإلهيَّةِ، وتوحُّدِه بصـفاتِ الكمـالِ الـتي لا يوصَفُ بها غيرُه، فيكونُ شريكًا لـه. فلـو عَـدِمَها لكـانَ كـلُّ موجـودٍ أكمـلَ منـه. لأنَّ الموجـودَ أكمـلُ من المعدومِ. ولهـذا لا يحمـدُ نفسَـه سـبحانه بعـدمٍ، إلا إذا كانَ متضمِّنًا لثبـوتِ كمـالٍ. كمـا حَمِـدَ نفسَـه بكونِـه لا يموتُ لتضمُّنِه كمالَ حياتِه.

وحَمِدَ نفسَه بكونِه لا تأخُذُه سنةٌ ولا نـومٌ، لتضـمُّنِ ذلك كمالَ قيوميَّتِه.

وحَمِـدَ نفسَـه بأنَّه لا يعـزُبُ عن علْمِـهِ مثقـالُ ذرةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ، لكمالِ علمِه وإحاطتِه.

وحَمِـدَ نفسَـه بأنَّه لا يظلِمُ أحـدًا، لكمـالِ عدلِـه وإحسانِه.

وحَمِدَ نفسَه بأنَّه لا تدركُه الأبصارُ، لكمالِ عظمَتِهـه، يُرى ولا يُدْرَكُ، كما أنه يُعْلَمُ ولا يُحَاطُ به علمًا. فمجـرَّدُ نفْيِ الرؤيةِ ليسَ بكمالٍ. لأنَّ العدمَ لا يُـرى. فليسَ في كونِ الشيءِ لا يُرَى كمالٌ ألبتةَ. وإنَّما الكمالُ في كونِه لا يحاطُ به رؤيةً ولا إدراكًا، لعظمَتِه في نفسِه، وتعلِّيـهِ عن إدراكِ المخلـوقِ لـه. وكـذلكَ حَمِـدَ نفسَـه بعـدمِ الغفلةِ والنسيانِ، لكمالِ علمِه.

فكـلُّ سَـلْبٍ في القـرآنِ حَمِـدَ اللـهُ بـه نفْسَـه فلمضادَتِه لثبوتِ ضِدِّه، ولتضمُّنِه كمالَ ثبوتِ ضِدِّهِ.

فعلمت أنَّ حقيقـةَ الحمـدِ تابعـةٌ لثبـوتِ أوصـافِ الكمالِ، وأنَّ نفيَها نفيٌ لحمدِه، ونفيُ الحمـدِ مسـتلزمٌ لثبوتِ ضدِّه[1].

* * *

---

1 (?) مدارج السالكين (1/26).

التفكرُ من طرقِ تعظيمِ اللهِ تعالى

فمن تعظيمِ اللهِ تبـاركَ وتعـالى: التفكـرُ في آياتِـه وآلائِه وبديعِ صُنْعِه كمـا قـالَ تعـالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْـلِ وَالنَّهَـارِ لآيَــاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَــابِ الَّذِينَ يَـذْكُرُونَ اللّــهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَـا خَلَقْتَ هَـذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران:190-191].

قال ابنُ كثير رحمـه اللـه: «ومعـنى الآيـةِ أن اللـهَ تعـــالى يقـــولُ: ﴿**إِنَّ فِي خَلْـــقِ السَّـــمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ أي هذه في ارتفاعِها واتساعِها، وهــذه في انخفاضِـها وكثافَتِهـا واتضـاعِها، ومـا فيهـا من الآيـاتِ المشاهَدَةِ العظيمةِ من كواكبَ سياراتٍ، وثوابتَ وبحارٍ وجبالٍ وقفـارٍ وأشـجارٍ ونبـاتٍ، وزروعٍ وثمـارٍ، وحيـوانٍ ومعادنَ، ومنـافعَ مختلفـةِ الألـوانِ والـروائحِ والطعـومِ والخواصِّ، ﴿**وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ أي تعاقُبُهما وتقارضُهما الطولَ والقِصَرَ، فتارةً يطـولُ هـذا ويقصُـرُ هذا، ثم يعتدلانِ ثم يأخذُ هذا من هذا فيطولُ الذي كان قصـيرًا، ويقصُـرُ الـذي كـانَ طـويلًا. وكـلُّ ذلـك تقـديرُ

العزيـزِ العليمِ، ولهـذا قـال تعـالى: **﴿لآيَـاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ﴾** أي العقولِ التامةِ الذكيةِ التي تُدركُ الأشياءَ بحقائِقِها على جليَّاتِهـا، وليسُـوا كالصُـمِّ البُكْمِ الـذين لا يعقلـــــونَ، الــــذين قـــــال اللـــــه فيهم: **﴿وَكَـأَيِّنْ مِنْ آيَـةٍ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُـرُّونَ عَلَيْهَـا وَهُمْ عَنْهَـا مُعْرِضُـونَ * وَمَـا يُـؤْمِنُ أَكْثَـرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْـرِكُونَ﴾** [يوسف:105-106]، ثم وصف تعالى أولي الألباب، فقـال: **﴿الَّذِينَ يَـذْكُرُونَ اللّـهَ قِيَامـاً وَقُعُـوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ﴾**. كما ثبت في صحيحِ البخـاريِّ عن عمـرانَ بن حصينٍ: أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: «**صلِّ قائمًا، فـإن لم تسـتطعْ فقاعـدًا، فـإن لم تسـتطعْ فعلى جَنْبٍ**»[1] أي لا يقطعـونَ ذكـرَه في جميـعِ أحـوالِهم بسرائرِهم وضمائرِهم وألسنتِهم، **﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** أي يفهمـونَ مـا فيهمـا من الحِكَمِ الدالةِ على عظمـةِ الخـالقِ وقدرتِـه وعلمِـه وحكمتِه واختيارِه ورحمتِه.

وقال الشيخُ أبو سليمانَ الدارانيُّ: إني لأخـرجُ من منزلي فما يقـعُ بصـري على شـيءٍ إلا رأيتُ للـهِ عليَّ

[1] (?) رواه البخاري (1050)، وأبو داود (815).

فيه نعمةً ولي فيه عبرةٌ. رواه ابنُ أبي الدنيا في كتابِ التوكلِ والاعتبارِ.

وعن الحسنِ البصريِّ أنـه قـالَ: تفكُّرُ سـاعةٍ خـيرٌ من قيامِ ليلـةٍ، وقـال الفضـيلُ: قـال الحسـنُ: الفكـرةُ مرآةٌ تريك حسناتِك وسيئاتِك.

وقال سفيانُ بن عيينةَ: الفكرةُ نورٌ يدخلُ قلبَك وربَّما تمثَّل بهذا البيتِ:

إذا المرءُ كانت له فكرةٌ ففي كلِّ شيءٍ لهُ عبرةٌ

وعن عيسى عليه السـلام أنـه قـال: «طُـوبى لمن كانَ قيلُه تذكُّرًا وصمتُه تفكرًا، ونظرُه عِبَرًا».

قـال لقمـانُ الحكيمُ: «إن طـولَ الوحـدةِ ألهمُ للفكرةِ، وطولَ الفكرةِ دليلٌ على طرقِ بابِ الجنةِ».

وقال وهبُ بنُ منبهٍ: «ما طـالت فكـرةُ امـريءٍ إلا فَهِمَ، ولا فَهِمَ امرؤٌ قطُّ إلا عَلِمَ، ولا عَلِمَ امـرؤٌ قـطُّ إلا عَمِلَ». وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيـزِ: «الكلامُ بـذكرِ اللـهِ عزوجل حسنٌ، والفكرةُ في نعمِ اللهِ أفضلُ العبادةِ».

وقـال مغيثٌ الأسـودُ: «زورُوا القبـورَ كـلَّ يـومٍ تُفَكِّرُكم، وشـاهدُوا الموقـفَ بقلـوبِكم، وانظـرُوا إلى المنصـرفِ بـالفريقينِ إلى الجنـةِ أو النـارِ، وأشـعِرُوا

قلوبَكم وأبدانَكُم ذكرَ النارِ ومقامِعَها وأطباقَها».

وعنِ ابن عباسٍ أنه قال: «ركعتانِ مقتصــدتانِ في تفكرٍ، خيرٌ من قيامِ ليلةٍ والقلبُ ساهٍ».

وقال الحسنُ البصريُّ: «يــا ابنَ آدمَ، كــلْ في ثلثِ بطنِــك، واشــربْ في ثلثِــه، ودعْ ثلثَــه الآخــرَ تتنفسُ للفكرةِ».

وقــال بعضُ الحكمــاءِ: «من نظــرَ إلى الــدنيا بغــيرِ العبرةِ، انطمس من بصرِ قلبِه بقدرِ تلك الغفلةِ».

وقال بشرُ بنُ الحــارثِ الحــافي: «لــو تفكَّر النــاس في عظمةِ اللهِ تعالى لما عَصَوْهُ».

وقــال الحســنُ عن عــامرِ بنِ عبــدِ قيسٍ، قــال: «ســمعتُ غــيرَ واحــدٍ ولا اثــنينِ ولا ثلاثــةٍ من أصــحابِ النــبيِّ يقولــونَ: إن ضــياءَ الإيمــانِ أو نــورَ الإيمــانِ التفكُّرُ».

وعن عيسـى عليـه السـلام أنـه قـال: «يـا ابنَ آدمَ الضعيفَ اتـقِ اللـهَ حيثمـا كنتَ، وكن في الـدنيا ضـيفًا، واتخــذ المســاجدَ بيتًــا، وعلِّم عينَيْــك البكــاءَ، وجســدَك الصبْرَ، وقلبَكَ الفِكْرَ، ولا تهتمّ برزقِ غدٍ».

وعن أميرِ المؤمنينَ عمرَ بنِ عبدِ العزيــزِ، أنــه بكى

يومًا بين أصحابِه، فسُئل عن ذلك، فقال: «فكـرتُ في الدنيا ولذاتِها وشـهواتِها، فـاعتبرتُ منهـا بهـا، مـا تكـادُ شـهواتُها تنقضـي حـتى تكـدِّرَها مرارتُهـا، ولئن لم يكن فيها عبرةٌ لمن اعتبر إنَّ فيها مواعظَ لمن ادَّكَرَ».

وقال ابنُ أبي الدنيا: «أنشدني الحسين بن عبد الرحمن:

نزهةُ المؤمنِ الفِكر	**لذةُ المؤمنِ العِبَر**
نحمدُ اللهَ وحدَه	**نحنُ كلٌّ على خَطَر**
ربَّ لاهٍ وعمرُه	**قد تقضَّى وما شَعَر**
رُبَّ عيشٍ قد كان فو	**قَ المنى مونَقَ الزَّهَر**
في خريرٍ من العُيو	**نِ وظلٍ من الشَّجَر**
وسرورٍ من النَّبَا	**تِ وطيبٍ من الثَّمَر**
غيَّرتْه وأهلَه	**سرعةُ الدهرِ بالغِيَر**

نحمدُ الله وحدَه	**إن في ذا لمعتَبَر**
إنَّ في ذا لعِبْرةٌ	**للَّبيبِ إن اعتَبَر**

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبرُ بمخلوقاتِه الدالةِ على ذاتِه وصفاتِه وشرعِه وقدرِه وآياتِه، فقال: ﴿**وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**﴾ [يوسف:105-106]، ومدح عبادَه المؤمنينَ: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ قائلين: ﴿ **رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـذا بَاطِلاً**﴾ أي ما خلقْتَ هذا الخلقَ عبثًا، بل بالحقِّ لتجْزِيَ الذي أساؤوا بما عمِلوا، وتجزي الذين أحسَنوا بالحسْنى، ثم نَزَّهُوهُ عن العبثِ وخلقِ الباطلِ، فقالوا: ﴿**سُبْحَانَكَ**﴾ أي عن أن تخلقَ شيئًا باطلًا ﴿**فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ أي يا من خلق الخلقَ بالحقِّ والعدلِ، يا من هو منزَّهٌ عن النقائصِ والعيبِ والعبثِ. قِنَا من عذابِ النارِ بحولِك وقوتِك وقَيِّضْنَا لأعمالٍ ترضَى بها عنا. ووفِّقْنَا لعملٍ

صالحٍ تهدينا به إلى جناتِ النعيمِ، وتجيرنا به من عذابِك الأليم»[1].

* * *

1 (?) تفسير ابن كثير (1/570-572) باختصار.

وفي أنفسِكم أفلا تُبصرون

تفكَّرْ في نفسِك أيُّهـا الإنسـانُ.. أين كنتَ؟ وكيـف جئتَ؟ ومم خلقتَ؟ قــال تعــالى: ﴿**وَلَقَـدْ خَلَقْنَـا الإِنْسَـانَ مِن سُـلاَلَةٍ مّن طِينٍ* ثُمّ جَعَلْنَـاهُ نُطْفَـةً فِي قَـرَارٍ مّكِينٍ* ثُمّ خَلَقْنَـا النّطْفَـةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْـغَةَ عِظَامـاً فَكَسَـوْنَا الْعِظَـامَ لَحْمـاً ثُمّ أَنشَـأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللّـهُ أَحْسَـنُ الْخَـالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ**﴾ [المؤمنون:12-16].

فالإنسـانُ إذا تفكَّر بعقلِـه في نفسِـه رآهـا مـدبَّرةً وعلى أحوالٍ شتَّى مُصَرَّفة.. كان نطفـةً، ثم علقـةً، ثم مضغةً، ثم لحمًا وعظمًا.. فيعلمُ ـ بهذا الفكـرِ ــ أنـه لم ينتقِلْ من حـالِ النقصِ إلى حـالِ الكمـالِ، لأنَّه لا يقـدرُ على أن يحـدثَ لنفسِـه في الحـالِ الأفضـلِ الـتي هي كمالُ عقلِه وبلوغِ أشدِّه عُضْوًا من الأعضاءِ، ولا يمكنُـه أن يزيد في جوارحِه جارحـةً، فيدلُّه ذلـك على أنـه في حالِ نقصِه وأوانِ ضعفِه على فِعل ذلك أعجزُ.

وقـد يـرى نفسَـه شـابًّا ثم كهلًا، ثم شـيخًا وهـو لم

ينقِــلْ نفسَــه من حــالِ الشــبابِ والقــوةِ إلى حــالِ الشيخوخةِ والهـرمِ، ولا اختـارَه لنفسِـه، ولا في وُسْـعِه أن يزايلَ حالَ المشيبِ ويراجعَ قوةَ الشبابِ.

فيعلمُ بذلك أنه ليس هو الـذي فعـلَ تلـكَ الأفعـالَ بنفسِه، وأنَّ له صانعًا صنَعَه، وناقلًا نَقَلَـهُ من حـالٍ إلى حالٍ، ولولا ذلك لم تتبدلْ أحوالُه بلا ناقلٍ ولا مدبرٍ.

وقـالَ بعضُ الحكمـاءِ: إن كـلَّ شـيءٍ في العـالمِ الكبـيرِ لـه نظـيرٌ في العـالمِ الصـغيرِ الـذي هـو بـدنُ الإنسانِ ولـذلك قـال تعـالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذرايات:21].

- والسمعُ والبصرُ منها بمنزلةِ الشـمسِ والقمـرِ في إدراكِ المدركاتِ بها.
- وأعضاؤُه تصيرُ عند البِلى ترابًا من جنسِ الأرضِ.
- وفيــه من جنسِ المــاءِ العــرقُ وســائرُ رطوبــاتِ البدنِ.
- ومن جنسِ الهواءِ فيه الروحُ والنفسُ.
- ومن جنسِ النارِ فيه المرةُ الصفراءُ.
- وعروقُه بمنزلةِ الأنهارِ في الأرضِ.

- وكَبِدُه بمنزلةِ العيونِ التي تستمدُّ منهـا الأنهـارُ لأن العروقَ تستمدُّ من الكبدِ.
- ومثانَتُه بمنزلةِ البحرِ؛ لانصبابِ ما في أوعيةِ البـدنِ إليها، كما تنصبُّ الأنهارُ إلى البحرِ.
- وعظامُه بمنزلةِ الجبالِ التي هي أوتادُ الأرضِ.
- وأعضـاؤُه كالأشـجارِ، فكمـا أنَّ لكـلِّ شـجرةٍ ورقًـا وثمرًا، فَلِكُلِّ عضوٍ فعلٌ أو أثرٌ.
- والشعرُ على البدنِ بمنزلةِ النباتِ والحشيشِ على الأرضِ.
- ثمَّ إنَّ الإنسـانَ يحكي بلسـانِه كـلَّ صـوتِ حيـوانٍ، ويحاكِي بأعضائِه صنعَ كلِّ حيوانٍ.

فهـو العـالمُ الصـغيرُ مـع العـالمِ الكبـيرِ، مخلـوقٌ مُحدَثٌ لصانعٍ واحدٍ لا إلهَ إلا هُو[1].

قـــال قتـــادةُ في قولِـــه تعـــالى: ﴿**وَفِي أَنْفُسِـكُمْ أَفَلا تُبْصِـرُونَ**﴾ قـالَ: «من تفَكَّرَ في نفسِـه علِمَ أنَّه خُلِـقَ ليَعْبُـدَ اللـهَ»، وقـال ابنُ الزبـيرِ ومجاهدٌ: «المرادُ: سبيلُ الخلاءِ والبولِ».

---

1 (?) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (2/202).

وقــال الســائبُ بنُ شــريكٍ: «يأكــلُ ويشــربُ من مكانٍ واحدٍ ويُخْرِجُ من مكانينِ».

ولو شَرِبَ لبنًا محضًا لخرجَ منه الماءُ ومنهُ الغائطُ.

وقــال ابنُ زيــدٍ: «المعــنى أنَّه خلقَكُم من تــرابٍ وجعـلَ لكمُ السـمعَ والأبصـارَ والأفئـدةَ ﴿**ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ**﴾ [الروم:20]».

وقـــال الســـدِّيُّ: ﴿**وَفِي أَنْفُسِــكُمْ**﴾ أي: «في حياتِكُم وموتِكم وفيما يدخلُ ويخرجُ من طعامِكم».

وقال الحسنُ: «في الهرمِ بعدَ الشـبابِ، والضـعفِ بعدَ القوَّةِ، والشيبِ بعدَ السوادِ».

وقيلَ المعنى: وفي خلقِ أنفسِكم من نطفةٍ وعلقةٍ ومُضْـــغةٍ ولحمٍ وعظمٍ إلى نفخِ الـــروحِ، وفي اختلافِ الألســنةِ والألــوانِ والصــورِ إلى غــيرِ ذلــكَ من الآيــاتِ الباطنةِ والظاهرةِ، وحسبُكَ بالقلوبِ وما ركَزَ فيهــا من العقولِ، ومــا خُصَّـت بــه من أنــواعِ المعـاني والفنـونِ، وبالألســـنِ والنطـــقِ ومخـــارجِ الحـــروفِ، والأبصـــارِ والأطرافِ، وسائرِ الجوارحِ، وتأتيها لما خُلقتْ لـه، ومـا سـوَّى في الأعضــاءِ من المفاصــلِ للانعطــافِ والتثَنِّي ﴿**فَتَبَارَكَ اللّهُ أَحْسَنُ الْخَـالِقِينَ**﴾ [المؤمنــون:14]، وقوله: ﴿**أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ يعني بَصَـرَ القلبِ، ليعرِفُـوا

كمال قدرة الخالق[1].

أراد رجلٌ أن يحاجَ الإمامَ عليًّا رضي الله عنه فوقفَ وقال: «يا عليّ! إني سائلُك.. فقال الإمام: سلْ تفقهًا ولا تسأل تعنُّتًا. فقالَ الرجلُ: أنت حَمَلْتني على ذلك ثم قال: هل رأيتَ ربَّك يا عليّ؟ قال: ما كنتُ أعبد ربًّا لم أرَه! فقال الرجلُ: كيف رأيته؟ قال: لم تَرَهُ العيونُ بمشاهدةِ العيانِ، ولكن رأتْه القلوبُ بحقيقةِ الإيمانِ، ربي واحدٌ لا شريكَ له، أحدٌ لا ثانيَ له، فردٌ لا مِثلَ له، لا يحويه مكانٌ، ولا يداولُه زمانٌ، لا يُدْرَكُ بالحواسِّ، ولا يُقَاسُ بالقِيَاسِ»[2].

قال عليّ رضي الله عنه:

دواؤُك فيكَ وما تبصرُ	**وداؤُك منكَ وما تشعرُ**
وتزعمُ أنَّك جرمٌ صغيرٌ	**وفيكَ انطَوَى العالمُ الأكبرُ**

فمن تأمل في ذاتِه، وتفكَّرَ في صفاتِه ظهرت له عظمةُ باريه، وآياتُ مُبْدِيه..

فسبحانه من ربٍّ لا يُضَاهَى، ومنانٍ لا يُحصَى

1 (?) انظر: المصدر السابق (17/40).
2 (?) تفسير روح البيان (9/128).

كرمُهُ ولا يتناهى، ونحن في تيارِ بحـرِ جـودِه سـابحونَ، وعن إقامةِ مراسمِ شُكْرِهِ قاصرونَ. وما أحسـنَ قـولَ بعضِ العـارفينَ: أنـه تعـالى يملـكُ عبـادًا غـيرَك، وأنت ليس لـك ربٌّ سـواه ثم إنـك تتسـاهلُ في خدمَتِـهِ، والقيامِ بوظائفِ طاعتِهِ، كأنَّ لـك ربًّا بـل أربابًـا غـيرَه، وهو سبحانه يعتني بتربيتِك حتى كأنه لا عبدَ له سـواك، فسبحانَه ما أتمَّ تربيتَه، وأعظمَ رحمتَه[1].

إليك إلهَ الخلقِ أرفعُ رغبتي — وإن كنتُ ياذا المنِّ والجودِ مجرمًا

ولما قَسَا قلبي وَضَاقَتْ مذَاهبي — جعلتُ الرَّجا مِني لعفوكَ سُلَّمًا

تعاظَمَنِي ذنبي فلما قرنتُه — بعفْوِكَ ربِّي كان عفوُكَ أعظَمَا

وما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنبِ لم تَزَلْ — تجُودُ وتعفُو مِنَّةً وتكرُّما

ولولاكَ لم يصمدْ بإبليسَ عابدٌ — فكيفَ وقد أغْوَى صفيَّكَ آدمَا

فيا ليتَ شِعْرِي هل أصيرُ لجنةٍ — فَأَهْنَا وأما للسعيرِ فأنْدَمَا

---

1 (؟) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسـبع المثـاني) لأبي الفضل محمود الألوسي.

وإني لآتِي الذنبَ أعرفُ قدرَه ... وأعلمُ أن اللهَ يعفُو ويرحَمَا

فإن تعفُ عني تعفُ عن متمردٍ ... ظلُومٍ غشُومٍ لا يزايلُ مأثَمًا

وإن تنتقِمْ مني فلستُ بآيسٍ ... ولو أُدْخِلَتْ نفسي بجُرمي جهنَّمَا

* * *

عنايةُ اللهِ بالإنسانِ

جاء في بعضِ الآثارِ: يا ابن آدم! أنَّى تعجـزُني وقـد خلقتُـك من نطفــةٍ، ثم من علقــةٍ، ثمَّ من مضــغةٍ، ثم نفختُ فيك الروحَ، وجعلتُ لك مُتَّكأً عن يمينِك، ومتَّكــأً عن شــمالِك. فالــذي عن يمينِــك الكبــدُ، والــذي عن شمالِك الطحالُ، وجعلتُ وجهك إلى ظهرِ أمِّك حـتى لا تفزَعَ من الرَّحِمِ، وغشَّيتُ وجهَك بغشاءٍ حتى لا تؤذيــكَ رائحةُ الطعامِ، ورزقتُـك وأنتَ في بطنِ أمِّك. حـتى إذا جاءَ وقتُ خروجِـك إلى الـدنيا، أمـرتُ الملـكَ الموكَّلَ، فأخرجَـك إلى الأرضِ، ليسَ لــكَ يــدٌ تبطِشُ، ولا رِجْـلٌ تسعَى بهـا، ولا سـنٌّ يقطَـعُ. وأنبتُّ لـك في صَـدْرِ أمِّك عرقَيْنِ رقيقينِ يُغَذِّيَانِكَ بلبنٍ سـائغٍ، بـاردٍ في الصـيفِ، دافئٍ في الشتاءِ. وقذفتُ محبَّتَك في قلبِ والدَيْكَ، فلا يأكلانِ حتى تأكلَ، ولا يشربانِ حتى تشربَ، ولا يرقدانِ حـتى ترقــدَ، حـتى إذا اشــتدَّ عــودُك، وقَــوِيَ جســمُك بارَزْتَني بالمعاصي، ولم تستحِ منِّي! ومعَ ذلــك إن تبتَ إليَّ قبلتُــك، وإن ســألتَنِي أعطيتُــك، وإن اســتَغْفَرْتَنِي غفرتُ لكَ، وأنا الرحمنُ الرحيمُ.

﴿أَوَلَمْ يَـــــــــرَ الإنسَـــــــــانُ أَنَّا

خَلَقْنَـــاهُ مِنْ نُطْفَـــةٍ فَـــإِذَا هُـــوَ خَصِـــيمٌ مُبِينٌ* وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ* قُـلْ يُحْيِيهَـا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُـلِّ خَلْـقٍ عَلِيم [يس: 77-79].

عن بُسرِ بن جِحَاشٍ القرشيِّ أنَّ النبيَّ بزقَ يومًا في كفِّهِ، فوضَع عليها أصـبعَه، ثم قـالَ: «**قـالَ اللـهُ: ابنَ آدمَ! أنَّى تُعجِزُني، وقـد خلقْتُـك من مثـلِ هـذه.. حـتى إذا سـوَّيتُك وعـدَّلتُك مشـيتَ بين بـردين، وللأرضِ منـك وئيـدٌ، فجَمعتَ ومنعتَ.. حــتى إذا بلغَتِ الــتراقِيَ قلتَ: أتصــدَّقُ، وأنَّى أوانُ الصدقةِ**» [رواه أحمد].

قال ابنُ الجـوزيِّ: « وجميـعُ الموجـوداتِ من آثـارِ قدرتِــه.. وأعجبُ آثــارِ الآدميّ، فإنــك إذا تفكــرتَ في نفسِك كَفَى، وإذا نظرتَ في خلقِـك شَـفَى! أليس قـد فعـلَ في قطـرةٍ من مـاءٍ مـا لـو انقَضَـتِ الأعمـارُ في شرحِ حكمَتِه ما وفَّتْ؟

كـانتِ النقطـةُ مغموسـةً في دمِ الحيضِ ومقيـاسُ القدرةِ يشقُّ السَّمْعَ والبصرَ!

خلـق منهـا ثلاثمائـةٍ وسـتينَ عظمًـا، وخمسـمائةٍ وتسعًا وعشرينَ عَضَلَةً، كلٌّ من ذلك تحتَه حكمةٌ.

فـالعينُ سـبعُ طبقـاتٍ، وأربعـةٌ وعشـرينَ عضـلةً لتحريكِ حَدَقَةِ العينِ وأجفانِها، لـو نُقِصَـتْ منهـا واحـدةٌ لاختلَّ الأمرُ.

وأظهرَ في سوادِ العينِ على صِغَرِه صورةَ السـماءِ مع اتساعِها.

وخالفَ بينَ أشكالِ الحناجرِ في الأصواتِ.

وسخَّر المعدةَ لإنضاجِ الغذاءِ.

والكبدَ لإحالتِه إلى الدمِ.

والطحالَ لجذبِ السوداءِ.

والمرارةَ تناولُ الصفراءَ كلَّها.

والعـروقَ كالخـدمِ للكبـدِ، تنفـذُ منهـا الـدماءُ إلى أطرافِ البدنِ.

فيا أيُّها الغافلُ! ما عندكَ خبرٌ منك، فما تعرفُ من نفسِـكَ إلا أن تجـوعَ فتأكـلَ، وتشـبعَ فتنـامَ، وتغضـبَ فتخاصِمَ، فبماذَا تميزتَ على البهائمِ؟!

انظر حولَك.. تأملاتٌ في الكونِ والآفاقِ

ارفـعْ بصـرَ فِكْـرِكَ إلى عجـائبِ السـمواتِ، فتلمَّح الشمسَ في كلِّ يـومٍ في مـنزلٍ، فـإذا انخفَضَـتْ بَـرَدَ الهواءُ وجاءَ الشتاءُ، وإذا ارتفَعَتْ قَوِيَ الحرُّ، وإذا كانت بين المنزلتينِ اعتدلَ الزمانُ.

ثم اخفِضْ بَصَرَكَ إلى الأرضِ، ترى فِجَاجَهـا مذلَّلـةً للتســخيرِ، ﴿**فَامْشُــوا** فِي **مَنَاكِبِهَا**﴾ [الملــك:15]، وتفكَّروا في شُربِها بعد جَدْبِها بكأسِ القطرِ.

وتلمَّحْ خروجَ النبـاتِ يرفُـلُ في ألـوانِ الحُلـلِ على اختلافِ الصورِ والطعومِ والأراييحِ.

وانظرْ كيفَ نَزَلَ القطرُ إلى عِرقِ الشَّـجَرِ، ثم عـاد ينجـذبُ إلى فروعِهـا، ويجـري في تجاويفِهـا بعـروقٍ لا تفتقِرُ إلى كُلْفَةٍ.

فلا حظَّ للغافـلِ في ذلـك إلا سـماعُ الرعـدِ بأذنِـه، ورؤيةِ النباتِ والمطرِ بعينيه.. كلا! لو فُتح بصرُ البصيرةِ لقرأَ على كلِّ قطرةٍ خطًّا بالقلمِ الإلهِيِّ: أنَّها رزقُ فلانٍ في وقتِ كذا!!

ثم انظُرْ إلى المعادنِ لحاجاتِ الفقيرِ إلى المصالحِ، فمنها مودعٌ كالرصاصِ والحديدِ، ومنهـا مصـنوعٌ بسـببِ غيرِه كالأرضِ السبخةِ، يُجمـعُ فيهـا مـاءُ المطـرِ فيصـيرُ مِلْحًا.

وانظرْ إلى انقسامِ الحيواناتِ ما بين طائرٍ ومـاشٍ وإلهامِها ما يُصلِحُها.

وانظرْ إلى بُعْدِ مـا بين السـماءِ والأرضِ، كيـف ملأَ ذلكَ الفراغَ هواءً، لتستنشقَ منه الأرواحُ، وتَسْبَحَ الطير في تيَّارِه إذا طارَتْ.

وانظرْ بفكرِك إلى سَعَةِ البحرِ وتسخيرِ الفُلكِ فيه، وما فيه من دابةٍ.

قـال يحـيى بنُ أبي كثـيرٍ: خلـقَ اللـهُ ألـفَ أمـةٍ، فأسْكَنَ ستمائةٍ في البحرِ، وأربعمائةٍ في البرِّ.

واعجبًـا لـك! لـو رأيتَ خطًّا مستحسَـنَ الـرَّقْمِ، لأدرَكَك الدهشُ من حكمـةِ الكـاتبِ، وأنت تَـرَى رقـومَ القدرةِ ولا تعرفُ الخالقَ، فإن لم تَعْرِفْهُ بتلك الصـنعةِ، فتَعَجَّبْ كيف أعْمَى بصيرتَك مع رؤيةِ بصرِك![1].

فسـبحانَك يـا ربَّنـا.. يـا من سـبحتْ لـه الكائنـاتُ.. وسـجدَ لـه الصـخرُ والنباتُ.. وتدكدَكَتْ لخشيتِه الجبالُ الراسياتُ..

ويهتفُ حمدًا جمالُ الصباحِ — **وسِحرُ الربيعِ الشهيُّ العَطِر**

وسِحْرُ السماءِ الشَّحيُّ الوديعُ — **وهمسُ النسيمِ ولحنُ المَطَر**

---

1 (?) انظر: التبصرة لابن الجوزي (/59-61).

تُسبِّحُه نغماتُ الطيورِ **يُسبِّحُه الظلُّ تحتَ الشَّجَر**

يُسبِّحه النبعُ بين المروجِ **يسبِّحُ دومًا أريجُ الزَّهَر**

يسبِّحه النورُ بين الغصونِ **وسِحْرُ المساءِ وضوءُ القَمَر**

قــال الإمــامُ ابنُ الجــوزيِّ: عَــرض لي في طريــقِ الحجِّ خــوفٌ من العــربِ، فَسِــرْنَا على طريــقِ خيــبرٍ، فرأيتُ من الجبالِ الهائلةِ والطرقِ العجيبةِ ما أذهَلَنِي.. وزادتْ عظمــةُ الخــالقِ عزوجل في صَــدْرِي، فصــارَ يعرِضُ لي عند ذكـرِ تلـك الطـرقِ نـوعُ تعظيمٍ لا أجـدُه عند ذكرِ غيرِهَا.

فصحتُ بـالنفسِ: ويحـكِ! اعبُـرِي إلى البحـرِ، وانظري إليه وإلى عجائِبِه بعينِ الفكْرِ، تُشاهدِي أهــوالًا هي أعظمُ من هذه.. ثم اخـرُجي عن الكـونِ، والتفـتي إليه، فإنكِ ترينَه بالإضافةِ إلى السمواتِ والأفلاكِ كذرَّةٍ في فلاةٍ..

ثم جُــــولي في الأفلاكِ.. وطــــوفي حــــولَ العرشِ.. وتلمَّحِي ما في الجنانِ والنيرانِ.. ثم اخـرُجِي

عن الكــلِّ والتَفِتِي إليــه.. فإنــكِ تشــاهدينَ العــالَمَ في قبضةِ القادرِ الذي لا تَقِفُ قدرَتُـه عنـدَ حـدٍّ.. ثم التفِتِي إليـكِ.. فتلمَّحِي بـدايتكِ ونهايتَـكِ.. وتفكَّرِي فيمـا قبـل البدايــةِ وليس إلا العــدمُ.. وفيمــا بعــدَ البِلَى وليس إلا الترابُ!!

فكيـف يـأنسُ بهـذا الوجـودِ من نَظَـرَ بعينِ فكـرِهِ المبـدأَ والمنتَهَى؟ وكيـف تغفـلُ القلـوبُ عن ذكـرِ هـذا الإلهِ العظيمِ؟

باللهِ لو صَحَّت النفوسُ عن سُكْرِ هواها لذابتْ من خوفِــه.. أو لغــابَتْ في حبِّه.. غــيرَ أنَّ الحسَّ غَلَبَ .. فعظُمَتْ قدرةُ الخالقِ عندَ رؤية جبلٍ.. وإن الفطنةَ لــو تلمَّحتْ المعــانِيَ لـدلَّت القـدرةُ عليـه أوفى من دليـلِ الجبلِ. فسبحانَ من شغلَ أكثرَ الخلقِ بما هم فيه عمـا خُلِقوا له.. سبحانَه» [صيد الخاطر].

الفجرُ بدَّده الضحى وعلى الضحى شدَّ الأصِيل

والليلُ يدنو زحفُه فكأنما انَهَمَرَتْ سُيُول

أرخَى على الدنيا دُجَاهُ فعمَّ في الدنيا الذُّهُول

الصمتُ لوَّن هذه الدنيا
وغطَّاها خُمُول

والريحُ أعياها السُّرى والبدرُ
من ضعفٍ خَجُول

ونظرتُ من يَحْمِي الأنامَ
وعزَّ في الناسِ السبيلُ!

ونظرتُ من للنَّجْمِ يُمْسِكُه
فلا يخشَى أُفُول!!

ونظرتُ ثم نظرتُ ثم رأيتُ
كم حَارَتْ عُقُول

ونَظَرْتُ ثم نَظَرْتُ يا سبحانَ
ربِّي ما أقُول

وضحَ الدليلُ وغابَ عنا أنه
وَضَحَ الدَّلِيل

ولربما تَحْوِي يَدِي وأنا بما
تَحْوِي جَهُول!!

ذكر الحافظُ ابنُ رجبٍ عن بعضِ السلفِ أنه قرأَ في بعض الكتب المنزلةِ: «يقولُ اللهُ عزوجل: يؤمَّلُ غيري للشدائدِ.. والشدائدُ بيدِي.. وأنا الحيُّ القيومُ.. ويُرجَى غيري.. ويُطرقُ بابُه بالبُكرَاتِ! وبيدي مفاتيحُ

الخزائنِ.. وبابي مفتوحٌ لمن دعاني!!

من ذا الذي أمَّلني لنائبةٍ فقطعتُ به..

أو من ذا الذي رَجَاني لعظيمٍ فَقَطَعْتُ رَجَاءَه!!..

ومن ذا الذي طرقَ بابي فلم أَفْتَحْ له؟

أنا غايةُ الآمالِ.. فكيف تَنْقِطُعُ الآمالُ دوني؟!

أبخيلٌ أنا؟ فيبخِّلُني عَبْدِي!!

أليس الدنيا والآخرةُ والكرمُ والفضلُ كلُّه لي؟!

فما يمنعُ المؤمِّلينَ أن يؤمّلوني؟!

لـــو جمعتُ أهـــلَ الســـمواتِ وأهـــلَ الأرضِ.. ثم أعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم ما أعطيتُ الجميعَ.. وبلّغتُ كلَّ واحـــدٍ منهم أمَلَـــه.. لم يُنْقِصْ ذلـــك من مُلكي ذرةً.. وكيف يَنْقُصُ مُلكٌ أنا قيّمُهُ؟!

فيا بؤسًا للقَانِطِينَ من رَحْمَتِي!!

ويا بؤسًا لمن عَصَاني.. وتوثَّب على مَحَارِمي!!

* * *

تعظيمُ اللهِ تعالى من خلالِ أسمائِه وصفاتِه

لا شكَّ أنَّ من أعظمِ أسـبابِ تعظيمِ اللـه سـبحانه وتعالى: تدبُّرُ معانِي أسمائِهِ الحسْنَى وما تدلُّ عليه من صـفاتٍ ومـا توجِبُـهُ من آثـارٍ عظيمـةٍ، ولـذلكَ نَبَّهَ اللـهُ سـبحانه وتعـالى على التأمُّلِ والتـدبُّرِ في تلـكَ الآثـارِ فقـالَ في صـفةِ «الرحمـةِ»: ﴿**فَـانْظُرْ إِلَى آثَـارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَـا إِنَّ ذَلِـكَ لَمُحْيِي الْمَـوْتَى وَهُـوَ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [الروم:50].

فإذا جَهِلَ الإنسانُ معـانِيَ تلـكَ الأسـماءِ الحسْـنَى، وجَهِلَ ما تدلُّ عليه من صفاتٍ، كيفَ له أن يَعْرِفَ آثـارَ هـذهِ الأسـماءِ ويَنْتَفِـعَ بهـا فقـد قـال سـبحانه: ﴿**قُـلِ ادْعُـوا اللَّهَ أَوِ ادْعُـوا الـرَّحْمَنَ أَيًّا مَـا تَـدْعُوا فَلَـهُ الْأَسْـمَاءُ الْحُسْـنَى**﴾ [الإسـراء:110]، وقـال: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْـنَى فَـادْعُوهُ بِهَـا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ** فِي **أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأعراف:180].

والدعاءُ هنا يَتَضَمَّنُ نوعينِ:

أولًا: دعاءُ المسألةِ والطلبِ: وذلك بأن تُقَــدِّمَ بين يَـدَيْ دعائِك من أســماءِ اللــهِ مــا يكــونُ مناســبًا للمطلوبِ، كما قال ابنُ القيمِ: يسألُ في كلِّ مطلــوبٍ بمــا يكـونُ مقتضـيًا لـذلك المطلـوبِ، فيكـونُ السـائلُ متوسِّـلًا إليـه بـذلك الاسـمِ، ومن تأمَّلَ أدعيـةَ الرسـلِ وجدَها مطابقةً لهذا.

ثانيًا: دعاءُ الثناءِ والعبـادةِ: وذلـكَ بـأنْ تُمَجِّدَهُ وتُثْنِيَ عليــه بأســمائِهِ الحسْــنَى وأن تَتَعَبَّدَ للــهِ تعــالَى بمقتَضَى هذهِ الأسماءِ.

ولا شكَّ أن الجهلَ بمعانِي هـذه الأسـماءِ الحسْـنَى يمْنَعُ من الانتفاعِ بها في هذا البابِ.

وقدْ أكثرَ الإمامُ ابنُ القيمِ وأطابَ في ذكـرِ معـانِي أســماءِ اللــهِ الحسْــنَى، وتَبِعَــهُ في ذلــكَ الشــيخُ عبــدُ الرحمنِ بنِ سَعْدِيٍّ رحمهما الله[1]، وكان مما قالا:

* * *

1 (?) انظر: (ص:130) من هذا الكتاب.

نظراتٌ في الأسماءِ والصفاتِ وآثارِها

قال ابنُ القيمِ عن هـذا المشـهدِ: «وهـو من أجـلِّ المشاهدِ.

والمطَّلِعُ على هذا المشهدِ: معرفـةُ تعلـقِ الوجـودِ خلقًـا وأمـرًا بالأسـماءِ الحُسْـنَى، والصـفاتِ العُلَى، وارتباطُه بها. وإن كـان العَـالَم ــ بمـا فيـه ــ من بعضِ آثارِها ومقتضياتِها.

وهذا من أجلِّ المعارفِ وأشرفِها، وكلُّ اسمٍ من أسمائِه سبحانَه له صفةٌ خاصَّةٌ.

فإن أسماءَه أوصافُ مدحٍ وكمالٍ.

وكلُّ صفةٍ لها مقتضَىً وفِعْلٌ: إمَّا لازمٌ وإمـا مُتَعَـدٍّ، ولذلكَ الفعلِ تعلُّقٌ بمفعولٍ هـو من لوازِمِـهِ. وهـذا في خلقِهِ وأمـرِهِ، وثوابِـهِ وعقَابِـهِ. كـلُّ ذلـكَ آثـارُ الأسـماءِ الحسنَى وموجِبَاتُها.

ومن المحالِ تعطيلُ أسمائِه عن أوصـافِها ومعانِيها، وتعطيلُ الأوصافِ عمـا تقتضِـيهِ وتسـتَدْعِيه من الأفعالِ، وتعطيلُ الأفعالِ عن المفعولاتِ، كمـا أنـه يسـتحيلُ تعطيـلُ مفعولِـه عن أفعالِـه وأفعالِـه عن صفاتِه، وصفاتِه عن أسمائِه. وتعطيلُ أسمائِه وأوصافِه

عن ذاتِه.

وإذا كـانتْ أوصـافُه صـفاتِ كمـالٍ، وأفعالُـه حكمًا ومصالحَ، وأسماؤُه حُسْنَىً: ففـرضُ تعطيلِهـا عن موجباتِها مستحيلٌ في حقِّه.

ولهذا ينكـرُ سـبحانه على من عطَّلَـهُ عن أمـرِه ونهيِـه، وثوابِه وعقابِه، وأنه بذلكَ نسبَهُ إلى ما لا يليقُ به وإلى ما يتنزَّهُ عنه، وأنَّ ذلكَ حُكْمٌ سيِّئٌ ممن حكمَ به عليـه، وأنَّ من نسَـبَه إلى ذلـكَ فمـا قـدَرَهُ حـقَّ قَـدْرِه، ولا عظَّمَهُ حقَّ تعظِيمِه، كما قـال تعـالى: **﴿وَمَا قَـدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَـدْرِهِ إِذْ قَـالُواْ مَـا أَنـزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾** [الأنعـام:91]، وقـال تعـالى في حـقِّ مُنْكِرِي المعادِ والثوابِ والعقابِ: **﴿وَمَـا قَـدَرُوا اللَّهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾** [الزمـر: 67]، وقـالَ في حـقِّ من جَـوَّزَ عليـهِ التسـويةَ بينَ المختلفَيْنِ، كالأبرار والفجار، والمؤمنينَ والكفـار: **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُـوا السَّـيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ سَـوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَـاءَ مَـا يَحْكُمُـونَ﴾** [الجاثيـة: 21]، فأخبرَ أنَّ هذا حكمٌ سيِّئٌ لا يليقُ به، تَأبَاهُ أسـماؤُه وصفاتُه. وقال سبحانه: **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًـا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَـا لَا تُرْجَعُـونَ*فَتَعَـالَى اللَّهُ الْمَلِـكُ الْحَـقُّ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُـوَ رَبُّ الْعَـرْشِ**

الْكَــــرِيمِ [المؤمنــــون:115-116]، عن هـــــذا الظنِّ والحسبانِ، الذي تَأْبَاهُ أسماؤُه وصفاتُه.

ونظــائرُ هــذا في القــرآنِ كثــيرةٌ. يَنْفِي فيهــا عن نفسِهِ خلافَ موجبِ أسمائِه وصفاتِه. إذ ذلـك مسـتلزمٌ تعطيلَها عن كمالِها ومقتضياتِها.

فاسـمُهُ **(الحميدُ، المجيـدُ)** يمنـعُ تـركَ الإنسـانِ سُـــدًى مُهملًا معطَّلًا، لا يُـــؤمرُ ولا يُنهَى. ولا يثـــابُ ولا يعاقبُ.

وكذلك اسمُه **(الحكيمُ)** يأبَى ذلكَ. وكـذلكَ اسـمُه **(الملكُ)** واسـمُه **(الحيُّ)** يمنـعُ أنْ يكـونَ معطَّلًا من الفعلِ. بلْ حقيقةُ (الحياةِ) الفعلُ. فكلُّ حيٍّ فعَّالٌ.

وكونُه سبحانَهَ **(خالقًا قيومًا)** من موجباتِ حياتِه ومقتضياتِها.

واســمُه **(الســميعُ البصــيرُ)** يــوجبُ مســموعًا ومرئيًا.

واســمُهُ **(الخــالقُ)** يقتضِــي مخلوقًــا. وكــذلكَ **(الرزَّاقُ).**

واسمُهُ **(المَلِكُ)** يقتضي مملكةً وتصـرُّفًا وتـدبيرًا، وإعطاءً ومنعًا، وإحسانًا وعدْلًا، وثوابًا وعقابًا.

واسـمُهُ **(البَـرُّ المُحسـنُ، المُعطِي، المنَّانُ)** ونحوُها تقتضِي آثارَهَا وموجباتِها.

إذا عُـرِفَ هـذا. فمن أسـمائِه سـبحانَهُ **(الغفَّارُ، التوَّابُ، العفُوُّ)** فلا بدَّ لهذه الأسماءِ من متعلقـاتٍ، ولا بدَّ من جنايةٍ تُغْفَرُ، وتوبةٍ تُقْبَلُ، وجرائمَ يُعْفَى عنها.

ولا بـدَّ لاسـمِهِ **(الحكيمِ)** من متعلَّقٍ يظهـرُ فيـه حُكمُهُ، إذ اقتضاءُ هذه الأسـماءِ لآثارِهـا كاقتضـاءِ اسـمِ **(الخـالقِ، الـرزَّاقِ، المعطِي،المـانعِ)** للمخلـوقِ والمـرزوقِ والمعطى والممنـوعِ. وهـذه الأسـماءُ كلُّهـا حسْنَى.

والربُّ تعالى يحبُّ ذاتَـه وأوصـافَه وأسـماءَه. فهـو عَفُوٌّ يُحِبُّ العفوَ، ويحبُّ المغفرةَ، ويحبُّ التوبةَ، ويفرحُ بتوبةِ عبدِه حينَ يتوبُ إليهِ أعظَمَ فَرَحٍ يخطُرُ بالبالِ.

وكـان تقـديرُ مـا يغفِـرُه ويعفُـو عن فاعِلِـه، ويحلمُ عنـه، ويتـوبُ عليـه ويسـامِحُه: من مـوجبِ أسـمائِه وصفاتِه، وحُصولُ ما يحبُّه ويرضَاهُ من ذلك. وما يحمـدُ به نفسَه، ويحمَدُه به أهلُ سمواتِه وأهلُ أرضِه: مـا هـو من موجباتِ كمالِه ومقتَضَى حمدِه.

وهو سبحانَه: **(الحميدُ المجيـدُ)** وحمـدُه ومجـدُه

يقتضِيَانِ آثارَهُمَا.

ومن آثارِهِمَا: مغفرةُ الـزلَّاتِ، وإقالَـةُ العَثَـرَاتِ، والعَفْوُ عن السيئاتِ، والمسـامحةُ على الجنايـاتِ، مـع كمالِ القدرةِ على استيفاءِ الحقِّ، والعلمُ منـه سـبحانه بالجنايةِ ومقدارِ عقوبَتِها، فحِلمُهُ بعدَ علمِهِ، وعفوُهُ بعدَ قدرَتِهِ، ومغفرَتُـهُ عن كمـالِ عزَّتِـهِ وحكمَتِـهِ، كمـا قـال المسـيح عليـه السـلام: ﴿**إِنْ تُعَـذِّبْهُمْ فَـإِنَّهُمْ عِبَـادُكَ وَإِن تَغْفِـرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيـزُ الْحَكِيمُ**﴾ [المائدة:118]، أي فمغفرتُك عن كمالِ قدرتِكَ وحكمتِكَ، لستَ كمن يغفرُ عَجْـزًا، ويسـامحُ جَهْلًا بقـدرِ الحقِّ، بلْ أنت عليمٌ بحقِّكَ، قادرٌ على اسـتيفائِه، حكيمٌ في الأخذِ به.

فمن تأملَ سريانَ آثارِ الأسـماءِ والصـفاتِ في العالمِ، وفي الأمرِ، تـبيَّنَ لـه أن مصـدرَ قضـاءِ هـذه الجنايـاتِ من العبيـدِ، وتقـديرَها: هـو من كمـالِ الأسماءِ والصـفاتِ والأفعـالِ. وغاياتُهـا أيضًـا: مقتَضَـى حمدِه ومجدِه، كما هو مقتَضَى ربوبيَّتِهِ وإلهيَّتِهِ.

فلـه في كـلِّ مـا قَضَـاهُ وقَـدَّرَهُ الحكمـةُ البالغـةُ، والآيـاتُ البـاهرةُ، والتعرفـاتُ إلى عبـادِه بأسمائِه وصفاتِه، واسـتدعاءُ محبتِهم لـه، وذكـرِهم لـه،

وشكرِهم لـه، وتعبـدِهم لـه بأسـمائِه الحُسْـنَى. إذ كـلُّ اسمٍ فله تعبُّدٌ مختصٌّ به، علمًا ومعرفةً وحالًا.

وأكملُ الناسِ عُبوديةً: المتعبِّدُ بجميـعِ الأسـماءِ والصفاتِ التي يطلعُ عليهـا البشـرُ، فلا تحجُبُـه عبوديـةُ اسمٍ عن عبوديةِ اسمٍ آخرَ، كمنْ يَحْجُبُـهُ التعبـدُ باسـمِ **(القــديرِ)** عن التعبُّدِ باســمِ **(الحليمِ الــرحيمِ)** أو يحجُبُهُ عبوديـةُ اسـمِه **(المُعطِي)** عن عبوديـةِ اسـمِه **(المَنَّاعِ)** أو عبوديـــةِ اســـمِهِ **(الــرَّحيمِ والعفــوِّ والغفـورِ)** عن اسـمِه **(المنتقمِ)** أو التعبُّدُ بأسـماءِ (التودُّدِ، والبِرِّ، واللُّطفِ، والإحسانِ) عن أسماءِ (العدلِ، والجبروتِ، والعظمةِ، والكبرياءِ) ونحو ذلك.

وهذه طريقـةُ الكُمَّلِ من السـائرينَ إلى اللـهِ. وهي طريقةٌ مشتقةٌ من قلبِ القرآن. قال الله تعـالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعـراف: 180]، والدعاءُ بها يتناولُ دعاءَ المسـألةِ، ودعـاءَ الثنـاءِ، ودعاءَ التعبدِ.

وهو سبحانَه يدعُو عبـادَه إلى أن يعرفُـوه بأسـمائِه وصفاتِه، ويُثْنُوا عليه بها، ويأخذُوا بحظِّهِم من عبوديَّتِها.

وهو سبحانَه يحبُّ موجبَ أسمائِه وصفاتِه.

فهـو **(عليمٌ)** يحبُّ كـلَّ عليمٍ **(جَـوادٌ)** يُحبُّ كـلَّ جــوادٍ **(وتــرٌ)** يحبُّ الــوترَ **(جميــلٌ)** يحبُّ الجمــالَ

(**عَفُوٌّ**) يحبُ العَفْوَ وأهلَـهُ (**حَيِيٌّ**) يحبُّ الحيـاءَ وأهلَـهُ (**بَرٌّ**) يحبُّ الأبرارَ (**شكُورٌ**) يحبُّ الشـــاكرينَ (**صبورٌ**) يحبُّ الصابرينَ (**حليمٌ**) يحبُّ أهلَ الحلمِ.

فلمحبتِه سبحانَه للتوبةِ والمغفرةِ، والعفوِ والصفحِ: خلـقَ من يغفـرُ لـه، ويتوبُ عليهِ، ويعفُو عنه، وقدَّرَ عليه ما يقتَضِي وقوعَ المكروهِ والمبغوضِ لــه، ليترتبَ عليهِ المحبوبُ لهُ المرضِي له، فتوسُّطُه كتوسُّطِ الأسـبابِ المكرُوهَـةِ المفضِيَةِ إلى المحبوبِ.

فرُبَّما كان مكرُوهُ العبادِ إلى محبوبِها سببٌ ما مِثلُه سببُ

والأسبابُ ـ مع مسبَّباتِها ـ أربعةُ أنواعٍ:

محبوبٌ يُفضِي إلى محبوبٍ.

ومكروهٌ يُفضِي إلى محبوبٍ.

وهــذانِ النوعــانِ عليهمــا مــدارُ أقضــيتِهِ وأقــدارِه سبحانه بالنسبةِ إلى ما يحبُّه وما يكرَهُهُ.

والثالثُ: مكروهٌ يفضِي إلى مكروهٍ.

والرابعُ: محبوبٌ يفضِي إلى مكروهٍ.

وهــذانِ النوعــانِ ممتنعــانِ في حقِّه ســبحانَه، إذ الغاياتُ المطلوبةُ من قضَائِهِ وقدَرِهِ ـ الذي ما خَلَقَ مـا

خَلَقَ، ولا قَضَى ما قَضَى إلَّا لأجْلِ حُصُولِها ـ لا تكونُ إلا محبوبـةً للـربِّ مرضـيةً لـه. والأسـبابُ الموصِّـلَةُ إليهـا مُنقسمَةٌ إلى محبوبٍ له ومكروهٍ له.

فالطاعاتُ والتوحيدُ: أسبابٌ محبوبةٌ له، مُوصِلَةٌ إلى الإحسانِ، والثوابِ المحبوبِ له أيضًا.

والشـركُ والمعاصـي: أسـبابٌ مسـخوطةٌ لـه، مُوصِلَةٌ إلى العدلِ المحبوبِ له، وإنْ كانَ الفضـلُ أحبَّ إليه من العدلِ. فاجتماعُ العدلِ والفضلِ أحبُّ إليــه من انفرادِ أحدِهما عن الآخرِ، لمـا فيهمـا من كمـالِ المُلـكِ والحمدِ، وتنوعِ الثناءِ، وكمالِ القدرةِ.

فإن قيل: كان يمكنُ حصـولُ هـذا المحبـوبِ من غيرِ توسُّطِ المكروهِ.

قيلَ: هذا سؤالٌ باطـلٌ، لأنَّ وجـودَ الملـزومِ بـدونِ لازمِه ممتنعٌ. والذي يقدَّرُ في الذهنِ وجودُه شيءٌ آخــرَ غيرُ هذا المطلوبِ المحبوبِ للربِّ. وحكمُ الذهنِ عليــه بأنه محبوبٌ للربِّ حكمٌ بلا علمٍ، بل قد يكـونُ مبغوضًـا للربِّ تعالى لمنافاتِـه حكمتَـه، فـإذا حَكَمَ الـذهنُ عليـه بأنـه محبـوبٌ لـه. كـان نسـبةً لـه إلى مـا لا يليـقُ بـه. ويتعالى عنه.

فليُعْطِ اللبيبُ هذا الموضِعَ حقَّه من التأملِ. فإنه مزلَّةُ أقدامٍ، ومضلَّةُ أفهامٍ. ولو أمسكَ عن الكلامِ من لا يعلمُ لقلَّ الخلافُ.

وهذا المشهدُ أجلُّ من أن يحيطَ به كتابٌ أو يستوعِبَهُ خطابٌ، وإنما أَشَرْنَا إليه أدنَى إشارةٍ تُطْلِعُ على ما وراءِها. واللهُ الموفقُ والمعينُ[1].

* * *

1 (?) مدارج السالكين (1/350).

تعظيم الله تعالى في القرآن

ومن وسائلِ تعظيمِ اللـه تعـالى: تـدبرُ القـرآنِ وتحديقُ النظرِ في سُوَرهِ وآياتِه، فالقرآنُ كلُّه ينطقُ بالتعظيمِ والتمجيدِ والإجلالِ لربِّ العالمينَ حتى قال أحدُ الباحثينَ الغربيينَ ليس هناك كتابٌ حَوَى من التعظيمِ والثناءِ والحمدِ والتقديسِ للهِ تعالى مثلَ ما حواه القرآنُ وهذا يثبتُ أنه من عندِ اللهِ تعالى، لأنه لو كان من افتراءِ محمدٍ لجعلَ محمدٌ لنفسه شيئًا من هذا التعظيمِ الإلهيِّ وهو ما لا نَجِدْه أبدًا في القرآنِ.

فانظرْ كيف يحمدُ اللهُ تعالى نفسه: **﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [الفاتحة:1]،**﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِم يَعْدِلُونَ﴾** [الأنعام:1]، وانظر كيف أثبتَ لنفسِه كمالَ العلم: **﴿وَهُوَ اللّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾** [الأنعام:3]، وانظر كيف أثبتَ لنفسِه القدرةَ التامَّةَ والقهرَ التامَّ: **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾** [الأنعام:17-18].

ومع ذلك فهو يثبتُ لنفسِهِ الرحمةَ: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [الأنعام:54]، وهكذا لا نجدُ آيةً من القرآنِ إلا وهيَ تدلُّ على عظمةِ اللهِ تعالى بلفظِها ومعناها، ولذلك فقد وصفَ اللهُ تعالى هذا الكتابَ بالعظمةِ فقال: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ [الحجر:87]. وقال سبحانه: ﴿**لَوْ أنزلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ** اللَّهِ ﴾ [الحشر: 21].

فإذا كان هذا حالُ الجبلِ الصخرِ الأصمِّ إذا أُنزلَ عليه القرآنُ فكيف بحالِ الإنسانِ الضعيفِ؟!

وقد وصف اللهُ تعالى أهلَ الإيمان بالخشيةِ والرقةِ والقشعريرةِ عند سماعِ القرآنِ كما في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الزمر:23]، وقال تعالى: ﴿**وَقُرْءانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنْزِيلاً * قُلْ ءَامِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ**

يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُـجَّدًا * وَيَقُولُـونَ سُـبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْـدُ رَبِّنَـا لَمَفْعُـولاً * وَيَخِـرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء:106-109]، وما ذلك إلا لما سَمِعُوهُ وشَاهَدُوهُ في آيـاتِ اللـهِ تعالى المتلوةِ من شواهدِ العظمـةِ والقـدرةِ والكبريـاءِ والجلالِ.

* * *

وما قدروا الله حق قدره

قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر:67].

هذا ذمٌّ للمشركينَ الذينَ لم يخلِصُوا العبادةَ للهِ فعبدُوا مع اللهِ آلهةً أخرى وذلكَ لجهلِهم بعظمةِ اللهِ عزَّ وجلَّ وما يستحِقُّه منَ العبادةِ والتعظيمِ. وهذه الآيةُ تشملُ كلَّ من عبدَ مع اللهِ غيرَه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ فهؤلاءِ جميعًا ما قدروا اللهَ حقَّ قدرِه.

قالَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه: «يقولُ تعالى: وما قدرَ المشركونَ اللهَ حقَّ قدرِه، حينَ عبدُوا معه غيرَه، وهو العظيمُ الذي لا أعظمَ منه، القادرُ على كلِّ شيءٍ، المالكُ لكلِّ شيءٍ، وكلُّ شيءٍ تحتَ قهرِه وقدرتِه.

وقال السُّدِّيُّ: ما عظَّموه حقَّ عَظَمَتِهِ.

وقال محمدُ بنُ كعبٍ: لو قَدَرُوه حقَّ قَدْرِه ما كَذَّبوه.

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ، عن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ همُ

الكفارُ الذين لم يؤمنوا بقدرةِ اللـهِ تعـالى عليهم، فمن آمنَ أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قـديرٌ فقـد قَـدَرَ اللـهَ حـقَّ قــدرِه، ومن لم يــؤمنْ بــذلك فلم يَقْــدُرِ اللــهَ حــقَّ قدرِهِ»[1].

وقال السعديُّ في تفسـيرِه: « يقـولُ تعـالى: ومـا قدرَ هؤلاءِ المشركونَ ربَّهم حقَّ قدرِه، ولا عظَّموه حقَّ تعظيمِه، بل فعلوا ما يناقضُ ذلك، من إشراكِهم به مَنْ هو نـاقصٌ في أوصـافِه وأفعالِـه، فأوصـافُه ناقصـةٌ من كلِّ وجهٍ، وأفعالُـه ليس عنـده نفـعٌ ولا ضـرٌ، ولا عطـاءٌ ولامنعٌ، ولا يملكُ من الأمرِ شيئًا.

فَسَــوَّوْا هــذا المخلــوقَ النــاقصَ بالخــالقِ الــربِّ العظيمِ، الذي من عظمَتِهِ الباهرةِ، وقدرتِه القاهرةِ، أنَّ جميــعَ الأرضِ يــومَ القيامــةِ قبضــةٌ للــرحمنِ، وأنَّ السماواتِ ـ على سَعَتِها وعِظَمِها ـ مطوياتٌ بيمينِه، فلا عظَّمَه حقَّ عَظَمَتِهِ من سَوَّى به غيرَه، ولا أظلمَ منه.

﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ أي: تــنزَّهَ وتعاظَمَ عن شركِهم به»[2].

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ: «واللهُ سبحانَه بعثَ

[1] (?) تفسير ابن كثير (7/113).
[2] (?) تيسير الكريم الرحمن (ص:729).

الرسلَ وأنزلَ الكتبَ؛ بأنْ يكـونَ هـو المعبـودَ وحـدَهُ لا شريكَ له وإنِّما يعبدُ بما أَمَرَ به على أَلْسُنِ رسلِه.

وأصلُ عبادتِـه: معرفتُـهُ بمـا وصـفَ بـه نفسَـه في كتابِه وما وصفَه به رسلُه؛ ولهـذا كـانَ مـذهبُ السـلفِ أنهم يصفُونَ اللهَ بما وصفَ بـه نفسَـه ومـا وصـفَه بـه رسلُه من غيرِ تحريفٍ ولا تعطيلٍ ومن غـيرِ تكـييفٍ ولا تمثيلٍ والذينَ يُنكـرونَ بعضَ ذلـكَ مـا قـدرُوا اللـهَ حـقَّ قدرِهِ وما عَرَفُوهُ حقَّ مَعْرفتِـهِ ولا وَصـفُوه حـقَّ صـفتِه ولا عبدُوهُ حقَّ عبادَتِهِ.

واللهُ سبحانه قد ذكرَ هذه الكلمةَ ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ في ثلاثِ مواضعٍ؛ ليثبتَ عظمتَه في نفسِه وما يستحقُّه من الصفاتِ وليثبتَ وحدانيَّتَه وأنَّه لا يستحقُّ العبادةَ إلا هو وليثبتَ ما أَنزَلَهُ على رسلِه فقالَ في الزمر: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [الزمر:67] الآية، وقال في الحجِّ: ﴿**ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الحج: 73-74]، وقال في الأنعام: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:91].

وفي المواضعِ الثلاثةِ ذمَّ الذين ما قدرُوه حقَّ قدرِه منَ الكفارِ فـدلَّ ذلـك على أنـه يجبُ على المـؤمنِ أن

يقدُرَ اللهَ حقَّ قدرِه كما يجبُ عليه أن يتقِيَهُ حقَّ تقاتِـه وأن يجاهـــدَ فيـــه حـــقَّ جهـــادِه قـــال تعـــالى: ﴿**وَجَاهِــدُوا فِي اللَّهِ حَــقَّ جِهَــادِهِ**﴾ [الحج:78]، وقال: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾ [آل عمــران:102]، والمصدرُ هنا مضافٌ إلى مفعولٍ والفاعلُ مرادٌ أي حقَّ جهادِه الـذي أمـرَكُم بـه وحـقَّ تقاتِـه الـتي أمـرَكُم بهـا واقـدرُوه قـدرَه الـذي بيَّنَـه لكم وأمـرَكم بـه فصـدِّقُوا الرسولَ فيما أخبرَ وأطيعُوه فيما أوجبَ وأمرَ.

وأما ما يخرجُ عن طاقةِ البشرِ، فذلك لا يُـذَمُّ أحـدٌ على تركِه قالتْ عائشةُ: فاقدرُوا قدرَ الجاريـةِ الحديثـةِ السـنِّ الحريصـةِ على اللهـوِ. ودلت الآيـةُ على أنَّ لـه قدرًا عظيمًا؛ لا سيّما قوله: ﴿**وَمَا قَـدَرُوا اللَّهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِـهِ**﴾ وفي تفسـيرِ ابنِ أبي طلحةَ عن ابنِ عبَّاسٍ قال: من آمنَ بأنَّ اللــهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ فقدْ قَدَرَ اللهَ حقَّ قدْرِه.

وقدْ ثبتَ في الصحيحينِ من حديثِ ابنِ مسعودٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قرأَ هذه الآيةَ لما ذكرَ لـه بعضُ اليهـودِ أنَّ اللـهَ يحمــلُ الســمواتِ على أصــبعٍ والأرضــينَ على أصــبعٍ والجبالَ على أصبعٍ والشجرَ والثرى على أصـبعٍ وسـائرَ

الخلقِ على أصبعٍ؛ فضحِكَ رسولُ اللهِ تعجبًا وتصديقًا لقولِ الحبرِ وقرأَ هذهِ الآيةَ.

وعن ابن عباسٍ قال: مرَّ يهوديٌّ بالنبيِّ فقال: يا أبا القاسِمِ ما تقولُ إذا وضعَ اللهُ السماءَ على ذِهِ؟ والأرضَ على ذِهِ والجبالَ والماءَ على ذِهِ وسائرَ الخلقِ على ذِهِ؟ فأنزلَ اللهُ تعالى: **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ** رواهُ الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ والترمذيُّ من حديثِ أبي الضحى عنِ ابنِ عباسٍ وقال غريبٌ حسنٌ صحيحٌ.

وهذا يقتضي أنَّ عظمَتَه أعظمُ ممَّا وصفَ ذلكَ الحبرُ فإنَّ الذي في الآيةِ أبلغُ كما في الصحيحينِ عن أبي هريرةَ عن النبيِّ قالَ: «**يقبضُ اللهُ الأرضَ يومَ القيامةِ ويطوي السماءَ بيمينِه ثم يقولُ: أنا الملكُ أين ملوكُ الأرضِ**».

وفي الصحيحينِ عن ابنِ عمرَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ : «**يطوي اللهُ السمواتِ يومَ القيامةِ ثمَّ يأخُذُهُنَّ بيدِه اليمنى. ثم يقول: أينَ الملوكُ؟ أين الجبارونَ؟ أين المتكبرونَ؟**». ورواهُ مسلمٌ أبسطَ من هذا وذكرَ فيه أنَّه يأخذُ الأرضَ بيدِه الأخرى.

وقدْ روى ابنُ أبي حاتمٍ: حدثنا أبي ثنـا عمـرُو بن رافـعٍ ثنا يعقوبُ بن عبدِ اللهِ عن جعفـرَ عن سـعيدٍ بن جبـيرٍ قال: تكلَّمَتِ اليهودُ في صفةِ الـربِّ ـ تبـارك وتعـالى ـ فقـالُوا مـا لم يعلَمُـوا ولم يَـرَوْا فـأنزلَ اللـهُ على نبيِّه: **﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّـماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** فجعـلَ صفتَه التي وصفُوه بها شِركًا. وقال: حدثنا أبي ثنـا أبـو نعيمٍ ثنا الحكمُ يعني أبا معاذٍ عن الحسنِ قال: عَمَـدَتِ اليهودُ فنظرُوا في خلـقِ السـمواتِ والأرضِ والملائكـةِ فلما فرَغُوا أخذُوا يقدرُونَه فأنْزَلَ اللهُ تعـالى على نبيِّه: **﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾** وهذا يـدلُّ على أنَّه أعظمُ مما وصفُوه وأنهم لم يقدُرُوه حقَّ قدرِه.

وقوله: **﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** فكلُّ من جعلَ مخلوقًـا مثلًا للخالقِ في شيءٍ من الأشياءِ فأحَبَّه مثلَ مـا يحبُّ الخـالقَ أو وصَـفَه بمثـلِ مـا يوصَـفُ بـه الخـالقُ فهـو مشركٌ سـوَّى بينَ اللـهِ وبينَ المخلـوقِ في شـيءٍ من الأشياءِ فعَدَلَ بِرَبِّه.

والربُّ تعالى لا كُفْؤَ لهُ ولا سَمِيَّ لَهُ ولا مِثْـلَ لـه ومَنْ جعَلَهُ مثلَ المعدومِ والممتنعِ فهـو شـرٌّ من هـؤلاءِ فإنَّه معطِّلٌ ممثِّلٌ والمعطِّلُ شرٌّ من المشركِ.

واللــهُ ثَنَّى قصــةَ فرعــونَ في القــرآنِ في غــيرِ

موضعٍ؛ لاحتياجِ الناسِ إلى الاعتبارِ بها فإنه حَصَلَ له من الملكِ ودعوى الربوبيةِ والإلهيةِ والعلوِّ ما لم يحصُلْ مثلَهُ لأحدٍ من المعطِّلِينَ وكانتْ عاقِبَتُه إلى ما ذَكَرَ اللهُ تعالى وليسَ للهِ صفةٌ يماثِلُهُ فيها غيرُه؛ فلهذا لم يَجُزْ أن يُستَعْمَلَ في حقِّهِ قياسُ التمثيلِ ولا قياسُ الشمولِ الذي تَستَوِي أفرادُه فإنَّ ذلك شركٌ؛ إذ سُوِّيَ فيه بالمخلوقِ؛ بل قياسُ الأولى.

فإنَّه سبحانه له المثلُ الأعلى في السمواتِ والأرضِ فهو أحقُّ من غيرِه بصفاتِ الكمالِ وأحقُّ من غيرِه بالتَّنْزِيهِ عن صفاتِ النقصِ[1].

ويدعو ابنُ القيمِ رحمهُ اللهُ إلى التأملِ في القرآنِ بهدفِ الوصولِ إلى تعظيمِ اللهِ تعالى ومحبَّتِه وإفرادِه بالعبادةِ والطاعةِ، قالَ رحمهُ اللهُ: «تأمل خطابَ القرآنِ تجدْ ملكًا له المُلكُ كلُّه، وله الحمدُ كلُّه، أزِمَّةُ الأمورِ كلُّها بيدِه، ومصدَرُها منه، ومردُّها إليه، لا تَخْفَى عليه خَافِيةٌ في أقطارِ مملكتِهِ، عليمًا بما في نفوسِ عبيدِه، مُطَّلِعًا على أسرارِهم وعلانِيَتِهم، منفَرِدًا بتدبيرِ المملكةِ، يسمعُ، ويرى، ويعطي، ويمنعُ، ويثيبُ، ويعاقبُ، ويُكرمُ، ويُهينُ، ويخلقُ، ويرزقُ، ويُميتُ،

---

1 (?) الفرقان (ص:75).

ويُحيي، ويقدِّرُ، ويقضي، ويدبِّرُ. الأمـورُ نازلـةٌ من عنـدِه دقيقُهـا وجليلُهـا، وصـاعدةٌ إليـه لا تَتَحَـرَّكُ في ذرَّةٍ إلا بإذْنِه، ولا تسقُطُ ورقةٌ إلا بعلْمِه.

فتأملْ كيفَ تجِدُهُ يثنِي على نفسِه، ويمجِّدُ نفسَـه، ويحمَـدُ نفسَـهُ، وينصَـحُ عبـادَه، ويـدُلُّهم على مـا فيـه سـعادَتُهم وفلاحُهم ويـرغبُهم فيـه، ويحـذِّرُهم ممـا فيـه هلاكُهم. ويتعرَّضُ إليهم بأسمائِه وصفاتِه، ويتحبَّبُ إليهم بنعمِـهِ وآلائِه. فيـذكِّرُهم بنعَمِـهِ عليهم، ويـأمرُهم بمـا يَسْتَوْجِبُون به تمامَهـا، ويحـذِّرُهم من نِقَمِـهِ، ويـذكِّرُهم بما أعدَّ لهم من الكرامةِ إن أطاعُوه، وما أعـدَّ لهم من العقوبـةِ إن عَصَـوْهُ. ويخبِـرُهم بصُـنْعِه في أوليائِهِ وأعدائِهِ، وكيفَ كانتْ عاقبةُ هـؤلاءِ وهـؤلاءِ. ويثنِي على أوليائِهِ بصـالحِ أعمـالِهم، وأحسـنِ أوصـافِهِم، ويـذمُّ أعداءَه بسيِّئِ أعمالِهم، وقبيحِ صفاتِهم.

ويضربُ الأمثالَ، وينوِّعُ الأدلةَ والـبراهينَ، ويجيبُ عن شُـبهِ أعدائِه أحسـنَ الأجوبَـةِ، ويصـدِّقُ الصـادق، ويكذِّبُ الكاذبَ، ويقولُ الحقَّ، ويهدي السبيلَ.

ويـدعو إلى دارِ السـلامِ، ويـذكرُ أوصـافَها وحسنَها ونعيمَها، ويحذِّرُ من دارِ البـوارِ، ويـذكُرُ عـذابَها وقبْحَهـا وآلامَهـا، ويُـذَكِّرُ عبـادَه فقـرَهم إليـهِ، وشـدةَ

حـاجَتِهم إليـه من كـلِّ وجـهٍ، وأنهم لا غـنىً لهم عنـه طرفةَ عينٍ، ويذكُرُ غنَاهُ عنهم وعن جميعِ الموجـوداتِ، وأنه الغنيُّ بنفسِه عن كـلِّ مـا سـوَاهُ، وكـلُّ مـا سـوَاهُ فقيرٌ إليه بنفسِه، وأنه لا ينَالُ أحـدٌ ذرةً من الخـيرِ فمـا فوقَها إلا بفضْلِه ورحمَتِه، ولا ذرَّةً من الشَّرِّ فما فوقَهـا إلا بعدْلِه وحكمَتِه.

ويشـهدُ من خطابِـه عتابَـه لأحبابِـه ألطـفَ عتابٍ، وأنَّه مـعَ ذلـك مُقيـلُ عـثراتِهم، وغـافرُ زلاتِهم، ومقيمُ أعـذارِهم، ومصـلحُ فسـادِهم، والـدافعُ عنْهُم، والمحـامِي عنهُم، والناصـرُ لهم، والكفيـلُ بمصـالحِهم، والمنجي لهم من كلِّ كربٍ، والموفِّي لهم بوعدِه، وأنه وليُّهم الـذي لا وليَّ لهم سـوَاهُ، فهـو مـولاهُم الحـقُّ، ونصيرُهم على عدوِّهم؛ فنعمَ المولى ونعمَ النصيرُ.

فـإذا شـهدتِ القلـوبُ من القـرآنِ ملكًـا عظيمًا، رحيمًـا، جـوادًا، جميلًا، هـذا شـأنُه؛ فكيـفَ لا تحبُّه، وتُنـافِسُ في القـربِ منـه، وتنفِـقُ أنفاسَـها في التودُّدِ إليه، ويكونُ أحبَّ إليها من كلِّ ما سوَاهُ، ورضَاهُ آثَـرُ عنـدَها من رضَـا كـلِّ مـا سـوَاهُ؟! وكيـفَ لا تَلْهَجُ بِـذِكْرِه، ويصـيرُ حبُّه، والشـوقُ إليـه، والأنسُ بـه، هـو غذاؤُها وقوتُها ودواؤُها؛ بحيثُ إن فَقَـدَتْ ذلـكَ فَسَـدَتْ

وهلكَت ولم تَنْتَفِعْ بحياتِها؟!

* * *

تجلياتُ اللهِ تعالى في القرآن[1]

القــرآنُ كلامُ اللــهِ، وقــدْ تجلَّى اللــهُ فيــه لعبــادِهِ بصــفاتِهِ، فتــارةً يتجلَّى في جلبــابِ الهيبــةِ والعظمــةِ والجلالِ؛ فتخضَعُ الأعنـاقُ، وتنكَسِـرُ النُّفـوسُ، وتخْشَـعُ الأصواتُ، ويـذوبُ الكِبْـرُ كمـا يـذوبُ الملحُ في المـاءِ. وتارةً يتجلَّى في صفاتِ الجمالِ والكمـالِ، وهـو كمـالُ الأسماءِ، وجمالُ الصفاتِ، وجمالُ الأفعـالِ الـدالُّ على كمالِ الذاتِ؛ فيسـتنفذُ حُبُّه من قلبِ العبـدِ قُـوةَ الحبِّ كلِّهـا، بحسـبِ مـا عَرَفَـهُ من صـفاتِ جمالِـه ونعـوتِ كمالِه، فيصبحُ فؤادُ عبدِه فارغًا إلَّا من محبَّتِه، فإذا أرادَ منه الغيرُ أن يُعلِّقَ تلكَ المحبةِ بـه أَبَى قلبُـه وأحشـاؤُه ذلكَ كلَّ الإباءِ، كما قيلَ:

يُرادُ من القلبِ نسيانُكُم ... وتَأْبَى الطباعُ على النَّاقلِ

فتبقَى المحبةُ له طبعًا لا تكلفًا..

وإذا تجلَّى بصفاتِ الرحمةِ والـبرِّ واللُّطـفِ والإحْسانِ، انبعثَتْ قـوَّةُ الرجـاءِ من العبـدِ، وانبَسَـطَ أمَلُـهُ ، وقـويَ طمعُـهُ، وسـارَ إلى ربِّه وحـادِي الرجـاءِ

---

[1] (?) الفوائد (ص:105-108).

يحدُو ركابَ سيرِه. وكلَّما قوِيَ الرَّجاءُ، جدَّ في العمـلِ، كما أنَّ الباذرَ كلَّما قويَ طمعُه في المغلِّ[2] غلقَ أرضَه بالبذرِ، وإذا ضَعُفَ رجاؤُه قصَّرَ في البَذْرِ.

وإذا تجلَّى بصـفاتِ العـدلِ والانتقـامِ والغضـبِ والسـخطِ والعقوبـةِ، انقمعتِ[1] النفسُ الأمَّارةِ، وبطلتْ أو ضـعفتْ قُوَاهـا: من الشـهوةِ، والغضبِ، واللهوِ، واللعبِ، والحـرصِ على المحرمـاتِ، وانقبضتْ أعِنَّةُ[2] رعوناتِها[3]؛ فأحضَرَت المطيـةُ حظَّهـا من الخوفِ والخشيةِ والحذرِ.

وإذا تجلَّى بصـفاتِ الأمـرِ والنهيِ والعهـدِ والوصـيةِ وإرسـالِ الرسـلِ وإنـزالِ الكتبِ وشـرعِ الشرائعِ، انبعثَ منها قـوةُ الامتثـالِ والتنفيـذِ لأوامـرِه، والتبليـغِ لهـا، والتواصـي بهـا، وذكرِهـا، وتـذكُّرِها، والتَّصديقِ بالخبرِ، والامتثالِ للطلبِ، والاجتنابِ للنهيِ.

وإذا تجلَّى بصفاتِ السمعِ والبصـرِ والعلمِ، انبعثتْ منَ العبدِ قوةُ الحياءِ؛ فيستحيِ من ربِّه أن يرَاهُ

---

2 (?) المغلّ: هنا بمعنى ناتج الأرض.

1 (?) قمعه وأقمعه: أي قهره وأذله (فانقمع).

2 (?) أعِنة: جمع (عِنان)، وهو سير اللجام الذي يمسك.

3 (?) الرُّعُونة: الحمق والاسترخاء.

على مـا يكـرَهُ، أو يسـمَعُ منـه مـا يكـرَهُ، أو يخفِي في سـريرَتِهِ مـا يمقتُـهُ عليـه؛ فتبقى حركاتُـه وأقوالُـه وخـواطرُه موزونـةٌ بمـيزانِ الشـرعِ، غـيرَ مهملـةٍ ولا مرسَلَةٍ تحتَ حكمِ الطبيعةِ والهوى.

وإذا تجلَّى بصـفاتِ الكفايـةِ والحسْـبِ، والقيـامِ بمصـالحِ العبـادِ، وسـوقِ أرزاقِهم إليهم، ودفـعِ المصائبِ عنهم، ونصرِه لأوليائِه، وحمايتِه لهم، ومعيَّتِـه الخاصـةِ لهم، انبعثَ من العبـدِ قـوةُ التوكـلِ عليـه، والتفويضُ إليه، والرضَا به وبكلِّ مـا عَلِمَ العبـدُ بكفايـةِ اللهِ وحسنِ اختيارِه لعبدِه وثقتِه به ورضَـاهُ بمـا يفعَلُـهُ به ويختارُه له.

وإذا تجلَّى بصـفاتِ العـزِّ والكبريـاءِ، أعطَتْ نفسُـهُ المطمئنـةُ مـا وصـلتْ إليـه من الـذلِّ لعظمتِـه، والانكسارِ لعزَّتِـه، والخضـوعِ لكبريائِه، وخشـوعِ القلبِ والجوارحِ له؛ فتعلُوه السكينةُ والوقارُ في قلبِه ولسانُه وجوارحُه وسمتُه[1]، ويذهبُ طَيشُه وقوتُه وحدتُه.

وجمـاعُ ذلـك: أنـه سـبحانه يتعـرفُ إلى العبـدِ بصفاتِ إلهيَّتِهِ تارةً، وبصفاتِ ربوبيَّتِهِ تارةً؛ فيـوجبُ لـه

---

1 (?) سمته: هيئته.

شـهودُ صـفاتِ الآلهيـةِ المحبـةَ الخاصَّـةَ، والشـوقَ إلى لقائِه، والأنسَ والفـــرحَ بـــه، والســـرورَ بخدمتِـــه، والمنافسـةَ في قربِـه، والتـودُّدَ إليـه بطاعتِـه، واللَّهَجَ بذكْرِه، والفرارَ من الخلقِ إليه، ويصيرُ هـو وحـدَهُ هَمَّهُ دونَ مـا سـوَاهُ. ويـوجبُ لـه شـهودُ صـفاتِ الربوبيـةِ التوكـلَ عليـه، والافتقـارَ إليـه، والاسـتعانةَ بـه، والـذلَّ والخضوعَ والانكسارَ له.

وكمالُ ذلكَ أن يشهدَ ربوبيَّتَـهُ في إلهيتِـه، وآلهيَّتَـه في ربوبيَّتِـه، وحمـدَه في ملْكِـهِ، وعـزَّه في عفْوِه، وحكمَتَـه في قضـائِه وقـدرِه، ونعمتَـه في بلائِه، وعطاءَه في منعِه، وبرَّه ولطفَه وإحسـانَه ورحمتَـه في قيُّوميَّتِـه، وعدلَـه في انتقامِـه، وجـودَه وكرمَـه في مغفرتِه، وسترِه وتجاوُزِه. ويشـهدَ حكمتَـه ونعمتَـه في أمـرِه ونهيِـه، وعـزَّه في رضَـاهُ وغضـبِه، وحِلمَـه في إمهالِه، وكرمَه في إقبالِه، وغنَاهُ في إعراضِه.

* * *

تعظيمُ النبيِّ ﷺ لربِّه

إذا كـان التعظيمُ ثمـرةً من ثمـراتِ المعرفـةِ فقـد كان النبيُّ ﷺ أعرفَ الخلقِ بربِّه، وكيـفَ لا يكـونُ كـذلكَ وهـو الـذي اصـطفَاهُ ربُّه وعلَّمَـه ﴿**وَعَلَّمَـكَ مَـا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْـلُ اللّـهِ عَلَيْـكَ عَظِيمـاً**﴾ [النساء:113]، ومنْ تدبَّرَ في عبادةِ النبيِّ ﷺ وذكرِهِ ودعائِه ولجوئِه إلى ربِّه عَلِمَ أنَّهُ أعظَمُ من عَظَّمَ اللـه تعـالى، فقدْ كان ﷺ يقومُ من الليلِ حتى تتفطَّرَ قـدماه، فقـالتْ له عائشة رضي الله عنها : تفعلُ ذلك وقد غُفِرَ لك مـا تقدمَ من ذنبِـك ومـا تـأخرَ!! فقـال ﷺ: «**أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا**»[1].

ومن تعظيمِ النـبيِّ ﷺ لربِّه أنـه كـان يسـدُّ جميـعَ الأبوابِ التي تُفضِي إلى الغلوِّ فيه وإخراجِـه عن حـدودِ العبوديةِ والرسالةِ التي أَنْزَلَهُ اللهُ تعالى إيَّاهـا، فكـان ﷺ يقـولُ: «**لا تُطْـروني كمـا أطـرتِ النصـارى ابنَ مـريمَ، إنمـا أنـا عبـدُه، فقولـوا: عبـدُ اللـهِ ورسولُه**»[2].

---

1 (?) البخاري (1130)، مسلم (2819)، الترمذي (412).
2 (?) البخاري (3445)، مسلم (1691)، أحمد (155).

وعن محمدِ بن جبيرِ بن مطعِمٍ عن أبيـه قـال: أتى رسولَ اللهِ أعـرابيٌّ فقـال: يـا رسـولَ اللـه! جَهِـدت الأنفسُ، وضـاعتِ العيـالُ، ونُهكتِ الأمـوالُ، وهلكتِ الأنعامُ، فاستسِقِ اللهَ لنا، فإنا نستشفِعُ بكَ على اللـهِ، ونستشْفِعُ باللهِ عليكَ. فقال رسـولُ اللـه : «**ويحك! أتدري ما تقولُ؟**»، وسبَّحَ رسـولُ اللـهِ ، فمـا زالَ يسـبِّحُ حـتى عُـرِفَ ذلـك في وجـوهِ أصـحابِه، ثم قـال: «**إنَّه لا يُسْتَشْـفَعُ باللـهِ على أحـدٍ من خَلْقِـه، شأن اللهِ أعظمُ من ذلك**»[1].

وعن ابن عباسٍ قال: قال رجلٌ للنبيِّ : مـا شـاءُ اللهُ وشئتَ، فقال : «**أَجَعَلْتَنِي للهِ ندًّا؛ لا بـل مـا شاءَ اللهُ وحدَهُ**»[2].

وعن عبدِ اللهِ بن الشـخيرِ قـال: انطلقتُ في وفـدِ بني عامرٍ إلى رسولِ اللهِ فقلنـا: أنت سـيدُنا. فقـال: «**السيدُ اللهُ**» فقلنا: وأفضـلُنَا فضـلًا وأعظمُنَـا طَـوْلًا. فقـال : «**قولـوا بقـولِكم أو بعضِ قـولِكم، ولا يَسْتَجْرِيَنَّكُم الشيطانُ**»[3].

---

1 (?) رواه أبو داود (4101) بيند فيه ضعف.
2 (?) رواه أحمد (1742).
3 (?) رواه أبو داود (4172)، وأحمد (15726).

قــال في (النهايــة): «أي لا يَسْــتَغْلِبَنَّكُم فيتخِــذُكم جَريًّا، أي رسولًا ووكيلًا، وذلك أنهم كانوا مَدَحُوه، فَكَرِهَ لهمُ المبالغةَ في المدحِ، فنهاهم عنه»[1].

وقولُه : «**السيدُ اللهُ**» أي السؤددُ على الحقيقةِ إنما هو للهِ لأ، لأنــه المتصـفُ بـذلك على الإطلاقِ فهـو الذي الخلقُ خلقُه، والملكُ ملكُه، وهـو المتفضـلُ بكـلِّ النِّعَمِ، وهـو المتصـرفُ في الخلـقِ كيـفَ شـاءَ، وهـو صاحبُ السؤددِ على الحقيقةِ، وأمـا غـيرُه ممن حصَّـل سؤددًا فإنما هو سؤددٌ ناقصٌ وغـيرُ كامـلٍ، ولهـذا فـإن النـبيَّ أخـبر عن نفسِـه بأنـه سـيدُ ولـدِ آدمَ غ، وهـو سـيدُهم في الـدنيا والآخـرةِ ــ صـلواتُ اللـهِ وسـلامِه وبركاتِه عليـه ــ، ولكنَّ السـؤددَ الـذي يليـقُ بالإنسـانِ، للرسـولِ منـه الحـظُّ الأكـبرُ والنصـيبُ الأوفـرُ، وأمـا السؤددُ الكاملُ على الحقيقةِ فهو للهِ لأ... فالرسـولُ لحمايَتِه جنابَ التوحيـدِ، ولحرصِـه على ألا يحصـلَ غلـوٌّ يُؤَدِّي إلى محذورٍ أرشدَ ـ عليه الصلاةُ والسـلامُ ــ وبيَّنَ أن السيدَ هو اللـهُ وأن السـؤددَ الحقيقيَّ إنمـا هـو للـهِ [2].

---

1 (?) النهاية (1/739) ط: الشاملة.

2 (?) انظــر شــرح ســنن أبي داود للشــيخ عبــد المحســن العبــاد (27/446)، ط. الموسوعة الشاملة.

وكان النبيُّ يعظمُ اللهَ تعالى من خلالِ تدبرِ آياتِ القرآنِ، وكان يخشى من نزولِ العذابِ على هذه الأمةِ ففي صحيحِ البخاريِّ من حديثِ جابرِ بن عبدِ اللهِ رضي الله عنهما قالَ: لمَّا نزلت هذه الآية: **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ** قال رسولُ اللهِ : «**أعوذ بوجهك**». قال: **أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ** قالَ النبيُّ : «**أعوذُ بوجهكَ**» قال: **أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ** قالَ رسولُ اللهِ : «**هذا أهونُ أو هذا أيسرُ**»[1].

وكـان غ إذا رأى غيمًـا عُـرِفَ في وجْهِـه، قـالت عائشةُ: يـا رسـولَ اللـهِ! النـاسُ إذا رأوُا الغيمَ فَرِحُـوا، رجاءَ أن يكونَ فيه المطرُ، وأَراكَ إذا رأيتَ غَيْمًا عُـرِفَ في وجْهِـكَ الكراهَيَـةُ! فقـال: «**يـا عائشـةُ! ومـا يُؤَمِّنني أن يكونَ فيـه عـذابٌ؟ قـد عُـذِّبَ قـومٌ بالريحِ، وقد رأى قـومٌ العـذابَ فقـالوا: هَـذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا** [الأحقاف:24]»[2].

وكان من تعظيمِه لربِّه يتأثرُ بالآياتِ التي يخـوفُ اللـهُ بهـا عبـادَه فعن عبـدِ اللـه بن عمـرِو ت قـال: انكسَفَتِ الشمسُ يومًا على عهدِ رسولِ اللـهِ ، فقـامَ

---

1 (?) رواه البخاري (4262)، والترمذي (2991).

2 (?) رواه البخاري (4454)، ومسلم (1497).

رسولُ اللهِ يصلِّي، فلم يَكَدْ أن يسجُدَ ثم سَــجَدَ، فلم يكد أن يَرْفَعَ رأسَــهُ، فجعـلَ ينفُخُ ويبكِي ويقـولُ: «**ربِّ ألم تَعِــدْني ألا تعــذِّبَهم وأنـــا فيهم؟ ربِّ ألم تَعِــدْني ألا تعــذِّبَهم وهم يســتغفرون؟ ونحن نســتغفِرُك**»، فلمـا صـلَّى ركعـتينِ انجلَت الشـمسُ، فقـامَ فحمِـدَ اللـهَ تعـالى وأثنَى عليـه ثم قـال: «**إنَّ الشــمسَ والقمــرَ آيتــانِ من آيــاتِ اللــهِ، لا ينكسِفَانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياتِه، فإذا انكسَــفَا، فَافْزَعُوا إلى ذكرِ اللهِ**»[1].

وقد ذكرْنَا شيئًا من تعظيمِ النبيِّ لربِّه في أمهاتِ العبادةِ كالصلاةِ والحجِّ وذكرِ الله تعالى.

* * *

---

[1] (?) رواه أبو داود (1194)، والنسائي (547).

أحاديث نبويةٌ في تعظيمِ اللهِ سبحانه وتعالى

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يدُ اللهِ ملْأَى لا يغيضُها**[1] **نفقةٌ، سَحَاءَ الليلَ والنهارَ**»، وقال: «**أرأيتُم ما أنفقَ منذُ خلقَ السمواتِ والأرضَ، فإنَّه لم يُغِضْ ما في يدِه**»، وقال: «**وكانَ عرشُه على الماءِ، وبيدِه الأخرى الميزانُ يخفضُ ويرفعُ**»[2] [متفق عليه].

وكان النبيُّ ﷺ يأمرُ بتعظيمِ اللهِ عزوجل في الصلاةِ، فقال: «**أمَّا الركوعُ فعظِّمُوا فيهِ الربَّ**»[3].

عن عبدِ اللهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ : «**يطوِي اللهُ عزَّ وجلَّ السمواتِ يومَ القيامةِ، ثم يأخُذُهنَّ بيدِه اليمْنَى ثم يقولُ: أنا الملكُ أينَ الجبارونَ؟ أينَ المتكبِّرونَ؟ ثم يطوِي الأرضينَ بشمالِه ثم**

---

1 (?) يغيضها: ينقصها.

2 (?) رواه البخاري (684)، ومسلم (993).

3 (?) رواه مسلم (479)، وأبو داود (876).

يقـــولُ: أنـــا الملـــكُ، أينَ الجبـــارونَ؟ أينَ المتكبرونَ؟»[1] [رواه مسلم].

وعن النبيِّ قال: «**إن اللهَ لا ينامُ، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفضُ القسطَ ويرفعُه، يُرفَعُ إليه عملُ النهـارِ قبـلَ عمـلِ الليـلِ، وعمـلُ الليـلِ قبـلَ عمـلِ النهـارِ، حجابُـه النـورُ، لـو كَشَـفَهُ لأحرقَتْ سُبُحُاتِ وجْهِهِ، مـا انتَهَى إليـه بصـرُه من خلقِه**»[2].

وعن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي الله عنه قالَ: جاءَ حبرٌ إلى النبيِّ فقال: يا محمدُ! أو يا أبا القاسـمِ! إنَّ اللـه تعـالى يُمْسِـكُ السـمواتِ يـومَ القيامـةِ على إصـبعٍ، والأرضـينَ على إصـبعٍ، والجبـالَ والشـجرَ على إصـبعٍ، والماءَ والثرى على إصبعٍ، وسائرَ الخلقِ على إصـبعٍ ثم يهزُّهُنَّ فيقولُ: أنا الملـكُ، أنـا الملـكُ، فضَـحِكَ رسـولُ اللهِ تعجُّبًا مما قالَ الحبرُ، تصديقًا له ثمَّ قـرأ: **وَمَـا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّـماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِـهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**[الزمر:67]»[3].

وقـال : «**إنَّ اللـهَ تعـالى يقـولُ: إن العِـزَّ**

---

1 (**?**) رواه مسلم (2788).

2 (?) رواه مسلم حديث رقم (445).

3 (?) متفق عليه البخاري (7513)، ومسلم (2786).

إِزَارِي، والكبرياءَ ردائِي، فمن نـازَعَنِي فيهمـا عذَّبتُهُ»[1].

وقال ﷺ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سـيُكلِّمُهُ اللـهُ يومَ القيامةِ، ليسَ بينَه وبينَه ترجمان، فينظـرُ أيمنَ منه، فلا يرَى إلا ما قدَّمَ، وينظرُ أشـأمَ**[2] **منه، فلا يرَى إلا ما قدّمَ، وينظرُ بين يدَيْـهِ، فلا يَرَى إلا النَّارَ تلقـاءَ وجهِـه، فـاتَّقُوا النَّارَ، ولـو بشقِّ تمرةٍ، ولو بكلمةٍ طيبةٍ»**[3].

وقـال ﷺ: «**إن أحدَكم يُجمـعُ خلقُـهُ في بطنِ أمِّه أربعينَ يومًا نطفـةً، ثم يكـونُ علقـةً مثـل ذلك، ثم يكونُ مضغةً مثل ذلـك، ثم يبعثُ اللـهُ إليـه مَلَكًـا، ويـؤمرُ بـأربعِ كلمـاتٍ، ويقـالُ لـه: اكتبْ علمهُ، ورزقهُ، وأجلهُ، وشقيٌّ أم سـعيدٌ، ثم ينفخُ فيه الروحَ، فإنَّ الرجـلَ منكم ليعمـلُ بعملِ أهلِ الجنةِ، حتى لا يكونُ بينهُ وبينَهـا إلَّا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهـلِ النارِ، فيدخلُ النارَ. وإنَّ الرجـلَ ليعمـلُ بعمـلِ**

---

1 (?) رواه البخاري في الأدب المفرد (552)، وقال الألباني: صحيح.

2 (**?**) أي: جهة شماله.

3 (?) البخاري (7512)، ومسلم (1016).

أهلِ النارِ، حتى ما يكونُ بينَـهُ وبينهـا إلَّا ذراعٌ، فيسبقُ عليهِ الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، فيدخلُ الجنةَ»[1].

عن أبي ذرٍّ الغفـاري رضـي اللـه عنه عن النـبي صلى الله عليه وآله فيما يرويه عن ربه لأ أنه قال:«**يـا عَبَادي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نفسِي وجعلتُـهُ بينكم مُحرَّمًا فلا تظَّالموا.**

يَـــا عِبـــادِي كُلكُم ضَـــالٌّ إلَّا من هديتُـــه فاستَهْدُوني أَهْدِكُم.

يَـــا عِبـــادِي كُلكُم جَـــائِعٌ إلَّا من أَطْعمتُـــهُ فاسْتَطعمُوني أُطعِمْكُم.

يَـــا عِبـــادِي كُلكُم عَـــارٍ إلَّا مَنْ كَسَـــوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُم.

يَا عِبادِي إنكم تُخطئِون باللَّيلِ والنَّهارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فاستغفروني أغفر لكم.

يَاعِبادِي إِنَّكم لن تَبْلُغُـوا ضُـرِّي فَتَضَـروني وَلَنْ تَبْلغُوا نَفْعِي فتنفعُوني.

---

1 (?) البخاري (6594)، ومسلم (2643)، والترمذي (2137).

يَـا عِبـادِي لـو أَنَّ أَوَّلكم وآخـرَكم وإِنْسَـكُمْ وجنَّكُم كانوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحدٍ منكم ما زادَ ذلكَ في ملكي شيئا.

يَـا عِبـادِي لـو أَنَّ أوَّلكم وآخـرَكم وإنسَـكُم وجنَّكُم كانوا عَلَى أَفْجرِ قلب رَجُلٍ واحـدٍ منكم ما نَقَصَ ذلك من مُلكي شيئا.

يَـا عِبـادِي لـو أَنَّ أوَّلكم وآخـرَكم وإنسَـكُم وجنَّكُم قـاموا في صَـعيدٍ وَاحـدٍ فسـألوني فأعطيت كل واحدٍ مسألته ما نقصَ ذلـكَ ممـا عندي إلَّا كما ينقصُ المخيط إذا أُدخِلَ البحر.

يَا عِبادِي إِنَّما هي أعمالُكُم أُحْصِيها لكُم ثُمَّ أوفيكم إيَّاهَـا فمن وَجَـدَ خـيرًا فليحمـدِ اللـهَ، ومَن وَجَدَ غيرَ ذلـكَ فلا يلـومنَّ إلَّا نفسه» [رواه مسلم].

قولـه: «**إني حـرمت الظلم على نفسـي وجعلته بينكم محرما**».

قال ابن دقيق العيد: «قال بعض العلماء: معنـاه لا ينبغي لي ولا يجوز عليَّ كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا**﴾ [مـريم:92]، فالظلم محـال

في حق الله تعالى. قـال بعضـهم في هـذا الحـديث: لا يسـوغ لأحـد أن يسـأل اللـه تعـالى أن يحكم لـه على خصمه إلا بالحق بقوله سبحانه:«**إني حرمت الظلم على نفسي**»، فهـو سـبحانه لا يظلم عبـاده فكيـف يظن ظان أنه يظلم عباده لغيره؟

وكذلك قال: «**فلا تظالموا**» المعـنى: المظلـوم يقتص له من الظـالم، وحـذفت إحـدى التـاءين تخفيفًـا أصله: فلا تتظالموا.

وقوله:«**كُلُّكُم ضَالٌ إلَّا من هديتُــه،... وكلُّكُم عَــارٍ إلَّا مَن كســوتُه... وكلكم جـــائعٌ إلَّا من أطعمتُه...**».

تنبيه على فقرنـا وعجزنـا عن جلب منافعنـا ودفـع مضارنا إلا أن يعيننا الله سبحانه على ذلك، وهـو يرجـع إلى معنى: **لا حول ولا قوة إلا بالله**. وليعلم العبــد أنه إذا رأى آثار هذه النعمة عليه أن ذلك من عنـد اللـه ويتعين عليه شكر الله تعالى وكلما ازداد من ذلك يزيد في الحمد والشكر لله تعالى.

وقوله:«**فاستهدوني أهدكم**» أي اطلبـوا مـني الهدايـة أهـدكم والجملـة في ذلـك أن يعلم العبـد أنـه

طلب الهداية من مولاه فهداه ولو هداه قبل أن يسـأله لم يبعد أن يقول: إنما أوتيته على علم عنـدي. وكـذلك «**كلكم جائع**» إلى آخره يعني أنـه خلـق الخلـق كلهم ذوي فقـر إلى الطعـام فكـل طـاعم كـان جائعـا حـتى يطعمه اللـه بسـوق الـرزق إليـه وتصـحيح الآلات الـتي هيأها لـه فلا يظن ذو الـثروة أن الـرزق الـذي في يـده وقد رفعه إلى فيـه أطعمـه إيـاه أحـد غـير اللـه تعـالى وفيه أيضا أدب للفقراء كأنه قال: لا تطلبوا الطعام من غيري فإن هؤلاء الذين تطلبون منهم أنا الذي أطعمهم «**فاستطعموني أطعمكم**»، وكذلك ما بعده.

وقوله: «**إنكم تخطئون بالليل والنهار**».

في هـذا الكلام من التـوبيخ مـا يسـتحي منـه كـل مؤمن وكـذلك أن اللـه خلـق الليـل ليطـاع فيـه ويعبـد بـالإخلاص حيث تسـلم الأعمـال فيهـا غالبـا من الريـاء والنفاق أفلا يستحي المؤمن أن لا ينفق الليـل والنهـار [في الطاعـة] فإنـه خلـق مشـهودا من النـاس فينبغي من كل فطن أن يطيع اللـه فيـه أيضـا ولا يتظـاهر بين النـاس بالمخالفـة وكيـف يحسـن بـالمؤمن أن يخطئ سرا أو جهرا لأنه سـبحانه وتعـالى قـد قـال بعـد ذلـك: «**وأنا أغفر الذنوب جميعًا**» فـذكر الـذنوب بـالألف

واللام التي للتعريف وأكدها بقوله: «**جميعا**» وإنما قال ذلك قبل أمره إيانا بالإستغفار لئلا يقنط أحد من رحمة الله لعظم ذنب ارتكبه.

قوله: «**يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم**» إلى آخره ..

فيه ما يدل على أن تقوى المتقين رحمة لهم وأنها لا تزيد في ملكه شيئًا.

وأما قوله: «**لو أنَّ أوَّلكم وآخرَكُم وإنسَكُم وجنَّكُم قاموا في صعيد واحد**».

إلى آخره ففيه تنبيه الخلق على أن يعظموا المسألة ويوسعوا الطلب، ولا يقتصر سائل ولا يختصر طالب؛ فإن ما عند الله لا ينقص، وخزائنه لا تنفد، فلا يظن ظان أن ما عند الله يغيضه الإنفاق كمال قال ﷺ في الحديث الآخر: «**يدُ الله مَلْأَى لا يغُيضُها نفقةٌ سَحَاء الليلِ والنَّهار أرأيتُم مَا أنفَقَ منذُ خلقَ السَّمواتِ والأرضَ فَإِنَّه لم يغضْ مَا في يَمينه**» وسر ذلك أن قدرته صالحة للإيجاد دائما لا يجوز عليها عجز ولا قصور والممكنات لا تنحصر ولا تتناهى.

وقوله: «**إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل**

البحر».

هذا مثل قصد به التقريب إلى الأفهام بمـا نشـاهده، والمعنى: أن ذلـك لا ينقص ممـا عنـده شـيئا والمخيـط ـ بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء ـ: هو الإبرة.

وقوله: «**إنَّما هي أعمالُكم أُحصــيهَا لَكُم، ثُمَّ أُوفِيكُم إيَّاهَا فمن وَجدَ خيرًا فليحمد الله**».

يعني لا يسند طاعته وعبادته من عمله لنفسـه بـل يسندها إلى التوفيق ويحمد الله على ذلك.

وقوله: «**ومن وجد غير ذلك**».

لم يقــل ومن وجــد شــرًا يعــني: ومن وجــد غــير الأفضل.

«**فَلَا يَلُومَنَّ إلَّا نفسَهُ**» أكد ذلك بالنون تحـذيرا أن يخطر في قلب عامل أن اللوم تستحقه غير نفسه، والله أعلم[1].

1 (?) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص:80).

تعظيم الصحابة والسلف الصالح لله عزوجل

وقـــال ابن رجب أيضًـــا: «وكـــان خلفـــاءُ الرســـلِ وأتباعُهم من أمراءِ العدلِ وأتباعِهم وقضاتِهم لا يَدْعُونَ إلى تعظيمِ نفوسِهم البتةَ، بـل إلى تعظيمِ اللـهِ وحـدَه، وإفـرادِه بالعبوديـةِ والإلهيـةِ، ومنهم من كـان لا يريـدُ الولايةَ إلا للاستعانةِ بها على الدعوةِ إلى اللهِ وحدَه.

وكانتِ الرسـلُ وأتبـاعُهم يصـبرونَ على الأَذَى في الدعوةِ إلى اللـهِ ويتحمَّلُـونَ في تنفيـذِ أوامـرِ اللـهِ من الخلقِ غايةَ المشقةِ وهم صـابرونَ بـل راضـونَ بـذلك، كما كان عبدُ الملكِ بنُ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رحمه اللـه يقولُ لأبيـهِ في خلافَتِـه: «إذا حُـرِصَ على تنفيـذِ الحـقِّ وإقامةِ العدلِ يا أبتِ لوددتُ أني غَلَتْ بي وبـك القـدورُ في اللهِ عزوجل».

وقـال بعضُ الصـالحينَ: وددتُ أنَّ جِسْـمِيَ قُـرِّضَ بالمقـــاريضِ، وأن هـــذا الخلـــقَ كلَّهم أطـــاعُوا اللـــهَ عزوجل» ومعنى هذا أن صاحبَ ذلك القولِ قـد يكـونُ لَحَـظَ نُصْـحَ الخلـقِ والشـفقةَ عليهم من عـذابِ اللـهِ، وأحبَّ أن يَقِيَهم من عذابِ اللهِ بأذى نفسِه، وقد يكونُ

لَحَـظَ جلالَ اللــهِ وعظمَتِـه ومـا يسـتحِقُّه من الإجلالِ والإكرامِ والطاعةِ والمحبةِ، فودَّ أنَّ الخلقَ كلَّهم قـامُوا بذلك، وإن حَصَلَ لَهُ في نفسِه غايةُ الضَّررِ»[1].

* * *

---

1 (?) شرح حديث: «ما ذئبان جائعان..» (ص: 19).

حقيقةُ التعظيمِ:

عن ابن السماكِ قال: أوصاني أخي داودُ بوصيةٍ قال: انظر، أن لا يراك اللهُ حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيثُ أمرَكَ؛ واستحِ في قربِه منك، وقدرتِه عليك[1].

وقال رجلٌ لوهيبِ بن الوردِ: عِظْنِي، قال: اتقِ أن يكونَ اللهُ أهون الناظرينَ إليك[2].

قل عليَّ رقيبُ:

عن أحمدَ بنِ حنبلَ رحمه الله تعالى قال:

إذا ما خلوتَ الدهْرَ يومًا فلا تَقُلْ ... خلوتُ ولكنْ قلْ عَلَيَّ رقيبُ

ولا تحسبَنَّ اللهَ يُغْفِلُ ما مَضَى ... وأن الذي يُخْفَى عليه يغيبُ

لهوْنَا عن الأيامِ حتى تَتَابَعَتْ ... ذنوبٌ على أثارهنَّ ذنوبُ

فيا ليتَ اللهَ يغفرُ ما مضى ... ويأذنُ لي في توبةٍ فأتوبُ

---

[1] (?) الحلية (7/358).

[2] (?) الحلية (8/142).

حبُّ القرآنِ:

عن سـفيانَ بن عيينـةَ قـال: لا تبلُغُـوا ذِروةَ هـذا الأمر، إلا حتَّى لا يكونُ شيءٌ أحبَّ إليكم من اللهِ؛ ومن أحبَّ القرآنَ، فقد أحبَّ اللهَ؛ افقهوا ما يقالُ لكم[1].

لذةُ المحبة:

قـال إبـراهيمُ بنُ أدهمَ: لـو علِمَ النـاسُ لـذةَ حبِّ اللهِ: لقلَّتْ مطاعِمُهم، ومشارِبُهم، وحرصُهم، وذلك أنَّ الملائكةَ: أحبُّوا اللهَ، فاستغْنَوْا بذكرِه عن غيرِه[2].

جنة الدنيا:

عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه أنه قال: لـولا ثلاثُ خلالٍ، لأحببتُ أن لا أبقَى في الـدنيا؛ قيـلَ: ومـا هنَّ؟ فقال: لولا وضوعُ وجهِي للسـجودِ لخـالِقِي في اختلافِ الليلِ والنهـارِ، يكـونُ تقدمـةً لحيـاتِي، وظمـأُ الهـواجرِ، ومقاعدةُ أقوامٍ ينتقونَ الكلامَ كما تُنتقى الفاكهةُ.

قال أبو نعيم: وتمامُ التقوى: أن يتقيَ اللهَ عزوجل العبدُ، حتى يتقيَه في مثلِ مثقالِ ذرةٍ، حتى يتركَ بعضَ ما يَرَى أنَّه حلالٌ خشيةَ أن يكونَ حَرَامًا، يكـونُ حـاجزًا

---

[1](?) الحلية (7/278).

[2](?) الحلية (10/81).

بينه وبين الحرامِ؛ إن اللهَ تعـالى قـد بَيَّنَ لعبـادِه الـذي هــو يُصَــيِّرُهم إليــه؛ قــال تعــالى: ﴿**فَمَنْ يَعْمَــلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْـرًا يَـرَهُ * وَمَنْ يَعْمَـلْ مِثْقَـالَ ذَرَّةٍ شَـرًّا يَـرَهُ**﴾ [الزلزلـة:7-8]. فلا تَحْقِـرَنَّ شـيئًا من الشرِّ أن تتقِيَهُ، ولا شيئًا من الخير أن تفعَلَه[1].

تفكيرُ الحسينِ:

عن الحســنِ قــال: تَفَكُّرُ ســاعةٍ، خــيرٌ من قيــامِ ليلةٍ[2].

أفضلُ العبادةِ:

عن عمـرَ بنِ عبـدِ العزيـزِ قـالَ: الكلامُ بـذكرِ اللـهِ حسنٌ، والفكرةُ في نعمِ اللهِ أفضلُ عبادةٍ[3].

الفكرُ أولاً:

عن وهبِ بن مُنَبَّهٍ قـــــــال: ألم يفكِّر ابنُ آدمَ، ثمَّ يَتَفَهَّمُ ويعتـبرُ، ثم يُبْصِـرُ، ثم يعقِـلُ ويتفقَّهُ حـتى يعلَمَ؟ فيتبيَّنُ له: أنَّ للهِ حلمًـا: بـه يخلـقُ الأحلامَ، وعلمًـا: بـه يعلمُ العلماءَ، وحكمةً: بها يُتْقِنُ الخلقَ، ويدبِّرُ بهـا أمـورَ الـدنيا والآخـرةِ؛ فـإنَّ ابن آدمَ، لن يبلـغَ بعلْمِـه المقـدرِ

(?)[1] الحلية (1/212).
(?)[2] الحلية (6/271).
(?)[3] الحلية (5/314).

علمَ اللهِ الذي لا مقدارَ له، ولن يبلـغَ بحلمِـه المخلـوقِ حلمَ اللهِ الذي بِهِ خلقَ الخلـقَ كلـه، ولن يبلـغَ بحكمتِـه حكمـةَ اللـهِ: الـتي بهـا يتقنُ الخلـقَ، ويُقَـدِّرُ المقـاديرَ؛ وكيـــف يُشْـــبِهُ ابنُ آدمَ ربَّ ابنِ آدمَ؟ وكيـــف يكـــونُ المخلوقُ كمن خَلَقَهُ؟[1].

احذر سَخَطَ ربِّك:

وعن سفيانَ الثوريِّ، قـالَ: احـذرْ سَـخَطَ اللـهِ في ثلاثٍ: احذرْ أنْ تُقَصِّرَ فيما أمرَك، واحذرْ أن يَرَاكَ وأنتَ لا تَرْضَى بما قَسَمَ لك، وأن تطلبَ شـيئًا من الـدنيا فلا تَجِدْهُ، أن تسخَطَ على ربِّكَ[2].

تأملاتٌ:

عن جعفرَ بنِ سليمانَ قال: سمعتُ خليفةَ العبـديَّ يقولُ: لو أنَّ اللهَ لم يُعْبَدْ إلا عن رؤيةٍ، مـا عبـدَهُ أحـدٌ؛ ولكنْ المؤمنونَ تفكَّرُوا في مجيءِ هذا الليـلِ إذا جـاءَ، فَمَلَأَ كلَّ شيءٍ وغَطَّى كلَّ شيءٍ، وفي مَجِيءِ سـلطانِ النهـارِ إذا جـاءَ، فمَحَـا سـلطانَ الليـلِ؛ وفي السَّـحابِ المســخَّرِ بين الســماءِ والأرضِ، وفي النجـــومِ، وفي الشتاءِ، وفي الصيفِ؛ واللهِ ما زَالَ المؤمنونَ يتفكَّرُونَ

---

[1] (?) الحلية (4/23-24).
[2] (?) نزهة الفضلاء (1/697).

فيمــا خلــقَ ربُّهم، حــتى أيقنَتْ قلــوبُهم بــربِّهم؛ وحتَّى كأنَّمَا عبدوا الله تعالى عن رؤيةٍ[1].

عبادةُ أبي الدرداءِ:

عن عونِ بنِ عبدِ اللهِ قالَ: سـألتُ أمَّ الـدرداءِ: مـا كــان أفضــلُ عمــلِ أبي الــدرداءِ؟ قــالت: التفكــرُ والاعتبارُ[2].

تفكُّرُ داودَ الطائيِّ:

عن عبدِ الأعلى بنِ زيادٍ الأسلميِّ قـال: رأيتُ داودًا الطــائيَّ يومًــا، قائمًــا على شــاطئِ الفــراتِ، مبهوتًــا؛ فقلتُ: يا أبا سليمانَ، ما يوقِفُك هنــا؟ قـال: انظُـرْ إلى الفُلْـكِ، كيـفَ تجـرِي في البحـرِ مسـخراتٍ بـأمرِ اللـهِ تعالى[3].

كيفيةُ التعاملِ مع الأسبابِ:

وقــال بنــانٌ الحمــالُ: رؤيــةُ الأســبابِ على الــدوامِ قاطعةٌ عن مشاهدةِ المسبِّبِ، والإعـراضُ عن الأسـبابِ جملةً، يؤدِّي بصاحِبِه إلى ركوبِ الباطلِ[4].

---

[1] (?) الحلية (6/303).
[2] (?) الحلية (4/253).
[3] (?) (7/356).
[4] (?) نزهة الفضلاء (3/1169).

لو كُشِفَ الغطاءُ:

وعن أحمـدَ بن أبي الحـواريِّ، قـال: كُنتُ أسـمعُ وكيعًا يبتدئُ قبلَ أن يُحَدِّثَ فيقولُ: ما هنالِك إلا عفـوُه، ولا نعيشُ إلا في سترِه، ولو كُشِفَ الغطاءُ لكُشِفَ عن أمرٍ عظيمٍ[1].

كيفيةُ المراقبةِ:

سُـئِلَ عبـدُ اللـهِ بن فاتـكٍ عن المراقبـةِ فقـال: إذا كنتَ غـافلًا: فـانظُرْ نَظَـرَ اللـهِ إليـك؛ وإذا كنتَ قـائلًا: فانظر سَمْعَ اللـهِ إليـك؛ وإذا كنتَ سـاكتًا: فـانظُرْ علمَ اللـهِ فيـكَ قـال اللـهُ تعـالى: ﴿**إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ [طه:46][2].

* * *

[1] (?) نزهة الفضلاء (2/987).
[2] (?) الحلية (10/358).

أثرُ الذنوبِ والمعاصِي في ضَعْفِ تعظيمِ اللهِ في القلبِ

قالَ الإمامُ ابنُ القيمِ: «ومن عُقُوباتِها ـ أي الذنوبُ والمعاصي ـ أنها تُضْعِفُ في القلبِ تعظيمَ الربِّ جلَّ جلالُه وتضعِفُ وقَارَهُ في قلبِ العبدِ ولا بدَّ شاءَ أم أبى، ولو تمَكَّنَ وقَارُ اللهِ وعظمتُه في قلبِ العبدِ لما تجرَّأَ على معاصِيه.

وربَّما اغتَرَّ المغتَرُّ وقال إنما يحمِلُني على المعاصِي حسنُ الرجاءِ وطَمَعِي في عَفْوِهِ لا ضعفُ عظمتِه في قلبِي وهذا من مغالطةِ النفسِ؛ فإنَّ عظمةَ اللهِ تعالى وجلالَه في قلبِ العبدِ وتعظيمَ حرماتِه يحولُ بينَه وبينَ الذنوبِ، والمتجرِّؤنَ على معاصِيه ما قَدَرُوه حقَّ قدرِه، وكيفَ يَقْدُرُهُ حقَّ قدرِه أو يعظِّمُه أو يكَبِّرُه أو يرجُو وقارَه ويُجِلُّهُ من يهونُ عليهِ أمْرُهُ ونَهْيُهُ؛ هذا من أمحلِ المحالِ وأبينِ الباطلِ، وَكَفَى بالعاصِي عقوبةً أَنْ يَضْمَحِلَّ من قَلْبِهِ تعظيمُ اللهِ جلَّ جلالُه وتعظيمُ حرماتِه، ويهونَ عليهِ حَقُّهُ.

ومن بعضِ عقوبةِ هذا أن يرفَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ مهابَتَهُ من قلوبِ الخلقِ ويهونُ عليهم ويستخِفُّونَ به

كما هَـانَ عليـه أَمْـرُهُ واسـتَخَفَّ بـه، فعلى قـدرِ محبـةِ العبدِ للهِ يحِبُّهُ النَّاسُ، وعلى قَدْرِ خَوْفِهِ منَ اللهِ يخافُـهُ الناسُ، وعلى قدرِ تعظِيمِهِ للهِ وحرماتِـه يُعَظِّمُ النـاسُ حرمَاتِهِ.

وكيفَ يَنْتَهِكُ عبدٌ حرماتِ اللهِ ويطمَـعُ أنْ لا يَنْتَهِـكَ الناسُ حرماتِه، أم كيفَ يهونُ عليهِ حقُّ اللـهِ ولا يُهَوِّنُـهُ اللهُ على النـاسِ، أم كيـفَ يسـتخِفُّ بمعاصِـي اللـهِ ولا يستخِفُّ به الخلقُ.

وقـدْ أشـارَ سـبحانَهُ إلى هـذا في كتابِـهِ عنـدَ ذِكْـرِ عقوباتِ الذنوبِ وأنَّهُ أَرْكَسَ أربابَها بما كَسـبُوا، وغَطَّى على قلـوبِهم وطَبَـعَ عليهـا بـذنوبِهم، وأنَّه نسـيَهُمْ كمـا نَسُوهُ، وأهانَهُمْ كما أهـانُوا دينَـه، وضَـيَّعَهُم كمـا ضَـيَّعُوا أمرَهُ؛ ولهذا قال تعالى في آيةِ سجودِ المخلوقـاتِ لـه: ﴿**وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَـهُ مِنْ مُكْـرِمٍ**﴾ [الحج:18]؛ فإنَّهم لمـا هـانَ عليهِمُ السـجودُ لـه واسـتَخَفُّوا بِـهِ ولم يَفْعَلُوهُ، أهانَهُم فلم يَكُنْ لهم مِنْ مُكْرِمٍ بعدَ أنْ أهانَهُمْ، ومَنْ ذا يُكْرِمُ من أهانَهُ اللهُ أو يُهِنْ من أَكْرَمَ»[1].

* * *

---

1 (**?**) الجواب الكافي (1/46).

عشرةُ وسائل لتعظيم الله عزوجل

لا شكَّ أن تعظيمَ اللـهِ عزوجل من أجـلِ العبـاداتِ القلبيــةِ الــتي تَظْهَــرُ آثارُهــا على الجــوارحِ من خلالِ المسارعةِ إلى كلِّ مـا يُحِبُّهُ اللـهُ ويرضَـاهُ منَ الأقـوالِ والأفعالِ الظاهرةِ والباطنةِ. فلولا وجودُ نوعِ تعظيمٍ للهِ عزوجل في القلبِ لما صـبرَ النـاسُ على طاعـةِ اللـهِ، وعن معصيةِ اللهِ، وعلى أقدارِ اللهِ المؤلمةِ.

وعلى قَــدْرِ تعظيمِ اللــهِ تعــالى في القلبِ يكــونُ إحسانُ العبادةِ وإتمامُها وإكمالُها وإتقانُها.

وهناك وسائل كثيرة لتعظيمِ اللهِ تعالى منها:

1- إفرادُ اللهِ سبحانَه بالوحدانيةِ:

فيشهد العبـدُ انفـرادَ اللـهِ تعـالى بـالخلقِ والحُكْمِ، وأن ما شاء كان ومـا لم يشـأْ لم يكنْ، وأنـه لا تتحـركُ ذرةٌ إلا بإذنِه، وأنَّ الخلقَ مقهورونَ تحتَ قبضَـتِهِ، وأنـه ما من قلبٍ إلا وهو بين أصـبعينِ من أصـابِعِهِ، إنْ شـاءَ اللــهُ أن يُقِيمَــهُ أقَامَــهُ، وإنْ شــاءَ أن يُزِيغَــهُ أزَاغَــهُ، فالقلوبُ بيدِهِ، وهو مُقَلِّبُهَا ومُصَرِّفُهَا كيفَ شـاءَ وكيـفَ أرادَ، وأنَّه هو الذي آتَى نفوسَ المؤمـنينَ تَقْوَاهَـا، وهـو

الــذي هَــداهَا وزكَّاهَــا، وأَلْهَمَ نُفــوسَ الفُجَّارِ فُجُورَهَــا وَأَشْـقَاهَا، من يهـدِ اللـهَ فلا مُضِـلَّ لـه، ومن يُضْـلِلْ فلا هَادِيَ له، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بفضْـلِهِ ورحمَتِـهِ، ويُضِـلُّ من يشاءُ بعدلِـهِ وحِكْمَتِـهِ **﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَـلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾** [الأنبياء:23]»[1].

فإذا شاهدَ العبدُ ذلك، واستقرَّ في قلبِهِ إفرادُ اللــهِ تعالى بالوحدانيةِ، فأوْرَثَـه ذلـك ـ ولا بـدَّ ـ تعظيمَ اللـهِ عزوجل، وانتقــلَ من توحيــدِ الربوبيــةِ إلى توحيــدِ الألوهيةِ، فاتخذ اللهَ وحدَه إلهًا ومعبودًا، وأحبَّ ما يحبُّه الله، وأبغضَ ما يبغضُـه اللـهُ، وأعطى للـهِ، ومنـع للـهِ، ووالى في اللهِ، وعادى في اللهِ، فهذا التوحيدُ هو الذي من أجلِـهِ أُرْسِــلَتِ الرُّســلُ، وأُنْـزِلَتِ الكتبُ، وخُلِــقَ الخلقُ، وقَامَتْ سوقُ الجهادِ على ساقٍ.

قــال ابنُ القيمِ رحمــه اللــه في منزلــةِ التعظيمِ: «هذه المنزلةُ تابعةٌ للمعرفةِ، فعلى قَدْرِ المعرفةِ يكونُ تعظيمُ الـربِّ تعـالى في القلبِ، وأعـرفُ النـاسِ بـه، أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقـد ذمَّ اللـهُ تعـالى من لم يُعَظِّمْه حقَّ عظمتِه، ولا عرفَه حقَّ معرفتِه، ولا وَصَــفَهُ حقَّ صِفَتِه، فقال: **﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَـارًا﴾**

1 (?) مدارك السالكين (2/412).

[نـوح:13]، قـال ابنُ عبـاسٍ ومجاهـدٌ: «لا ترجُـونَ للـهِ عظمةً». وقال سـعيدُ بنُ جبـيرٍ: «مـا لكم لا تعظِّمُـونَ اللهَ حقَّ عظمَتِه»[1].

2- تدبُّر معاني أسماءِ اللهِ تعالى وصفاتِه:

فأسـماءُ اللـهِ تعـالى كلُّهَـا حُسْـنَى، وكلُّهـا تـدلُّ على الكمالِ المطلقِ، والحمـدِ المطلـقِ، وكلُّهَـا مشـتقةٌ من أوصَافِها، فتدبرُ معاني هذه الأسماءِ وما تُوجِبُهُ من آثار من وسـائل تعظيم اللـهِ عزوجل قـال تعـالى: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْـنَى فَـادْعُوهُ بِهَـا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِـدُونَ** فِي **أَسْـمَائِهِ سَـيُجْزَوْنَ مَـا كَـانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾[الأعراف:180]، وقد ثبتَ في الصحيحين[2] من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**إنَّ للهِ تسعةً وتسعينَ اسمًا، مائـةً إلا واحـدًا، من أَحْصَـاهَا دخـلَ الجنـةَ**» أي من حَفِظَهـا وفهمَ معانِيهـا ومـدلولَها، وأَثْنَى على اللـهِ بهـا، وسـأَلَهُ بهـا، واعْتَقَدَها دخلَ الجنةَ، والجنـةُ لا يـدخُلُها إلا المؤمنـونَ، فعُلِمَ أنَّ ذلـك أعظمُ ينبـوعٍ ومـادةٍ لحصـولِ الإيمـانِ وقوتِهِ وثباتِهِ[3].

3- تدبر القرآن:

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًـا**

---

1 (?) المصدر السابق (2/495).

2 (?) رواه البخاري (2531)، ومسلم (4836).

3 (?) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (ص:3-4).

مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ [الزمر:23]، فهذا دليلٌ على أن تدبرَ القرآنِ العظيمَ يورثُ الخشيةَ والتعظيمَ للهِ سبحانه وتعالى، قال ابنُ القيمِ: «فليسَ شيءٌ أنفعُ للعبدِ في معاشِه ومعادِه، وأقربُ إلى نجاتِه من تدبرِ القرآنِ، وإطالةِ التأملِ فيه، وجمعِ الفكرِ على معانِي آياتِهِ، فإنَّها تُطْلِعُ العبدَ على معالمِ الخيرِ والشرِّ بحذافِيرِها، وعلى طرقَاتِهِمَا وأسبابِهِمَا وغاياتِهِمَا وثمراتِهِمَا، ومآلِ أهلِهِمَا، وتُتِلُّ في يدِهِ[1] مفاتيحَ كنوزِ السعادةِ والعلومِ النافعةِ، وتُثَبِّتُ قواعدَ الإيمانِ في قلبِه، وتُشَيِّدُ بنيانَه، وتُوَطِّدُ أركانَه، وتُرِيهِ صورةَ الدنيا والآخِرَةَ، والجنةِ والنارِ في قلبِه، وتُحْضِرُه بينَ الأممِ، وتُرِيهِ أيَّامَ اللهِ فيهم، وتبصِّرُه مواقِعَ العِبَرِ، وتُشْهِدُهُ عدلَ اللهِ وفَضْلِهِ، وتُعَرِّفُهُ ذاتَهُ، وأَسْمَاءَهُ وصِفَاتِهُ وأَفْعَالَهُ، وما يحبُّهُ وما يبغضُه، وصراطَه الموصِّلَ إليه، وما لسالِكِيه بعدَ الوصولِ والقدومِ عليه، وقواطعَ الطريقِ وآفاتِها»[2].

وقد قال الله تعالى في وصفِ كتابِه: **لَوْ**

---

[1] (?) تتل في يده: تلقيه.

[2] (?) مدار السالكين (1/450).

أَنزلْنَا هَـذَا **الْقُرْآنَ عَلَى جَبَـلٍ لَرَأَيْتَـهُ خَاشِـعًا مُتَصَدِّعًا** مِنْ **خَشْيَةِ اللَّهِ** [الحشر:21]، فإذا كانَ هذا تـأثيرُ القـرآنِ على الجبـالِ، فكيـفَ يكـونُ تـأثيرُه على قلبِ المـؤمنِ؟ قـال جعفـرُ: «سـمعتُ مالـكَ بن دينـارٍ قرأَ: **لَوْ أَنزلْنَا** هَذَا **الْقُرْآنَ عَلَى جَبَـلٍ**.. الآيـة، ثم قالَ: أقسمُ لكم لا يؤمنُ عبدٌ بهذا القـرآنِ إلا صُـدِعَ قلبُه»[1].

وعن ثـابتٍ البنـانيِّ أنـه قـرأ: **الَّتِي تَطَّلِـعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ** [الهمزة:7]، قال: تأكلُه إلى فؤادِه وهـو حيٌّ، ثم بكَى وأبكَى من حَوْلَه[2].

4- التفكرُ في آلاءِ اللهِ وعظيمِ نعمِه:

قال ابنُ القيمِ: «فجديرٌ بمن له مُسْكَةٌ من عقلٍ[3] أن يسافرَ بفكرِهِ في هذه النعمِ والآلاءِ، ويكـررُ ذكرَهَـا، لعلَّه يوقِفُه على المرادِ منها ما هو، ولأيِّ شـيءٍ خُلِـقَ، ولماذا هُيِّئَ، وأيُّ أمرٍ طُلِبَ منـه على هـذه النعمِ، كمـا قال تعالى: **فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** [الأعراف:69]، فَذِكْرُ آلائِه تبارك وتعالى ونعمِه على عبدِه

---

1 (?) الحلية (2/378).

2 (?) السابق (2/323).

3 (?) مسكة من عقل: بقية.

سببُ الفلاحِ والسعادةِ لأن ذلك لا يزيـدُه إلا محبـةً للـهِ وحمدًا وشكرًا وطاعةً»[1].

5- التأملُ في ملكوتِ السمواتِ والأرضِ:

وهذا أيضًا من أعظمِ وسـائلِ تعظيمِ اللـهِ تعـالى، وقـدْ ربطَ القـرآنُ بين هـذا التأمـلِ وبين تعظيمِ اللـهِ تعـالى فقـال: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾[آل عمران:190-191].

وقـد ذكـر ابنُ القيمِ رحمـه اللـه أن الـربَّ تعـالى يدعو عبادَه في القرآنِ إلى معرفَتِه من طريقينِ:

أحدهما: النظرُ في مفعولاتِه.

والثاني: التفكرُ في آياتِه وتدبرُها[2].

وقال رحمه الله: والنظرُ في هذه الآيـاتِ وأمثالِهـا نوعانِ: نظرٌ إليها بالبصرِ الظاهرِ، فَيَرى ـ مثلًا ـ زُرقـةَ السماءِ ونجومَها وعلوَّهـا وسَـعَتَها، وهـذا نظـرٌ يشـاركُ الإنسانُ فيه غيرَه من الحيواناتِ، وليسَ هـو المقصـودُ

[1] (?) مفتاح دار السعادة (1/229).

[2] (?) الفوائد (ص:40).

بالأمرِ.

والثـــاني: أن يتجـــاوزَ هـــذا إلى النظـــرِ بالبصـــيرةِ الباطنةِ، فتفتحُ له أبوابُ السماءِ، فيجـولُ في أقطارِهـا وملكوتِها وبين ملائِكَتِها.

ثم يفتحُ لـه بـابٌ بعـد بـابٍ، حـتى ينتهيَ بـه سَـيْرُ القلبِ إلى عـرشِ الـرحمنِ، فينظـرُ سَـعَتَه وعظمتَـهُ وجلالَـهُ ومجـدَهُ ورفعَتَـهُ، ويـرَى السـمواتِ السـبعَ والأرضينَ السبعَ بالنسبةِ إليهِ كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضِ فلاةٍ. ويَرَى الملائكـةَ حـافِّينَ من حَوْلِـه، لهم زَجَـلٌ بالتسـبيحِ والتحميدِ والتقديسِ والتكبـيرِ، والأمـرُ يـنزلُ من فوقِـه بتدبيرِ الممالكِ والجنودِ التي لا يعلَمُهَا إلا ربُّها ومليكُهـا. فينزلُ الأمرُ بإحياءِ قـومٍ وإماتـةِ آخـرينَ، وإعـزازِ قـومٍ وإذلالِ آخرينَ، وإسعادِ قـومٍ وشـقاوةِ آخـرينَ، وإنشـاءِ مُلْكٍ وسَلْب مُلْكٍ، وتحويلِ نعمـةٍ من مَحَـلٍّ إلى محـلٍّ، وقضـاءِ الحاجـاتِ على اختلافِهـا وتباينِهـا وكثرتِهـا؛ من جبرِ كسيرٍ، وإغناءِ فقيرٍ، وشفاءِ مريضٍ، وتفريجِ كـربٍ، ومغفـرةِ ذنبٍ، وكشـفِ ضـرٍّ، ونصـرِ مظلـومٍ، وهدايـةِ حيرانَ، وتعليمِ جاهلٍ، وردِّ آبقٍ، وأمانِ خـائفٍ، وإجـارةِ مستجيرٍ، ومددٍ لضعيفٍ، وإغاثةٍ لملهوفٍ وإعانةٍ لعاجزٍ، وانتقامٍ من ظالمٍ، وكفٍّ لعدوانٍ... فحينئذٍ يقـومُ القلبُ

بين يدي الرحمنِ مُطرِقًا لهيبتِه، خاشِعًا لعظمتِـه، عـانٍ لعزَّتِه، فيسجدُ بينَ يدَيِ الملكِ الحقِّ المبينِ سـجدةً، لا يرفعُ رأسَهُ منها إلى يومِ المزيدِ[1].

6- تعظيمُ شعائرِ اللهِ وحرماتِه:

فإذا عظَّمَ العبدُ ما عظَّمَه اللهُ تبارك وتعالى، امْتَلَأَ قلبُـه بـالتعظيمِ للـه والخشـيةِ منـه، كمـا قـال تعـالى: ﴿**ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا** مِنْ **تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾ [الحج:32]، وكـانَ من شدةِ تعظيمِ السلفِ لله لأ، أنَّهم كانوا يبكُونَ إذا خُولِفَ أمـرُ اللـهِ سـبحانه وتعـالى من غـيرِهم، فعن ربيـعِ بن عتابٍ قال: كنتُ أمشِي مع زيادِ بن جريرٍ، فسَـمِعَ رَجُلًا يحلِفُ بالأمانَةِ. قال: فنظرتُ إليـه وهـو يبكِي قلت: مـا يبكِيكَ؟ فقال: أمـا سَـمِعْتَ هـذا يحلـفُ بالأمانـةِ؟ فَلَئَنْ تُحَـكُّ أحشَـائِي حـتى تُـدْمَى أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَنْ أَحْلِـفَ بالأمانةِ[2].

وكان عمرُ بنُ ذرٍّ يقولُ: آنَسكَ جانبُ حِلْمِهِ فتوثَّبْتَ على معاصِيه! أَفَأَسَفَه تريدُ؟ أما سـمعتَه يقـولُ: ﴿**فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ**﴾ [الزخرف:55].

---

1 (?) مفتاح دار السعادة (1/199).

2 (?) الحلية (4/196).

أيُّها الناسُ: أَجِلّوا مقامَ اللـهِ بـالتنزُّهِ عمـا لا يحـلُّ، فإنَّ اللهَ لا يؤمنُ إذا عُصِي[1].

7- التأملُ في سننِ اللهِ عزوجل:

ومن وسائلِ تعظيمِ الله لأ: التأملُ في سـننِه الـتي لا تتبدلُ ولا تتغيرُ ومن هذهِ السننِ:

سُنَّةُ الدفْعِ: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّـهِ وَقَتَـلَ دَاوُودُ جَـالُوتَ وَآتَـاهُ اللّـهُ الْمُلْـكَ وَالْحِكْمَـةَ وَعَلَّمَـهُ مِمَّا يَشَـاءُ وَلَـوْلاَ دَفْـعُ اللّـهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾ [البقرة:251].

وسُنَّةُ التداولِ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَـرْحٌ فَقَـدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُـهُ وَتِلْـكَ الأيَّامُ نُـدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران:140].

وسـنةُ الابتلاءِ: ﴿أَلم * أَحَسِـبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُـوا أَنْ يَقُولُـوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُـونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:1-3].

وسـنةُ التغيـيرِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَـا بِقَـوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوامَـا بِأَنْفُسِـهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد:11].

1 (?) الحلية (5/111).

وسنةُ نصرِ المؤمـنينَ إذا حَقَّقُـوا الشـرطَ: ﴿**يَـــا أَيُّهَـــا الَّذِينَ آمَنُـــوا إِنْ تَنْصُـــرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ [محمـد:7]، وغـير ذلـك من السنن.

فلا شكَّ أنَّ التأمـلَ في هـذهِ السـنـنِ وغيرِهـا ممـا يورثُ تعظيمَ اللهِ في القلوبِ، لأنـه يـؤدِّي إلى حقيقـةٍ مفادُها أنَّ لهذا الكونِ إلهًا عظيمًا قادرًا، له مقاليدُ كـلِّ شـيءٍ، ولا يُعْجِـزُهُ شـيءٌ في الأرضِ ولا في السـماءِ، غيرَ أنه سبحانه وتعالى قـد سَـيَّرَ هـذا الكـونَ بمـا فيـه وَفْقَ نظامٍ مُحكمٍ وقوانينَ ثابتةٍ لا تتبدلُ ولا تتغيرُ.

8- معرفـةُ بعضِ جـوانبِ الإعجـازِ العلميِّ في القـرآنِ والسنةِ:

ومثـالُ ذلـكَ قـولُ اللـهِ تعـالى: ﴿**وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾ [الطارق:12]، قال الدكتور زغلولٌ النجارُ: «من الآياتِ الوصفيةِ المبهرةِ قولُ الحقِّ تبـارك وتعـالى في سورةِ الطارقِ: ﴿**وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾ فهذا قسمٌ عظيمٌ لحقيقةٍ كونيةٍ مبهـرةٍ لم يُـدْرِكْها العلمـاءُ إلَّا في النِّصفِ الأخيرِ من القرنِ العشرينَ.

فالأرضُ التي نَحْيَا عليها لها غلافٌ صَخْرِيٌّ خارجيٌّ،

هـذا الغلافُ مُمَـزَّقٌ بشـبكةٍ هائلـةٍ من الصُّـدوعِ، تمتـدُّ لمئـاتِ الآلافِ من الكيلومـتراتِ طـولًا وعرضًـا، بعمـقٍ يـتراوحُ مـا بين 65 كيلومـترًا و150 كيلومـترًا في كـلِّ الاتجاهات.

ومن الغـريبِ أن هـذه الصـدوعَ مرتبطـةٌ ببعضِـها البعضِ ارتباطًا يجعلُها كأنَّها صدعٌ واحدٌ، يُشَبِّهُهُ العلمـاءُ باللِّحامِ على كرةِ التنسِ.

وانطلاقًا من ذلك يُقْسِمُ اللهُ تعالى بهـذه الحقيقـةِ الكونيةِ المبهـرةِ، الـتي لم يَسْـتَطِعْ العلمـاءُ أن يـدركُوا أبعادَهـا إلا بعــدَ الحــربِ العالميَّةِ الثانِيَـةِ، واســتمرتْ دراســتُهم لهــا لأكــثر من عشــرينَ ســنةً متصــلةً من 1945م- 1965م حـتى اسـتطاعُوا أن يرسـمُوا هـذه الصـدوعَ بالكامـلِ، والقـرآنُ الكـريمُ كـانَ قـد سـبقَ إدراكَهم بـأكثرِ من ألـفٍ وأربعمائـةٍ من السـنينَ بقـولِ الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾»[1].

فلا شـــكَّ أنْ تأمُّلَ مثــلَ هــذهِ الحقــائقِ العلميــةِ الموافقةِ للقرآنِ الكريمِ مما يُقَـوِّي جـانبَ تعظيمِ اللـهِ سبحانه وتعالى في النفسِ.

---

[1] (?) من آيـات الإعجـاز العلمي في القـرآن الكـريم (ص:83-84)، باختصار يسير.

9- التأملُ في دلائلِ الحكمةِ الإلهيةِ:

فهو سبحانه وتعالى الحكيمُ الذي بَهَرَتْ حكمتُه الألبابَ، وهو سبحانه لم يخلُقْ شيئًا عبثًا ولا سدىً، وله الحكمةُ البالغةُ في كلِّ ما قدَّرَهُ وقَضَاهُ من خيرٍ وشرٍّ وطاعةٍ ومعصيةٍ، وحِكَمُهُ سبحانه باهرةٌ تَعْجَزُ العقولُ عن الإحاطةِ بكُنْهها، وتَكِلُّ الألسنُ عن التعبيرِ عنها.

ولله في كلِّ تحريكةٍ ... وتسكينةٍ أبدًا شاهدُ

وفي كلِّ شيءٍ له آيةٌ ... تدلُّ على أنه واحدُ

وحظُّ العبدِ في نفسِه وما يخصُّه من شهودِ هذهِ الحكمةِ فبحَسَبِ استعدادِه وقوةِ بصيرتِه، وكمالِ علمِه ومعرفتِه باللهِ وأسمائِه وصفاتِه، ومعرفتِه بحقوقِ العبوديةِ والربوبيةِ. وكلُّ مؤمنٍ له من ذلك شِربٌ معلومٌ، ومقامٌ لا يتعدَّاه ولا يتخطَّاه، واللهُ الموفقُ والمعينُ[1].

10- محاسبةُ النفسِ:

من وسائلِ تعظيمِ اللهِ عزوجل: «محاسبةُ النفسِ» وذلكَ لأنَّ من أركانِ المحاسبةِ المقايسةِ بينَ

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين (1/411-412).

ما كانَ من اللـهِ من نعمٍ وإمهـالٍ وسِـتْرٍ وإفضـالٍ ومـا من العبدِ من غفلةٍ وجهلٍ ومعصيةٍ.

قـال ابنُ القيمِ: «وبهـذه المقايسـةِ تعلمُ أن الـربَّ ربٌّ والعبدَ عبـدٌ، ويتـبينُ لـك حقيقـةُ النفسِ وصـفاتِها، وعظمةُ جلالِ الربوبيةِ، وتفرُّدُ الربِّ بالكمالِ والإفضالِ، وأنَّ كلَّ نعمةٍ منه فضلٌ، وكـلَّ نقمـةٍ منـه عـدلٌ، وأنتَ قبلَ هـذه المقايسـةِ جاهـلٌ بحقيقـةِ نفسِـكَ، وبربوبيـةِ فاطِرِها وخالِقِها...»[1].

* * *

1 (?) مدارج السالكين (1/188).

من ثمراتِ تعظيمِ اللهِ عزوجل

هناكَ آثارٌ كثيرةٌ لتعظيمِ اللهِ عزوجل على القلـوبِ والجوارحِ منها:

أ- على الفردِ:

1- تحقيقُ التوحيدِ للهِ والسلامةُ من الشركِ ووسائلِه.

2- محبةُ اللهِ عزوجل المحبةَ الشرعيةَ.

3- الخوفُ من اللهِ عزوجل من غيرِ قنوطٍ.

4- الرجاءُ في اللهِ عزوجل مع حسنِ العملِ.

5- مراقبةُ اللهِ عزوجل في السرِّ والعلانيةِ.

6- التوكــلُ على اللــهِ في كــلِّ الأمــورِ مــعَ الأخــذِ بالأسبابِ.

7- الثقةُ باللهِ عزوجل في أَحْلَكِ الظروفِ.

8- الثباتُ والطمأنينةُ واليقينُ في اللهِ عزوجل.

9- الحياءُ من اللهِ عزوجل.

10- التبرؤُ من الحولِ والقوةِ وإظهارُ الافتقـارِ إلى اللـهِ عزوجل.

11- تحكيمُ شــرعِ اللــهِ عزوجل في كافــةِ الأمــورِ مــع

الرِّضَا والتسليمِ.

12-حفظُ الضرورياتِ الخمسِ؛ وهيَ: الـدينُ، والنفسُ، والعقلُ، والمالُ، والعرضُ.

13-المسـارعةُ إلى أداءِ الواجبـاتِ من صـلاةٍ وزكـاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وبـرٍ بالوالـدينِ وصـلةٍ للـرحمِ وحسـنِ خلقٍ.

14-تركُ جميعِ المعاصي والمنكراتِ القوليـةِ والعمليـةِ والاعتقاديةِ.

15-كثرةُ ذكـرِ اللـهِ عزوجل ودعائِه واسـتغفارِه وتلاوةِ كتابِه.

16-الإكثارُ من ذكرِ الموتِ.

17-قصرُ الأملِ.

18-اتهامُ النفسِ دائمًا بالإهمالِ والتقصيرِ.

19-ألَّا يَرَى لنفسِهِ على اللهِ حقًّا.

20-ألا يَشْكُو اللهَ عزوجل إلى خلقِه.

21-ألا يُذِلَّ نفسَه لصاحبِ دنيا.

ب- على الأسرةِ:

لا شكَّ أنَّ الأسرةَ هي المنبعُ الأساسُ الذي يصــدُرُ عنــه كافَّةُ الأخلاقِ والســلوكياتِ والتصــرفاتِ، ســواءٌ أكانت أخلاقًا وسلوكياتٍ محمودةً أم مذمومةً.

ولذلكَ فإنَّ الأسرةَ إذا تربَّتْ ونشــأَتْ على معـانِي تعظيمِ اللهِ ـ ومراقبتِه في الســرِّ والعلانيـةِ، فـإنَّ ذلـك ســوفَ يُنْتِجُ أفــرادًا يتحلَّوْنَ بعُمْــقِ الإيمــانِ ومكــارمِ الأخلاقِ، والوقوفِ عندَ حدودِ اللهِ ـ، وكبحِ جماحِ رغباتِ النفسِ وشـهواتِها، والحـذرِ من كـلِّ مـا يُغْضِـبُ اللـهَ ـ مهما كـانتِ الظـروفُ معينـةً على المعصـيةِ حاثَّةً على الوقوعِ فيها.

ومن ثمــراتِ تعظيمِ اللـــهِ ســـبحانه في محيطِ الأسرةِ ما يلي:

1- أداءُ الحقـوقِ، سـواءٌ حـقُّ الوالـدينِ، أو الـزوجِ، أو الزوجةِ، أو الأولادِ، أو الخادمِ.

2- تربيـــةُ الأبنـــاءِ على الأخلاقِ الكريمـــةِ والصـــفاتِ النبيلةِ.

3- تربيةُ الأبناءِ على مراقبةِ اللـهِ وتعظيمِـه في السـرِّ والعلانيةِ.

4- تعظيمُ شأنِ الصلاةِ في محيطِ الأسرةِ.

5- مشـــاركةُ أفــرادِ الأســـرةِ في الأعمـــالِ الخيريَّةِ والأنشطةِ الاجتماعيةِ.

6- تطهيرُ البيتِ منَ الملاهِي والمنكراتِ والصُوَرِ.

7- المحافظةُ على الوقتِ لأنَّه في الحقيقـةِ هـو عُمُـرُ الإنسانِ ورأسُ مالِه الذي يشترِي به مرضـاةَ اللـهِ والخلودَ في الجنةِ والنجاةَ من النارِ.

8- الإحسـانُ إلى الجـيرانِ وعـدمُ إيـذائِهم وتعاهُـدِهِم بالتُّحَفِ والهدايا والزياراتِ.

9- ترتيبُ الأولوياتِ، وتقـديمُ الفـرائضِ على النوافـلِ، وواجبِ الوقتِ على غيرِه.

10-تعظيمُ أوامرِ اللهِ ونواهِيهِ ونصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ والانقيادِ التامِّ لها.

11-تربيـةُ أفـرادِ الأسـرةِ على روحِ الإبـداعِ والتفـوقِ والتميُّزِ في كافَّةِ مجــالاتِ الحيـــاةِ، وهـــذا من الإحسانِ الذي أَمَرَنَا الله تعـالى بـه: ﴿**وَأَحْسِنُوَاْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [البقرة:195].

ج- من ثمراتِ تعظيمِ اللهِ على المجتمعِ:

إن المجتمـعَ الـذي يغلبُ على أفـرادِه خشـيةُ اللـهِ تعالى وتعظيمُه في الغيبِ والشهادةِ يكثُرُ خيرُه، ويقـلُّ شرُّه، وينتفعُ بـه القـريبُ والبعيـدُ، والقاصِـي والـداني، ويصبحُ قـدوةً لغـيرِه من المجتمعـاتِ والشـعوبِ، ومن ثمراتِ تعظيمِ اللهِ على المجتمعِ ما يلي:

1- حفــظُ الضــرورياتِ الخمسِ الــتي جــاءَ الإســلامُ بحفظِهــا؛ وهي: الــدينُ، والنفسُ، والعقــلُ، والمالُ، والعرضُ.

2- التكافـلُ الاجتمـاعِيُّ بحيثُ لا يبقَى جـائعٌ لا يجِـدُ طعامًـا، ولا مـريضٌ لا يَجِـدُ دواءً، ولا عَـارٍ لا يَجِـدُ لباسًـا، ولا أُسـرةٌ مهـددَّةٌ بـالطردِ من الـبيتِ، لأنَّ ربَّ الأسرةِ لا يَجِدُ قيمةَ إيجارِ البيتِ، أو قيمةَ مـا تَسْـتَهْلِكُهُ الأسرةُ من ماءٍ وكهرباء.

3- تعزيــــزُ الأخلاقِ الإســــلامية بينَ أبنــــاءِ المجتمـعِ، وتنفـيرُ أبنـاءِ المجتمـعِ من الأخلاقِ السـيئةِ، وتكريمُ أهلِ التميزِ في هذا البابِ.

4- حملُ رايةِ الأمرِ بــالمعروفِ والنهيِ عن المنكر بـالطرقِ الشـرعيةِ الـتي تُثمـرُ المطلـوبَ من

كـثرةِ المعـروفِ وطـرقِ الخـيرِ، وإماتـةِ المنكـراتِ أو تقليلِها.

5- محاربــةُ البــدعِ والمحــدثات المتعلقـــةِ بالعباداتِ والمعاملاتِ والسلوكِ، والرجوعُ بالنـاسِ إلى سماحةِ الإسلامِ وبساطَتِهِ.

6- إبــرازُ أهــلِ الخشــيةِ والتعظيم كنجــومٍ للمجتمـعِ ينبغي الاسـتفادةُ منهم، وفي مقـدِّمَتِهم أهـلُ العلمِ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَـادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فطر:28].

7- إشاعةُ روحِ التناصـحِ بين أبنـاءِ المجتمع وبخاصـةٍ في أسـواقِ المسـلمينَ، بحيثُ لا يوجـدُ بين الناسِ غشٌّ ولا غررٌ ولا احتكارٌ.

8- رفضُ المجتمــعِ لكافــةِ الاســتخداماتِ السـلبيةِ لوسـائلِ الإعلامِ والتقنيـةِ، والاقتصـارُ على النـافعِ والمفيـدِ منهـا، ويـدخلُ في ذلـك الصـحفُ والمجلَّاتُ والقنواتُ التلفزيونيةُ، والراديـو والكمـبيوتر، والانترنت والهاتفُ الجوالُ وغيرُ ذلك.

9- تكاتفُ المجتمعِ في مجابهةِ المشـكلاتِ الطارئةِ قبلَ أن تتفاقمَ ويستفحلَ خَطَرُها، ومن ذلك:

العنوســـــةُ بين الفتيـــــاتِ، البطالـــــةُ، المســـــكراتُ والمخـــدراتُ، التـــدخينُ، التشـــبُّهُ بالكفـــارِ، العنـــفُ والإرهابُ، العلاقاتُ المحرمةُ بين الجنسينِ.

10- العمــلُ على تقويــةِ روابــطِ الوحــدةِ والألفةِ بين المســلمين في كـلِّ مكـانٍ، من أجـلِ إقامةِ أمةٍ واحدةٍ قادرةٍ على الحفاظِ على هويـةِ الأمـةِ والدفاعِ عن كيانِها ضدَّ كافَّةِ الهجماتِ التي تُشَنُّ عليها.

* * *

المعاني الجامعة للأسماء الحسنى

وقال الشيخُ عبدِ الرحمنِ السعديِّ[1]:

«وقد تكررَ كثيرٌ من أسماءِ اللهِ الحسنى في القرآنِ بحسبِ المناسباتِ، والحاجةُ داعيةٌ إلى التنبيهِ إلى معانِيها الجامعةِ، فنقولُ:

قد تكرَّرَ اسمُ «الربِّ» في آياتٍ كثيرةٍ.

«**الربُّ**»: هو المربِّي جميعَ عبادِه بالتدبيرِ وأصنافِ النِّعمِ. وأخصُّ من هذا تربيتُه لأصفيائِهِ بإصلاحِ قلوبِهم وأرواحِهم وأخلاقِهم. ولهذا كَثُرَ دعاؤُهم له بهذا الاسمِ الجليلِ، لأَنَّهم يطلبُونَ منه هذهِ التربيةَ الخاصَّةَ.

1- «**اللهُ**»: هو المألوهُ المعبودُ، ذو الألوهيةِ والعبوديةِ على خلقِهِ أجمعينَ، لما اتَّصفَ به من صفاتِ الألوهيةِ التي هي صفاتُ الكمالِ.

2، 3- «**الملكُ، المالكُ**»: الذي لهُ الملكُ فهو الموصوفُ بصفةِ الملكِ، وهي صفاتُ العظمةِ الكبرياءِ، والقهرِ والتدبيرِ، الذي له التصرفُ المطلقُ في الخلقِ والأمرِ والجزاءِ، وله جميعُ العالمِ العلويِّ والسفليِّ،

---

1 (**?**) ملحق بتفسير السعدي (ص:945-949).

كلُّهُم عبيدٌ ومماليكُ، ومضطرونَ إليه.

4، 5- «**الواحدُ، الأحدُ**»: وهو الذي تَوحَّدَ بجميعِ الكمالاتِ، بحيثُ لا يشارِكُهُ فيهـا مشـاركٌ، ويجبُ على العبيدِ تَوْحِيدُهُ، عقلًا، وقولًا، وعملًا، بأنْ يعترفُوا بكمالِـه المطلقِ، وتفرُّدِه بالوحدانيةِ، ويفردُوه بأنواعِ العبادةِ.

6- «**الصَّمَدُ**»: هو الذي يَقْصِدُهُ الخلائقُ كلُّهـا في جميعِ حاجَاتِها، وضروراتِها وأحوالِها، لما له من الكمـالِ المطلقِ في ذاتِه، وأسمائِه، وصفاتِه، وأفعالِه.

7، 8- «**العليمُ، الخبيرُ**»: وهو الذي أحاطَ علمُه بالظـاهرِ والبـاطنِ، والإسـرارِ والإعلانِ، وبالواجبـاتِ والمستحيلاتِ والممكناتِ، وبالعالمِ العلـويِّ والسـفليِّ، وبالماضِي والحاضِرِ والمستقبلِ، فلا يَخْفَى عليه شـيءٌ من الأشياءِ.

9- «**الحكيمُ**»: وهو الـذي لـه الحكمـةُ العُلْيَـا في خلقِهِ وأَمْرِهِ، الذي أحسـنَ كـلَّ شـيءٍ خلقَـهُ ﴿**أفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُـونَ وَمَنْ أَحْسَـنُ** مِنَ **اللَّهِ حُكْمًـا لِقَوْمٍ يُوقِنُـونَ**﴾. فلا يَخْلُـقُ شـيئًا عبثًـا، ولا يَشْـرَعُ شيئًا سُدىً، الـذي لـه الحكمُ في الأولى والآخـرةِ، ولـه الأحكـامُ الثلاثـةُ لا يشـارِكُهُ فيهـا مشـاركٌ، فيحكمُ بين

عبادِه، في شرعِه، وفي قدرِه وجزائِه.

والحكمةُ: وضعُ الأشياءِ مواضعَها، وتنزيلُها منازِلَها.

10، 16- «**الرحمنُ، الرحيمُ، البَرُّ، الكـريمُ، الجوادُ، الرؤوفُ، الوهَّابُ**». هذه الأسـماءُ تتقـاربُ معانِيها، وتدلُّ كلُّها على اتِّصافِ الربِّ بالرحمـةِ، والبِـرِّ والجودِ، والكرمِ، وعلى سَعَةِ رحمتِه ومواهبِه، التي عمَّ بها جميعَ الوجـودِ، بحسـبِ مـا تقتضِـيهِ حكمتُـه، وخصَّ المؤمنينَ منها بالنصيبِ الأوفـرِ، والحـظِّ الأكمـلِ، قـال تعالى: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ الآية.

والنعمُ والإحسـانُ كلُّه من آثـارِ رحمتِـه، وجـودِه، وكرمِه، وخيراتُ الدنيا والآخرةِ، كلُّها من آثارِ رحمتِه.

17- «**السميعُ**» لجميعِ الأصواتِ، باختلافِ اللغـاتِ على تفنُّنِ الحاجاتِ.

18- «**البصيرُ**» الـذي يبصـرُ كـلَّ شـيءٍ وإنْ دقَّ وصَغُرَ، فيبصرُ دبيبَ النملةِ السوداءِ في الليلةِ الظلماءِ على الصخرةِ الصَّمَّاءِ. ويُبصرُ ما تحتَ الأرضينَ السـبعِ، كما يبصرُ ما فوقَ السمواتِ السبعِ. وأيضًا سميعٌ بصـيرٌ بمنْ يستحقُّ الجزاءَ بحسـبِ حكمتِـه، والمعـنى الأخـيرُ

يرجِعُ إلى الحكمةِ.

19- «**الحميـدُ**» في ذاتِـه، وأسـمائِه، وصـفاتِه، وأفعالِـه، فلـهُ من الأسـماءِ أحسـنُها، ومن الصـفاتِ أكملُها، ومن الأفعالِ أتمُّها وأحسنُها، فإنَّ أفعالَه تعـالى دائرةٌ بينَ الفضلِ والعدلِ.

20-23- «**المجيدُ، الكبيرُ، العظيمُ، الجليلُ**» وهو الموصوفُ بصـفاتِ المجـدِ، والكبريـاءِ، والعظمـةِ، والجلالِ، الذي هو أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأعظمُ من كـلِّ شيءٍ، وأجلُّ وأعلى. ولـه التعظيمُ والإجلالُ في قلـوبِ أوليائِه وأصـفيائِه، قـد مُلِئَتْ قلـوبُهم من تعظيمِـه وإجلالِه، والخضوعِ له والتذلُّلِ لكبريائِه.

24-26- «**العفُوُّ، الغفـورُ، الغفـارُ**» الـذي لم يزَلْ، ولا يَزَالُ بالعفوِ معروفًا، وبـالغفرانِ والصـفحِ عن عبادِه موصُوفًا، كلُّ أحدٍ مُضْـطَرٌّ إلى عَفْـوِه ومغفرَتِـه، كما هو مُضْطَرٌّ إلى رحمتِه وكرمِه، وقد وَعَدَ بـالمغفرةِ والعفوِ لمن أتى بأسبابِها، قال تعـالى: ﴿**وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَـنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى**﴾.

27- «**التوَّابُ**» الذي لم يَزَلْ يتوبُ على التائبينَ، ويغفـرُ ذنـوبَ المنيـبينَ، فكـلُّ من تـابَ إلى اللـهِ توبـةً

نصوحًا، تابَ اللهُ عليـه، فهـو التـائبُ على التـائبينَ أولًا بتـوفِيقِهم للتوبـةِ والإقبـالِ بقلـوبِهم إليـه، وهـو التـائبُ عليهم بعد توبَتِهم قبولًا لهم، وعَفْوًا عن خطَايَاهم.

28، 29- «**القـدُّوسُ، السـلامُ**» أي: المعظَّمُ المـنزَّهُ عن صـفاتِ النقصِ كلِّهـا، وأن يماثِلَـه أحـدٌ من الخلقِ، فهو المتنَـزِّهُ عن جميـعِ العيـوبِ، والمتـنزِّهُ عن أن يقارِبَه أو يماثِلَه أحدٌ في شيءٍ من الكمـالِ ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾، ﴿**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ**﴾، ﴿ **هَـــلْ تَعْلَمُ لَـــهُ سَـــمِيّاً** ﴾، ﴿**فَلَا تَجْعَلُـــوا لِلَّهِ أَنْدَادًا**﴾.

فالقـدُّوسُ كالسـلامِ، ينفيـانِ كـلَّ نقصٍ من جميـعِ الوجوهِ، ويتضمَّنَانِ الكمالَ المطلقَ من جميعِ الوجــوهِ، لأنَّ النقصَ إذا انْتَفَى ثَبتَ الكمالُ كُلُّه.

30، 31- «**العليُّ الأعلى**» وهو الذي لـه العلـوُّ المطلقُ من جميـعِ الوجـوهِ، علـوُّ الـذَّاتِ، وعلـوُّ القـدرِ والصِّفَاتِ، وعلوُّ القهرِ. فهو الذي على العرشِ اسْتَوَى، وعلى المُلْكِ احْتَوَى، وبجميعِ صفاتِ العظمةِ والكبريـاءِ والجلالِ والجمـالِ وغايـةِ الكمـالِ اتَّصَـفَ، وإليـهِ فيهـا المُنْتَهَى.

32- «**العزيزُ**» الذي له العزةُ كلُّها: عـزةُ القـوَّةِ، وعزةُ الغلبةِ، وعزةُ الامتناعِ، فـامتنعَ أن ينالَـه أحـدٌ من المخلوقاتِ، وقَهَرَ جميعَ الموجوداتِ، ودَانَتْ لهُ الخليقَةُ وخَضَعَتْ لعظمتِه.

33، 34- «**القـويُّ، المـتينُ**» هـو في معـنى العزيزِ.

35- «**الجبَّارُ**» هـو بمعـنى العليِّ الأعلى، وبمعـنى القهَّارِ، وبمعـنى «الـرَّؤُوفِ» الجـابرِ للقلـوبِ المنكسِـرَةِ، وللضعيفِ العاجزِ، ولمن لاذَ بهِ ولجأَ إليه.

36- «**المتكبِّرُ**» عن السـوءِ والنقصِ والعيـوبِ، لعظمتِه وكبريائِه.

37-39- «**الخـالقُ، البـارئُ، المصـوِّرُ**» الـذي خلـقَ جميـعَ الموجـوداتِ وبَرَأَهـا وسـوَّاها بحكمتِـه، وصوَّرَها بحمدِهِ وحكمتِـهِ، وهـو لم يَـزَلْ ولا يَـزَالُ على هذا الوصفِ العظيمِ.

40- «**المؤمنُ**» الـذي أَثْنَى على نفسِـه بصـفاتِ الكمالِ، وبكمالِ الجلالِ والجمـالِ، الـذي أَرْسَـلَ رسـلَه وأنزلَ كتبَه بالآياتِ والبراهينِ، وصـدَّقَ رسـلَه بكـلِّ آيـةٍ وبرهانٍ، يدُلُّ على صدقِهم وصحةِ ما جاؤُوا به.

41- «**المهيمنُ**»: المطلـعُ على خفايَـا الأمــورِ وخبايَا الصدورِ، الذي أحاطَ بكلِّ شيءٍ علمًا.

42- «**القـديرُ**» كامــلُ القــدرةِ، بقدرتِـه أوجــدَ الموجوداتِ، وبقدرتِه دبَّرَها، وبقدرتِه سـوَّاها وأحكَمَهـا، وبقدرَتِه يُحـيي ويُميتُ، ويبعثُ العبـادَ للجـزاءِ، ويجـازي المحسنَ بإحسـانِه، والمسـيءَ بإسـاءَتِه، الـذي إذا أرادَ شيئًا قال له: ﴿**كُنْ فَيَكُونُ**﴾، وبقدرَتِه يقلِّبُ القلوبَ، ويُصَرِّفُها على ما يشاءُ ويريدُ.

43- «**اللطيف**» الـذي أحــاطَ علمُــه بالســرائرِ والخفايَـا، وأدركَ الخبايَـا والبــواطنَ والأمــورَ الدقيقـةَ، اللطيـفُ بعبـادِه المؤمـنينَ، الموصـلُ إليهم مصـالِحَهم بلطفِه وإحسانِه، من طرقٍ لا يشعرونَ بها، فهو بمعنى «**الخبيرِ**» وبمعنى «**الرؤوفِ**».

44- «**الحســيبُ**» هــو العليمُ بعبــادِه، كــافي المتـوكلينَ، المُجَـازِي لعبـادِه بـالخيرِ والشَّـرِّ، بحسـبِ حكمَتِه وعِلْمِهِ بدقيقِ أعمالِهم وجليلِها.

45- «**الرقيبُ**» المطلَّعُ على مـا أَكَنَّتْـهُ الصُـدُورُ، القــائمُ على كــلِّ نفسٍ بمــا كســبتْ، الــذي حَفِــظَ المخلوقاتِ وأَجْرَاهَا على أحسنِ نظامٍ وأكملِ تدبيرٍ.

46- «**الحفيظُ**» الـذي حَفِـظَ مـا خَلَقَـهُ، وأَحَـاطَ علمُـه بمـا أوجـدَهُ، وحَفِـظَ أوليـاءَه من وقـوعِهِم في الـــذنوبِ والهَلَكَـــاتِ، ولَطَـــفَ بهم في الحركـــاتِ والسكناتِ، وأحصى على العبادِ أعمالَهم وجزاءَها.

47- «**المحيـطُ**» بكـلِّ شـيءٍ علمًـا، وقـدرةً، ورحمةً، وقهرًا.

48- «**القهَّارُ**» لكـلِّ شـيءٍ، الـذي خَضَـعَتْ لـهُ المخلوقاتُ، وذَلَّتْ لعزَّتِه وقوَّتِه وكمالِ اقْتِدَارِه.

49- «**المُقيتُ**» الذي أوصلَ إلى كلِّ موجـودٍ مـا به يقتاتُ، وأوصـلَ إليهـا أرزاقَهـا وصَـرَّفَها كيـفَ يشـاءُ بحكمتِه وحمدِه.

50- «**الوكيـلُ**» المتـولِّي لتـدبيرِ خلقِـه بعلمِـه وكمـالِ قدرتِـه وشـمولِ حكمتِـه، الـذي تـولَّى أوليـاءَه، فيَسَّرَهُم لليُسْرَى، وجنَّبَهُمُ العُسْـرَى، وكَفَـاهُمُ الأمـورَ. فمن اتَّخَـذَهُ وكِيلًا كَفَـاهُ ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُـوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾.

51- «**ذو الجلالِ والإكـرامِ**» أي: ذو العظمـةِ والكبريـاءِ، وذو الرحمـةِ والجـودِ، والإحسـانِ العـامِّ والخـاصِّ، المكـرمُ لأوليائِه وأصـفيائِه، الـذين يجلُّونَـهُ

ويعظِّمُونَهُ ويحبُّونَه.

52- «**الـــودودُ**» الـــذي يُحِبُّ أنبيـــاءَه ورسُـــلَهُ وأَتْبَاعَهُم، ويُحِبُّونَهُ، فهو أَحَبُّ إليهم من كلِّ شـيءٍ، قـدِ امتلَأَتْ قلـوبُهم من محبَّتِـهِ، ولَهَجَتْ ألســنتُهم بالثنـاءِ عليه، وانجـذَبَتْ أفئـدَتُهم إليـهِ وُدًّا وإخلاصًـا وإنابـةً من جميعِ الوجوهِ.

53- «**الفتَّاحُ**» الـذي يحكمُ بين عبـادِه بأحكامِـه الشرعيَّةِ، وأحكامِه القدريةِ، وأحكامِ الجزاءِ، الـذي فَتَحَ بلُطْفِهِ بصائرَ الصادقِينَ، وفتحَ قلوبَهم لمعرفتِه ومحبتِه والإنابـةِ إليـه، وفتحَ لعبـادِه أبـوابَ الرحمـةِ والأرزاقِ المتنوعَةِ، وسَـبَّبَ لهم الأسـبابَ الـتي ينـالُونَ بها خَيْـرَ الدُّنْيَا والآخـرةِ ﴿**مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَـةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِـكْ فَلَا مُرْسِـلَ لَـهُ**﴾ [فاطر:2].

54- «**الرزَّاقُ**» لجميـعِ عبـادِه، فمـا من دابَّةٍ في الأرضِ إلا على اللهِ رزْقُها. ورِزْقُهُ لعبادِه نوعانِ:

رزقٌ عامٌّ: شَمَلَ البَرَّ والفاجرَ، والأولينَ والآخـرينَ، وهو رزقُ الأبدانِ.

ورزقٌ خاصٌّ: وهو رزقُ القلوبِ، وتَغْذِيتُها بـالعلمِ

والإيمانِ، والرزقُ الحلالُ الذي يعينُ على صلاحِ الـدينِ، وهذا خاصٌّ بالمؤمنينَ، على مراتِبِهم منـه، بحسـبِ مـا تقتَضِيهِ حكمتُه ورحمتُه.

55، 56- «**الحَكَمُ، العدْلُ**» الذي يحكُمُ بين عبادِه في الدنيا والآخرةِ بعدلِه وقسـطِه. فلا يظلمُ مثقـالَ ذرَّةٍ ولا يُحَمِّلُ أحدًا وزرَ أحدٍ، ولا يجازِي العبدَ بأكثرَ من ذنبِـه، ويؤدِّي الحقوقَ إلى أهلِها، فلا يدَعُ صاحبَ حقٍّ إلا أَوْصَـلَ إليـه حقَّهُ، وهـو العـدلُ في تـدبيرِه وتقـديرِه ﴿**إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [هود:56].

57- «**جامعُ النَّاسِ**» ليـومٍ لا ريبَ فيـه، وجـامعُ أعمالِهم وأرزاقِهم، فلا يتركُ منها صـغيرةً ولا كبـيرةً إلا أحصَاهَا، وجامعُ ما تفرَّقَ واستحالَ من الأمواتِ الأولينَ والآخرينَ، بكمالِ قدرتِه، وسعةِ علمِه.

58- «**الحيُّ القيُّومُ**» كامـلُ الحيـاةِ والقـائمُ بنفسِـه. القيـومُ لأهـلِ السـمواتِ والأرضِ، القـائمُ بتـدبيرِهم وأرزاقِهم، وجميـعِ أحـوالِهم، فـ «**الحيُّ**»: الجامعُ لصـفاتِ الـذاتِ، و«**القيومُ**» الجـامعُ لصـفاتِ الأفعالِ.

59- «**النورُ**» نـورُ السـمواتِ والأرضِ، الـذي نَـوَّرَ

قلوبَ العـارفينَ بمعرفتِـه والإيمـانِ بـه، ونَـوَّرَ أفئـدتَهم بهدايتِه، وهو الذي أنارَ السمواتِ والأرضَ بالأنوارِ الـتي وضَـعَها، وحجابُـه النـورُ، لـو كشَـفَه لأحـرَقَتْ سـبحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بَصَرُه من خلقهِ.

60- «**بـديعُ السـمواتِ والأرضِ**» أي: خالقُهمـا ومبـدعُهما، في غايـةِ مـا يكـونُ من الحسْـنِ والخلـقِ البديعِ، والنظامِ العجيبِ المحكمِ.

61، 62- «**القـابضُ، الباسـطُ**» يقبضُ الأرزاقَ والأرواحَ، ويبسطُ الأرزاقَ والقلوبَ، وذلكَ تبـعٌ لحكمتِـه ورحمتِه.

63، 64- «**المعطي، المانعُ**» لا مانعَ لما أعطَى، ولا معطِيَ لمـا منـعَ، فجميـعُ المصـالحِ والمنـافعِ منـه تُطلبُ، وإليه يرغبُ فيها، وهو الذي يعطِيها لمن يشـاءُ، ويمنعُها من يشاءُ بحكمتِه ورحمتِه.

65- «**الشهيدُ**» أي: المطَّلـعُ على جميـعِ الأشـياءِ. سـمعَ جميـعَ الأصـواتِ خفيَّهـا وجليَّهـا، وأبصـرَ جميـعَ الموجوداتِ دقيقَها وجليلَهـا صـغيرَها وكبيرَهـا، وأحـاطَ علمُه بكلِّ شيءٍ، الذي شَـهِدَ لعبـادِه وعلى عبـادِه بمـا عملُوه.

66، 67- «**المبدئُ، المعيدُ**» قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**﴾، ابتدأَ خلقَهم ليبلوَهُم أيهم أحسنُ عملًا، ثم يعيدُهم ليجزيَ الذين أحسنُوا بالحُسْنَى، ويجزِيَ المسيئِينَ بإساءَتِهم. وكذلكَ هو الذي يُبْدِأُ إيجادَ المخلوقاتِ شيئًا فشيئًا، ثم يعيدُها كلَّ وقتٍ.

68- «**الفعَّالُ لما يريدُ**» وهذا من كمالِ قوتِه ونفوذِ مشيئتِه وقدرتِه، أنَّ كلَّ أمرٍ يريدُه يفعلُه بلا ممانعٍ ولا معارضٍ، وليسَ له ظهيرٌ ولا معينٌ، على أيِّ أمرٍ يكونُ، بلْ إذا أرادَ شيئًا قال له: ﴿**كُنْ فَيَكُونُ**﴾، ومعَ أنَّه الفعَّالُ لما يريدُ، فإرادتُه تابعةٌ لحكمتِه وحمدِه، فهو موصوفٌ بكمالِ القدرةِ، ونفوذِ المشيئةِ، وموصوفٌ بشمولِ الحكمةِ، لكلِّ ما فعلَه ويفعلُه.

69، 70- «**الغنيُّ، المغنِي**» فهو الغنيُّ بذاتِه، الذي له الغنى التامُّ المطلقُ، من جميعِ الوجوهِ والاعتباراتِ لكمالِه، وكمالِ صفاتِه، فلا يتطرقُ إليها نقصٌ بوجْهٍ من الوجوهِ، ولا يمكنُ أن يكونَ إلا غنيًّا، لأن غنَاهُ من لوازمِ ذاتِه، كما لا يكونُ إلا خالقًا، قادرًا، رازقًا، محسنًا، فلا يحتاجُ إلى أحدٍ بوجْهٍ من الوجوهِ، فهو الغنيُّ، الذي بيدِه خزائنُ السمواتِ والأرضِ،

وخزائنُ الدنيا والآخرةِ. المغني جميعَ خلقِـه غـنىً عامًّا، والمغنِي لخــواصِّ خلقِــه بمــا أفـاضَ على قلــوبِهم من المعارفِ الربانيَّةِ والحقائقِ الإيمانيةِ.

71- «**الحليمُ**» الذي يدرُّ على خلقِه النعمَ الظاهرةَ والباطنــةَ، مــع معاصِــيهم وكــثرةِ زَلَّاتِهم، فيحلُمُ عن مقابلــةِ العاصِــينَ بعصــيانِهم، ويســتعتُبُهم كي يتوبــوا، ويمهِلُهم كي يُنِيبُوا.

72، 73- «**الشاكرُ، الشكور**» الذي يشكرُ القليلَ من العمـــلِ، ويغفـــرُ الكثـــيرَ من الزلـــلِ. ويضـــاعفُ للمخلصِينَ أعمالَهم بغـيرِ حسـابٍ، ويشـكرُ الشـاكرينَ، ويذكرُ من ذكرَه، ومن تقرَّبَ إليـه بشـيءٍ من الأعمـالِ الصالحةِ، تقرَّبَ اللهُ منهُ أكثرَ.

74، 75- «**القـريبُ، المجيبُ**» أي: هـو تعـالى القريبُ من كلِّ أحدٍ.

وقربُه تعالى نوعانِ: قربٌ عامٌّ من كلِّ أحدٍ، بعلْمِــهِ، وخبرَتِهِ، ومراقبتِه، ومشاهدتِه، وإحاطتِه.

وقـربٌ خـاصٌّ، من عابدِيـه، وسـائِليه، ومحبِّيـه، وهـو قربٌ لا تُدْرَكُ لـه حقيقـةٌ، وإنمـا تُعْلَمُ آثـارُه، من لطفِـه بعبدِه، وعنايتِه به، وتوفيقِه وتسديدِه.

ومن آثارِه: الإجابةُ للداعينَ والإثابةُ للعابدينَ، فهـو

المجيبُ إجابةً عامَّةً للـداعينَ مهمـا كـانُوا، وأينَ كـانُوا، وعلى أيِّ حالٍ كانُوا كما وعدَهم بهـذا الوعـدِ المطلـقِ، وهو المجيبُ إجابـةً خاصَّـةً للمسـتجيبينَ لـه المنقـادينَ لشرعِه، وهـو المجيبُ أيضًـا للمضـطرينَ، ومن انقطـعَ رجاؤُهم من المخلوقينَ وقَوِيَ تعلُّقُهم به طمعًا ورجــاءً وخوفًا.

76- «**الكــافي**» جميــعَ عبــادِه مــا يحتــاجُونَ ويضـطرُّونَ إليـه، الكـافي كفايـةً خاصَّـةً من آمنَ بـه، وتوكَّلَ عليه، واستمدَّ منه حوائجَ دينِه ودنياه.

77-80- «**الأولُ، والآخـــرُ، والظـــاهرُ، والباطنُ**».

قد فسَّـرَها النـبيُّ ﷺ تفسـيرًا جامعًـا واضـحًا، فقـال: «**أنتَ الأولُ فليسَ قبلَـكَ شـيءٌ، وأنتَ الآخِـرُ فليسَ بعـــدَكَ شـــيءٌ، وأنتَ الظـــاهرُ فليسَ فوقَــكَ شــيءٌ، وأنتَ البــاطِنُ فليسَ دونَــكَ شيءٌ**»[1].

81- «**الواسـعُ**» الصـفاتِ والنعـوتِ ومتعلقاتِهـا، بحيثُ لا يُحصِي أحدٌ ثناءً عليـه، بـلْ هـو كَمَـا أثنَى على نفسِــه. واســعُ العظمــةِ والســلطانِ والملــكِ، واســعُ الفضلِ والإحسانِ، عظيمُ الجودِ والكرمِ.

1 (?) مسلم (2713)، أبو داود (5051)، الترمذي (3400).

82، 83- «**الهادي، الرشـيدُ**» أي: الـذي يهـدِي ويرشدُ عبـادَه إلى جميـعِ المنـافعِ، وإلى دفـعِ المضـارِّ، ويعلِّمُهم مــا لا يعلمــونَ، ويهــدِيهم لهدايــةِ التوفيــقِ والتسديدِ، ويُلهِمُهم التقوى، ويجعلُ قلوبَهم منيبـةً إليـهِ منقادَةً لأمْرِهِ.

وللرشــيدِ معــنىً بمعنَى الحكيمِ، فهــو الرشــيدُ في أقوالِـه وأفعالِـه، وشـرائعُه كُلُّهـا خـيرٌ ورَشَـدٌ وحكمـةٌ، ومخلوقاتُه مشتملةٌ على الرشدِ.

84- «**الحقُّ**» في ذاتِه وصفاتِه، فهو واجبُ الوجودِ، كاملُ الصـفاتِ والنعـوتِ، وجـودُه من لـوازمِ ذاتِـه، ولا وجودَ لشيءٍ من الأشياءِ إلا به. فهـو الـذي لم يَـزَلْ ولا يَـزَالُ بـالجلالِ والكمـالِ موصُـوفًا، ولم يَـزَلْ ولا يَـزَالُ بالإحسانِ معروفًا.

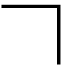
فقولُه حقٌّ، وفعلُه حقٌّ، ولقـاؤُه حـقٌّ، ورسـلُه حـقٌّ، وكتبُه حقٌّ، ودينُه هو الحقُّ، وعبادتُه وحدَه لا شريكَ لـه هي الحقُّ، وكلُّ شيءٍ ينسبُ إليه فهو حقٌّ ﴿***ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَـا يَـدْعُونَ مِن دُونِـهِ هُـوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ***﴾ [الحج:62].

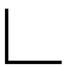
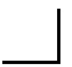
﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُـؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف:29]، ﴿**فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ**

الضَّـلاَلُ﴾ [يـونس:32]ـ ﴿وَقُـلْ جَـاءَ الْحَـقُّ وَزَهَـقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء:81].

* * *

قصائد في تعظيم الله

1- أسماء الله الحسنى

العليُّ

فَهوَ العَليُّ بِذَاتِهِ سُبحانَهُ إِذ يستَحيلُ خِلافُ ذَا بِبَيَانِ

وَهْوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى العَرْشِ استَوى قَد قَامَ بالتَّدبيرِ للأكوانِ

حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ مُتكَلِّمٌ ذُو رَحمَةٍ وإِرَادَةٍ وحَنَانِ

هُوَ أَوَّلٌ هُوَ آخِرٌ هُوَ ظَاهِرٌ هُوَ بَاطِنٌ هَي أربعٌ بِوِزَانِ

مَا قَبلَهُ شيءٌ كَذَا ما بَعدَهُ شَيءٌ تَعَالى اللهُ ذُو السُّلطَانِ

مَا فَوقَهُ شيءٌ كَذَا ما دُونَهُ شيءٌ وَذَا تَفسيرُ ذِي البُرهانِ

فانظُرْ إِلى تَفسيرِهِ بتَدَبُّرٍ وتَبَصُّرٍ وتَعَقُّلٍ لِمِعَانِ

وانظر إلى ما فيهِ من أنواعِ مَعْـ ـرِفَةٍ لخَالِقِنَا العَظِيمِ الشَّانِ

وهُوَ العَلِيُّ فَكَلُّ أنواعِ العُلـ ـوِّ لَهُ فثابِتَةٌ بلا نُكْرانِ

العظيم

وهُوَ العَظِيمُ بِكُلِ مَعنًى يُوجِبُ التَّعظِيمَ لَا يُحصِيهِ مِن إنسَانِ

وَهُوَ الجلَيلُ فكُلُّ أوصَافِ الجَلَا لِ لَهُ مُحَقّقَةٌ بِلَا بُطلانِ

الجميل

وَهُوَ الجمِيلُ عَلَى الحقِيقَةِ كَيفَ لا؟! وَجَمالُ سائِرِ هَذِهِ الأكوانِ

مِن بَعضِ آثارِ الجمَيلِ فَرَبُّهَا أولَى وأجدَرُ عَندَ ذِيَ العِرفانِ

فَجمَالَهُ بالذَّاتِ والأوصافِ والـ أفعَالِ والأسمَاءِ بالبُرهَانِ

لا شَيءَ يُشبِهُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ سُبحَانَهُ عَن إفكِ ذِي البُهتَانِ

المجيد

وهُوَ المَجِيدُ صَفاتُهُ أوصَافِ تَع ظِيمٍ فَشَأنُ الوَصفِ أعَظَمُ شَانِ

السميع

وهُوَ السَّمِيعُ يَرى ويَسمَعُ كَلّ مَا فِي الكَونِ مِنْ سِرٍّ ومِنْ إعلانِ

ولِكُلِ صَوتٍ مِنهُ سَمعٌ حاضرٌ — **فالسِّرُّ والإعلانُ مُسْتوِيانِ**

والسمعُ منه واسعُ الأصواتِ لا — **يَخْفَى عليه بعيدُها والدَّاني**

البصير

وهُوَ البَصِيرُ يَرى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السْ — **ودَاءِ تَحتَ الصَّخْرِ والصَّوانِ**

ويَرَى مَجارِيَ القُوتِ في أعضائِهَا — **ويَرَى بَياضَ عُروقِهِا بِعيانِ**

ويَرَى خَيانات العُيونِ بِلَحظِهَا — **ويَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الأجفانِ**

العليم

وهُوَ العَليمُ أحَاطَ عِلمًا بالذِي — **في الكَونِ من سِرٍّ ومِنْ إعلانِ**

وبكُلِّ شيءٍ عِلمُهُ سُبحَانَهُ — **فَهْوَ المُحيطُ ولَيسَ ذَا نِسيَانِ**

وَكَذاكَ يعْلمُ مَا يَكونُ غَدًا وَمَا — **قَد كَانَ والموجودَ في ذَا الآنِ**

وَكَذَاكَ أَمرٌ لَمْ يَكُن لَو كَانَ كَيْـ — **ـفَ يَكُونُ ذَاكَ الأَمرُ ذَا إِمكَانِ**

الحميد

وهُوَ الحَميدُ فَكُلُ حَمدٍ وَاقعٍ
أو كَانَ مَفروضًا مَدَى الأزمَانِ

مَلَأ الوجُودَ جَميْعَهُ ونَظِيرَهُ
مِن غَيرِ ما عَدٍّ ولا حُسْبَانِ

هُوَ أهْلُهُ سُبْحَانَهُ وبِحَمْدِهِ
كُلُّ المحَامِدِ وَصْفُ ذِي الإِحسَانِ

وهُوَ المكُلِّمُ عَبْدَهُ مُوْسَى بتَك
ليمِ الخِطابِ وَقَبلَهُ الأبَوانِ

كَلِماتُهُ جَلَّتْ عن الإِحصَاءِ والتَّع
دَادِ بَل عَن حَصرِ ذِي الحسبَانِ

لو أنَّ أشجَارَ البِلادِ جَميعَهَا الـ
أقْلَامُ تَكْتُبُهَا بكَلِّ بَنَانِ

والبَحرَ تُلقَى فِيهِ سَبعَةُ أبحُرٍ
لِكَتابَةِ الكَلِماتِ كُلِّ زَمَانِ

نَفِدَت وَلَم تَنفَد بِهَا كَلِمَاتُهُ
ليْسَ الكَلامُ مِن الإِلهِ بِفَانِ

القدير

وهُوَ القَدِيرُ ولَيْسَ يُعجِزُهُ إذا
مَا رَامَ شَيئًا قَطُّ ذُو سُلطَانِ

القويُّ

وَهُوَ القَوِيُّ لَهُ القُوَى جَمعًا تعَا … لَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ والأكوانِ

الغنيُّ

وهُوَ الغَنيُّ بذاتِهِ فغِناهُ ذا … تِيٌّ لَهُ كَالجُودِ والإِحسَانِ

العزيز القاهر

وهُوَ العَزيزُ فَلَن يُرامَ جَنَابُهُ … أنَّى يُرامُ جَنَابُ ذِي السُّلطَانِ

وهُوَ العَزيزُ القَاهرُ الغلَّابُ لمْ … يَغلِبْهُ شَيءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ

وهُوَ العَزيزُ بقُوَّةٍ هِيَ وَصفُهُ … فالعَزُّ حِينَئِذٍ ثَلاثُ مَعَانِ

وَهْيَ الَّتي كَمُلَت لَهُ سُبحَانَهُ … مِنْ كُلِّ وَجْهٍ عَادِمِ النُقصَانِ

الحكيم

وهُوَ الحَكِيمُ وذَاكَ مِن أوصَافِهِ … نَوعَانِ أيضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ

حُكمٌ وإِحكَامٌ فَكُلٌ مِنهُمَا … نَوعَانِ أيضًا ثَابتَا البُرهَانِ

والحُكْمُ شَرعِيٌّ وَكونيٌّ وَلَا **يَتلازَمانِ وَمَا هُمَا سِيَّانِ**

الحييُّ

وهُوَ الحَيِيُّ فَلَيسَ يَفضَحُ عَبدَهُ **عِندَ التَّجَاهُرِ مِنهُ بِالعِصيَانِ**

لَكِنَّهُ يُلقِي عَلَيه سِترَهُ **فَهُوَ السِّتِيرُ وَصَاحبُ الغُفرَانِ**

الحليم

وهُوَ الحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ **بِعُقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِنْ عِصيانِ**

العفو

وَهُوَ العَفُوُّ فَعَفوُهُ وَسِعَ الوَرَى **لولَاهُ غَارَ الأَرض بالسُّكَانِ**

الصبور

وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أذى أعدائِهِ **شَتَمُوهُ بَل نَسَبُوهُ لِلبُهتَانِ**

قَالُوا لَهُ ولَدٌ ولَيسَ يُعَيِدُنَا **شَتمًا وتَكذِيبًا مِنَ الإِنسانِ**

هَذَا وَذَاكَ بِسَمعِهِ وَبِعِلمِهِ **لَوْ شَاءَ عَاجَلهُم بِكُلِ هَوَانِ**

لَكِنْ يُعَافِيهِمِ ويَرزُقُهُمُ وهُمْ   يُؤذُونَهُ بالشِّرْكِ وَالكُفرَانِ

الرقيبُ

وَهَوَ الرَّقِيبُ عَلَى الخَواطِرِ واللَّوَا   حِظِ كَيفَ بالأَفعَالِ بِالأَرْكَانِ

الحفيظُ الكفيلُ

وَهُوَ الحَفِيظُ عَلَيهِمُ وَهُوَ الكَفِيـ   ـلُ بِحِفظِهِمْ مِنْ كُلِّ أمرٍ عَانِ

اللطيفُ

وَهُوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ وَلِعَبْدِهِ   واللَّطفُ فِي أوصَافِهِ نَوعَانِ

إدرَاكُ أسرارِ الأمُورِ بِخِبرَةٍ   واللُّطفُ عِندَ مَوَاقِعِ الإحسانِ

فيُرِيكَ عِزَّتَهُ ويُبدِي لُطفَهُ   وَالعَبدُ فِي الغَفَلَاتِ عَن ذَا الشَّانِ

الرفيقُ

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أهلَ الرِّفقِ بَل   يُعطِيهُمُ بالرِّفقِ فَوقَ أمَانِ

القريبُ

وهُوَ القَرِيبُ وقُربُهُ المُختَصُّ بالدْ   داعِي وعَابِدِهِ عَلَى الإِيمَانِ

المجيبُ

وَهُوَ المُجِيبُ يَقولُ مَنْ يَدعُو أُجِبْـ ـهُ أَنَا المُجِيبُ لِكُلِّ مَن نَادَانِي

وهُوَ المُجِيبُ لِدَعوَةِ المضطَرِّ إذ يَدْعُوهُ فِي سِرٍ وفي إعلانِ

الجوادُ

وهُوَ الجَوَادُ فَجُودُهُ عَمَّ الوُجُو دَ جَمِيعَهُ بالفَضلِ والإِحسَانِ

وهُوَ الجَوَادُ فَلا يُخَيِّبُ سَائِلًا وَلَوَ انَّهُ مِن أُمَّةِ الكفرانِ

المغيثُ

وهُوَ المُغيثُ لِكُلِّ مخلوقَاتِهِ وَكَذَا يَجُيبُ إغَاثَةَ اللهفَانِ

الودودُ

وَهُوَ الوَدُودُ يُحِبُّهُم ويُحِبُّهُ أحبَابُهُ وَالفَضلُ للمَنَّانِ

وهُوَ الَّذِي جَعلَ المَحَبَّةَ في قُلو بِهِمُ وَجَازَاهُم بِحُبٍّ ثَانِ

هَذَا هُوَ الإحَسانُ حَقًّا لَا مُعَا وَضَةٍ وَلَا لِتَوقُّعِ الشُّكرَانِ

لَكِن يُحِبُّ شَكُورَهُم وَشُكُورُهُم **لَا لِاحتِياجٍ مِنهُ لِلشُّكرَانِ**

الشكورُ

وَهُوَ الشَّكُورُ فَلَن يُضَيِّعَ سَعيَهُم **لِكِن يَضاعِفُهُ بِلَا حُسبَانِ**

ما لِلعِبَادِ عليه حَقٌ وَاجِبٌ **هُوَ أوجَبَ الأَجرَ العَظِيمَ الشَّانِ**

كَلَّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيهِ ضَائعٌ **إِن كَانَ بِالإِخلَاصِ وَالإِحسَانِ**

إِن عُذِّبُوا فِبعَدلِهِ أو نُعِّمُوا **فِبفَضلِهِ وَالحَمدُ لِلرَّحمَنِ**

الغفورُ

وهُوَ الغَفُورُ فَلَو أُتِي بقُرَابِهَا **مِن غَيرَ شِركٍ بَل مِنَ العِصَيانِ**

لِاقَاهُ بالغُفرانِ مِلءَ قُرَابِها **سُبحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الغُفرانِ**

التوابُ

وكَذلِكَ التَّوابُ مِنْ أوصَافِهِ **والتَّوبُ فِي أَوصَافِهِ نَوعَانِ**

إذنٌ بِتَوبةِ عَبدِهِ وقَبُولِهَا — **بَعدَ المتَابِ بمنَّةِ المنَّانِ**

الإلهُ السيدُ الصمدُ

وَهُوَ الإلهُ السَّيدُ الصَّمَدُ الَّذِي — **صَمَدَتْ إِليهِ الخَلقُ بالإِذعانِ**

الكَامِلُ الأَوصَافِ مِنْ كُلِّ الوُجُو — **هِ كَمَالُهُ ما فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ**

القهارُ

وكَذلِكَ القَهَّاُر مِنْ أوْصَافِهِ — **فَالخَلْقُ مَقْهُورُونَ بالسُّلطَانِ**

الحيُّ العزيزُ القادرُ

لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا — **مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَلَا سُلطَانِ**

الجبارُ

وَكَذلِكَ الجَبَّارُ مِنْ أوْصَافِهِ — **والجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ قِسمَانِ**

جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا — **ذَا كَسْرةٍ فَالجَبْرُ مِنْهُ دَانِ**

الثَّانِي جَبْرُ الْقَهْرِ بِالعِزِّ الذي — **لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسانِ**

ولَهُ مُسَمًّى ثالثٌ وهُوَ العُلُوْ | **فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِن إِنْسَانِ**
مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارُة لِلنَّخلِةِ الْـ | **ـعُلْيَا التي فاتَتْ لِكُلِّ بَنانِ**

الحسيبُ

وَهُوَ الحَسِيبُ كِفَايَةً وحِمَايةً | **وَالحَسْبُ كَافِي العَبْدِ كُلَّ أوانِ**

الرشيدُ

وَهُوَ الرَّشِيدُ فَقَولُهُ وفِعَالُهُ | **رُشْدٌ وَرَبُّكَ مُرْشِدُ الحَيْرَانِ**
وَكِلَاهُمَا حَقٌّ فَهَذَا وَصْفُهُ | **وَالْفِعْلُ للإِرْشَادِ ذَاكَ الثانِي**

العدلُ

وَالْعَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ | **وَمَقَالِهِ وَالحُكْمُ بِالمِيزَانِ**
فَعَلى الصِّراطِ المَستَقيمِ إلهُنَا | **قَولًا وَفِعْلًا ذَاكَ فِي القُرآنِ**

القدوسُ

هَذَا وَمِنَ أَوْصَافِهِ القُدُّوْسُ ذو | **التَّنْزِيْهِ بِالتَعْظِيمِ للرَّحْمَنِ**

السلامُ

وَهُوَ السَّلَامُ عَلَى الحَقِيقَةِ سَالمٌ ... مِنْ كُلِّ تَمثِيلٍ وَمِنْ نُقصَانِ

البرُّ

والبَرُّ فِي أَوْصَافِهِ سُبْحَانَهُ ... هُوَ كَثْرةُ الخَيْرَاتِ والإِحْسَانِ

صَدَرَتْ عَنْ البِرِّ الذي هُوَ وَصْفُهُ ... فَالبِرُّ حِينَئذٍ لَهُ نَوعَانِ

وَصْفٌ وفِعْلٌ فَهُوَ بَرٌّ مُحْسِنٌ ... مُوْلِي الجَميل ودَائِمُ الإِحْسَانِ

الوهَّابُ

وكَذلِكَ الوَهَّابُ مِن أسْمَائِهِ ... فَانْظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الأزَمَانِ

أهْلُ السَّمَواتِ العُلَى والأرْضِ عَنْ ... تِلكَ المَواهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّانِ

الفتاحُ

وَكَذلِكَ الفَتَّاحُ مِنْ أسْمَائِهِ ... والفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أمْرَانِ

فَتْحٌ بِحُكْمٍ وَهْوَ شَرْعُ إِلهِنَا ... وَالْفَتْحُ بِالأَقْدَارِ فَتْحٌ ثَانِ

وَالرَبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كِلَيْهِمَا **عَدْلًا وَإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمنِ**

الرزاقُ

وَكَذَلِكَ الرَزَّاقُ مِنَ أَوْصَافِهِ **والرَّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَانِ**

رِزْقٌ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ **نوعانِ أيْضًا ذَانِ مَعْرُوفَانِ**

رِزْقُ القُلُوبِ العِلمُ وَالإيمَانُ والر **زْقُ المُعَدُّ لِهَذِهِ الأَبْدَانِ**

هَذا هُوَ الرِّزْقُ الحَلالُ وَرَبُّنَا **رَزَّاقُهُ وَالفَضْلُ لِلمَنَّانِ**

وَالثَّانِي سَوْقُ القُوتِ لِلأَعْضَاءِ فِي **تِلْكَ المَجَارِيْ سَوقُهُ بِوَازانِ**

هَذَا يَكُونُ مِنَ الحَلالِ كَمَا يَكُو **نُ مِنْ الحَرَامِ كِلاهُمَا رِزْقَانِ**

واللهُ رَازِقُهُ بِهَذَا الاعْتِبا **رِ وَلَيْسَ بِالإِطْلَاقِ دُوْنَ بَيَانِ**

القيومُ

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ القَيُّومُ والـ **ـقَيُّومُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ**

إِحْدَاهُمَا القَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ — وَالْكُونُ قَامَ بِهِ هُمَا الأمْرَانِ

فَالَأوَّلُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ غَيْرِهِ — وَالْفَقْرُ مِنْ كُلٍّ إليهِ الثَانِي

وَالوْصفُ بِالقَيُّوْمِ ذَوْ شأنٍ — كَذَا مَوْصُوْفُهُ أَيْضًا عظيمُ الشَّانِ

الحيُّ القيومُ

وَالحَيُّ يَتْلُوهُ فَأوْصَافُ الكَما — لِ هُمَا لأُفْقِ سَمَائِها قُطبانِ

فَالحَيُّ وَالقَيُّومُ لَنْ تَتَخَلَّفَ الْـ — أوْصَافُ أصَلًا عَنهُمَا بِبَيَانِ

القابضُ الباسطُ الخافضُ الرافعُ

هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ — هُوَ رَافِعٌ بِالعَدْلِ وَالمِيزَانِ

المعزُّ المذلُّ

وَهُوَ المُعِزُّ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وذا — عِزٌّ حَقِيقِيٌّ بَلَا بُطْلَانِ

وَهُوَ المُذِلُّ لِمَنْ يَشَاءُ بِذِلَةِ الدَّا — رَيْنِ ذِلُّ شَقَا وَذِلُّ هَوانِ

المعطِي المانعُ

هُوَ مَانِعٌ مُعْطٍ فَهَذَا فَضْلُهُ **وَالمَنْعُ عَيْنُ العَدْلِ لِلْمَنَّانِ**

يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَا **ءُ بِحِكْمَةٍ وَاللهُ ذُو سُلْطَانِ**

النورُ

وَالنُّورُ مِنَ أَسْمَائِهِ أيْضًا وَمِنَ **أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي البُرْهَانِ**

قَالَ ابنُ مَسْعُودٍ كَلامًا قَدْ حَكَا **هُ الدَّارِمِيُّ عَنْهُ بِلَا نُكْرَانِ**

مَا عِنْدَهُ لَيْلٌ يَكُونُ ولا نَها **رٌ قُلتُ تَحتَ الفُلْكِ يُوْجَدُ ذَانِ**

نُورُ السَّمَواتِ العُلَى مِنْ نُورِهِ **والأَرْضِ كَيْفَ النَّجَمُ والقَمَرَانِ**

مِنْ نُورِ وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلالُهُ **وَكَذَا حَكَاهُ الحَافِظُ الطَّبْرَانِي**

فِيهِ اسْتَنَارَ العَرْشُ والكُرسِيُّ مَعْ **سَبْعِ الطِبَاقِ وسَائِرِ الأكْوانِ**

وكِتَابُهُ نُورٌ كَذلِكَ شَرْعُهُ **نُورٌ كَذا المَبعوثُ بِالفُرْقَانِ**

وَكَذلِكَ الإِيمَانُ فِي قَلْبِ الفَتَى ... نُورٌ عَلَى نُورٍ مَعَ القُرْآنِ

وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلُوْ كَشَفَ الحِجَا ... بَ لأَحْرَقَ السُبُحَاتُ للأَكْوَانِ

وَإِذْا أَتَى لِلْفَصْلِ يُشْرِقُ نُورُهُ ... فِي الأرْضِ يَوْمَ قِيَامَةِ الأَبْدَانِ

وَكَذَاكَ دَارُ الرَّبِ جَنَاتُ العُلَى ... نُورٌ تَلَألَأُ لَيْسَ ذَا بُطْلَانِ

وَالنُّورُ ذُو نَوعَيْنِ مَخْلُوقٌ وَوَصْـ ... ـفٌ مَا هُمَا وَاللهِ مُتَّحِدَانِ

وَكَذَلِكَ المَخْلُوقُ ذُو نَوعَينِ مَحْـ ... ـسُوسٌ ومَعْقُولٌ هُمَا شَيئَانِ

احْذَرْ تَزِلَّ فَتَحْتَ رِجْلِكَ هُوَّةٌ ... كَمْ قَدْ هَوَى فِيها عَلَى الأَزْمَانِ

مِنْ عَابِدٍ بِالجَهْلِ زَلَّتْ رِجْلُهُ ... فَهَوَى إِلَى قَعْرِ الحَضِيْضِ الدَّانِيَ

لَاحَتْ لَهُ أَنْوَارُ آثارِ العِبَا ... دَةِ ظَنَّها الأنْوَارَ لِلرَّحْمَنِ

فأتَى بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وبَلِيَّةٍ ... مَا شِئْتَ مِنْ شَطْحٍ ومِنْ هَذَيانِ

وَكَذَا الحُلُولِيُّ الذِي هُوَ خَدْنُهُ مِنْ هَهُنَا حَقًّا هُمَا أَخَوَانِ

ويُقَابِلُ الرَجُلِين ذُو التَّعْطِيل والـ ـحُجبِ الكَثيفَةِ مَا هُمَا سِيَّانِ

ذَا فِي كَثافَةِ طَبْعِهِ وظَلامِهِ وبِظُلْمَةِ التَّعْطِيلِ هَذَا الثَانِي

والنُّورُ مَحْجُوبٌ فَلَا هَذَا وَلَا هَذَا لَهُ مِنْ ظُلمَةٍ يَرَيَانِ[1]

* * *

[1] (?) من النونيـة الكافيـة الشَّـافية في الانتصـار للفرقـة النَّاجيـة لابن القيم.

2- يا من له وجب الكمال بذاته[1]

ابن الفرس الخزرجي

يا من له وَجَبَ الكمالُ بذاتِه فالكُلُّ غايةُ فوزِهم لُقياهُ
أنتِ الذي لما تَعَالى جَدُّهُ قصُرَتْ خُطا الألبابِ دونَ حِماهُ
أنت الذي امتلأَ الوجودُ بحمدِهِ لمَّا غدا مَلْآنَ من نُعماهُ
أنت الذي خلقَ الوجودَ بأسرِهِ من بينِ أَعْلَاهُ إلى أَدْنَاهُ
أنت الذي خَصَّصْتَنا بوجودِنا أنَتَ الذِي عَرَّفْتَنَا معنَاهُ
سُبْحَانَ مَن ملأَ الوجودَ أدلةً ليلُوحَ ما أخفَى بما أبْدَاهُ
سُبحانَ مَنْ أحْيَا قلوبَ عبادِهِ بلوائحٍ من فَيْضِ نورِ هُداهُ
هَلْ بعدَ معرفةِ الإلَهِ زيادةٌ إلَّا استدامةُ ما يُديمُ رِضَاهُ
واللهِ لا آوي لغَيْرِك إنَّه حُرِمَ الهُدَى مَنْ لم تكَنْ مأوَاه

---

[1] (?) تسبيح ومناجاة وثناء (ص:92-93).

مَوْلايَ أُنسُكَ لم يَدَعْ لي وَحْشَةً ... إلَّا مَحَا ظَلْماءَها بِسَنَاهُ

مولاي جُودُكَ لم يَدَعْ لي مطلبًا ... إلَّا وتَممَه إلى أقْصَاهُ

لم يَنْقَطِعْ أحدٌ إليكَ محجَّةً ... إلَّا وأصبحَ حامدًا عُقباهُ

عَجَزَ الأنامُ مِن اِمتداحِك إنَّهُ ... تَتَضَاءلُ الأفكارُ دونَ مَدَاهُ

مَنْ كَانْ يعرِفُ أنَّك الحقُّ الذي ... بَهَرَ العقولَ فَحْسبُهُ وكَفَاهُ

3- أتيتك راجيًا يا ذَا الجَلالِ[1]

أبو إسحاق الألبيري

أتيتُك راجيًا يَا ذا الجلالِ ... ففرِّجْ ما تَرَى من سُوءِ حَالي

عَصَيْتُك سَيِّدِي ويْلِي بجَهْلي ... وَعَيبُ الذنبِ لم يخطُرْ ببالي

إلى من يَشْتَكِي المملوكُ إلاَّ ... إلى مَوْلَاهُ يا مَوْلى الموَالي

لَعَمْري ليتَ أُمِّي لَم تلِدْني ... ولم أُغْضِبْك في ظُلَمِ الليالي

فَهَا أنا عبدُك العاصي فقيرٌ ... إلى رُحْماكَ فاقبلْ لي سُؤَالي

فإنْ عاقَبْتَ يا ربِّي تُعَاقِبْ ... مُحقًّا بالعذابِ وبالنِّكالِ

وإن تَعْفو فعفْوك قد أرَاني ... لأفعالي وأوزاري الثقالِ

* * *

1 (?) ديوان أبي إسحاق الألبيري (ص:110).

4- إلهي وخالقي

لكَ الحمدُ يا ذا الجودِ والمجدِ والعُلا

تباركتَ تُعطِي من تَشَاءُ وتمنعُ

إلهي وَخلَّاقي وحرزِي[1] وموئلي[2]

إليكَ لَدَى الإعْسَارِ واليُسْرِ أفْزَعُ

إلهِي لِئِن جَلَّتْ وجَمّتْ خطِيئتي

فعفُوُك عَن ذنبي أجَلُّ وأوسَعُ

إلهي لئن أعطَيْتَ نفسي سُؤَالها

فها أنا في أرضِ الندامةِ أرْتعُ

إلهي تَرَى حالِي وفقْرِي وفَاقتِي

---

1 (?) الحرز: ما يتقى به المهالك.

2 (?) الموئل: الملجأ والملاذ.

وَأنتَ مُناجَاتِي الخفيَّةَ تَسْمَعُ

إلهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائي ولا تُزِغْ

فُؤَادي فلي في سَيْبِ[1] جودِك مَطْمَعُ

إلهِي لئن خيَّبْتَنِي أو طَرَدْتَنِي

فَمَنْ ذا الذي أرجُو ومن لي يَشْفَعُ

إلهِي أجِرْني من عَذابِك إنَّنِي

أَسيرٌ ذليلٌ خائفٌ لك أخضَعُ

إلهِي فآنِسْنِي بتلقينِ حُجَّتِي

إذا كان لي في القبرِ مَثْوَىً ومَضْجَعُ

1 (**?**) سب: عطاء.

إلهي لَئِنْ عَذَّبتَني ألفَ حِجَّةٍ

فحبلُ رَجَائِي مِنْكَ لا يتقطعُ

إلهي أذِقْنِي طَعْمَ عَفوِك يومَ لا

بنونَ ولا مالٌ هنالِك ينفعُ

إلهي إذا لم تَرْعَني[1] كنتُ ضائعًا

وإن كنتَ ترعَاني فلستُ أضيَّعُ

إلهي إذا لم تَعْفُ عن غيرِ محسنٍ

فمن لمُسيءٍ بالهَوَى يَتَمَتَّعُ

إلهي لَئِنْ فرَّطتُ في طلبِ التُّقى

---

1 (?) ترعني: تحفظني.

فها أنا إثر العفوِ أقفُو وأتْبَعُ

إلهي لَئِن أخطأتُ جهلاً فطالما

رجوتُك حتى قِيلَ هَا هُو يجزَعُ

إلهي ذنوبي جَازَتِ الطودَ[1] واعتَلتْ

وصفحُك عن ذَنْبي أجَلُّ وأرفعُ

إلهي يُنجِّي ذِكْرُ طوْلِك[2] لوْعَتي

وذِكرُ الخطايا العينُ منِّي تَدْمَعُ

إلهي أنِلْنِي مِنْك رُوحًا ورحمةً

فلستُ سوَى أبوابِ فضْلِك أقرَعُ

إلهي لَئِنْ أقصَيْتَني

1 (?) الطود: الجبل.

2 (?) طولك: فضلك وإحسانك.

أو طَرَدتَني

فما حِيلَتي يا ربِّ أم كيفَ أصْنَعُ؟

إلهي حليفُ الحبِّ بالليلِ ساهرٌ

يُنَادي ويدعُو والمغفَّلُ يهجَعُ

وكلُّهُم يرجُو نوالكَ راجيًا

لرحمتِك العُظمَى وفي الخُلدِ يَطمَعُ

إلهي يُمَنِّيني رَجَائي سلامةً

وقبحُ خطيئَاتي عليَّ يُشيعُ

إلهي فانشُرْني على دينِ أحمدٍ

تقيًّا نقيًّا قانتًا لك أخْشَعُ[1]

[1] (?) ديوان علي بن أبي طالب (ص:78-80).

5- هو الله[2]

علي بن أبي طالب ت

لَكَ الحَمدُ والنَّعْمَاءُ والمُلكُ رَبَّنا
ولا شَيءَ أعلَا مِنكَ مَجدًا وأمجَدُ

مَلِيكٌ على عَرشِ السَّماءِ مُهيمِنٌ
لِعِزَّتِهِ تَعنُو الوُجُوهُ وَتَسجُدُ

فَسُبحانَ مَنْ لا يَقدُرُ الخلْقُ قَدرَهُ
وَمَنْ هُوَ فَوقَ العَرشِ فَردٌ مُوحَّدُ

ومَنْ لَم تُنَازِعْهُ الخَلائِقُ مُلكَهُ
وَإِن لَم تُفَرِّدهُ العِبَادُ فَمُفرَدُ

مَلِيكُ السَّمَاوَاتِ الشِّدَادِ وأرضِها
وَلَيسَ بِشَيءٍ عَنْ قَضَاهُ تَأَوُّدُ

هُوَ اللهُ بَارِي الخلقِ، وَالخَلقُ كُلُّهُم
إِماءٌ لهُ طَوعًا جَمِيعًا وأَعبُدُ

وأَنَّى يَكُونُ الخَلقُ كَالخَالِقِ الذِي
يُميتُ ويُحيِي دَائبًا لَيسَ يَهمَدُ

تُسبِّحُهُ الطَّيرُ الجوانِحُ في الخَفَا
وَإِذْ هِيَ في جَوِّ السَّماءِ تُصَعِّدُ

وَمِن خَوفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعدُ فَوقَنَا
وسَبَّحَهُ الأشجَارُ وَالوَحشُ أُبَّدُ

---

2 (?) رائق الزهرة: لأبي داود الأصبهاني (1/146)، والشعر منسوب لأمية بن أبي الصلت.

* * *

6- يا من يَرَى ما في الضميرِ ويسمعُ

السهلي

يا من يرَى ما في الضميرِ ويسمعُ ... **أنتَ المعَدُّ لكلِّ ما يُتوقَعُ**

يا مَن يُرجَّى للشدائدِ كلِّها ... **يا مَنْ إليه المُشتَكَى والمَفْزَعُ**

يا مَن خزائنُ مُلكِهِ في قولِ كُنْ ... **أُمنُنْ فإنَّ الخيرَ عندَكَ أجمعُ**

ما لِي سِوَى فَقْرِي إليكَ وسيلةٌ ... **فبالافتِقَارِ إليكَ فقْرِيَ أدْفَعُ**

ما لي سِوَى قَرْعِي لبابِك حيلةٌ ... **فلئِن رُددتُ فأيَّ بابٍ أقرعُ**

ومن الذي أدُعو وأهتفُ باسمِهِ ... **إن كانَ فضلُكَ عن فقيرٍ يُمنعُ؟!**

حاشَا لمجدِك أن تُقنِّط عاصيًا ... **فالفَضْلُ أجزلُ والمواهبُ أوسعُ**[1]

* * *

---

[1] (?) البداية والنهاية (12/390).

7- عفوك اللهم

الشافعي

حـدَّثَ المـزنيُّ قـال: دخلتُ على الشـافعيِّ في مرضِـه الـذي مـات فيـه فقلتُ: كيـفَ أصـبحتَ؟ قـال: أصـبحتُ من الـدنيا راحلًا، وللإخـوانِ مفارقًـا، ولكأسِ المنيةِ شاربًا، وعلى اللهِ ـ جل ذكرُه ـ واردًا، ولا واللهِ مـا أدري روحي تصيرُ إلى الجنةِ أم إلى النارِ؟ ثم بَكَى وأنشأَ يقولُ:

إليك إلهَ الخلقِ أرفعُ رَغْبَتِي — **وإن كنتُ ياذا المنِّ والجودِ مجرمًا**

ولما قَسَا قَلْبِي وضاقتْ مذاهِبي — **جَعَلْتُ الرَّجا مِني لِعفْوِكَ سُلَّمًا**

تعاظَمَنِي ذَنْبِي فلمَّا قرنتُهُ — **بعفوكَ ربِّي كَانَ عفوُكَ أعظَمَا**

فما زلتَ ذا عفوٍ عَنِ الذنبِ لم تَزَلْ — **تجُودُ وتعفُو مِنَّةً وتكرُّمَا**

فلولاكَ لم يَصْمُدْ لإبليسَ عابدٌ — **فكيفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيَّكَ آدمَا**

فيا ليت شِعْري هل أصيرُ لجنَّةٍ — **أُهَنّا وإمَّا للسعيرِ فأنْدَما**

فَلِلهِ درُّ العارفِ النَدْبِ إنَّهُ — **تفيضُ لفرطِ الوَجْدِ أجفانُهُ دمَا**

يُقيمُ إذا ما الليلُ مدَّ ظَلامَهُ ... على نفسِهِ من شِدَّةِ الخَوْفِ مأتمَا

فصيحًا إذا ما كان في ذِكرِ ربِّهِ ... وفي ما سِوَاهُ في الوَرَى كانَ أَعْجَمَا

ويذكُرُ أيامًا مضَتْ من شَبَابهِ ... وما كان فيها بالجهَالةِ أجْرَما

فصارَ قرينَ الهمِّ طولَ نهارِهِ ... أخا السُّهدِ[1] والنجوى إذا الليلُ أظلمَا

يقولُ حبيبي أنتَ سُؤلي وبُغيتي ... كَفَى بك للراجينَ سؤلًا ومَغْنَما

عَسَى من لَهُ الإحسانُ يغفرُ زلَّتي ... ويستُرُ أَوْزَارِي ومَا قدْ تَقَدَّما

تعاظَمَني ذَنْبِي فأقبلتُ خاشِعًا ... ولولا الرِّضَا ما كنتَ يا ربِّ مُنعما

فإن تعفُ عني تَعْفُ عن مُتَمَرّدٍ ... ظلُومٍ غَشُومٍ لا يزايلُ مأثما

وإن تَستقِدْ مني فلستُ بآيسٍ ... ولو أدخلوا نفسي بُجرمٍ جهنَّما

فجرُمي عظيمٌ من قديمٍ وحادثٍ ... وعفوُك يأتي العبدَ أعْلى وأجْسَمَا

---

[1] (?) السهد: قلة النوم.

حَوَاليَّ فضلُ اللهِ من كلِّ جانبٍ ... ونورٌ من الرحمنِ يفترشُ السَّمَا

وفي القَلْبِ إشراقُ المحبِّ بوصْلهِ ... إذا قاربَ البُشْرى وجازَ إلى الحِمَى

حواليَّ إيناسٌ من اللهِ وحدَهُ ... يطالِعُني في ظلمةِ القبرِ أنجُما

أصونُ ودَادِي أن يُدَنِّسَه الهَوَى ... وأحفظُ عهدَ الحبِّ أن يَتَثَلَّمَا

ففي يَقْظَتِي شوقٌ وفي غفْوَتي مُنًى ... تلاحِقُ خَطْوِي نشوةً وترنُّما

ومن يَعْتَصِمْ باللهِ يسْلَمْ من الوَرَى ... ومن يرجُه هيهاتَ أن يتندَّما[1]

* * *

[1] (?) ديوان الشافعي (ص:114-115).

8- لك الحمدُ

عبد الرحمن البرعي

لكَ الحمدُ حَمدًا نستلذُّ بهِ ذكرا

وإن كنتُ لا أُحصي ثناءً ولا شكرا

لكَ الحمدُ حَمدًا طيبًا يَمْلأُ السَّما

وأقطارَها والأرضَ والبَرَّ والبحرا

لكَ الحمدُ حمدًا سرمَديًّا مُباركًا

يَقِلُّ مِدادُ البحْرِ عن كُنهِهِ حَصْرا

لكَ الحمدُ تَعظيمًا لوجهِكَ قائِمًا

بحقِّكَ في السَّرَّاء مِني وفي الضرَّا

لكَ الحمدُ مقرُونًا بشكرِكَ دائمًا

لكَ الحمدُ في الأولى لكَ الحمدُ في الأخرى

لكَ الحمدُ حمدًا طيبًا أنت أهلهُ

على كلِّ حالٍ يَشْمَلُ السِرَّ والجهْرًا

لكَ الحمدُ موصُولًا بغيرِ نِهايةٍ

وأنت إلهي ما أحقَّ وما أحْرَى

لكَ الحمدُ يا ذا الكبرياءِ ومن يكُن

بحَمدِكَ ذا شُكرٍ فقد أحْرَزَ الشُّكرا

لكَ الحمدُ حمدًا لا يُعُدُّ لحاصرٍ

أيُحْصِي الحَصَى والنَّبتَ والرَّملَ والقَطرا

لكَ الحمدُ أضعافًا مُضاعفةً على

لطائفِ ما أحلى لدَينا وما أمْرا

لكَ الحمدُ ما أوْلاكَ بالحمدِ والثّنا

على نِعَمٍ أتبَعتَها نِعمًا تَتْرى

لكَ الحمدُ حمدًا أنتَ وفّقتَنِي لهُ

وعلّمْتَنِي من حَمدِكَ النَّظمَ والنّثرا

لكَ الحمدُ حمدًا نبتَغِيهِ وسِيلةً

إليكَ لتجدِيدِ اللّطائفِ والبُشرى

لكَ الحمدُ كم قلّدتَنا من صنيعةٍ

وأبْدَلْتَنَا بالعُسْرِ يا سيديِ يُسرا

لكَ الحمدُ كم من عثرةٍ قد أقلتَني

ومن زلّةٍ ألبستَنا معَها سِترا

لكَ الحمدُ كم خصَّصْتَنِي ورفعتَني

على نُظرائي من
بَني زمَني قَدْرا

لكَ الحمدُ حمدًا فيه
ورِدِي ومَشْرَعي

إذا خابتِ الآمالُ في
السَّنةِ الغَبْرا

لكَ الحمدُ حمدًا
ينسخُ الفقرَ بالغِنَى

إذا خِفتُ يا مَوْلايَ
بعدَ الغِنى فَقْرا

إلهي تغَمَّدني
برحمَتِك التي

وسِعَت وأوسَعتَ
البَرَايا بِها بِرّا

وقوِّ بِرُوحٍ منك
ضَعْفِي وهِمَّتي

على الحقِّ واغْفِرْ
زلَّتي واقبلِ العُذرا

فإني من تَدْبيرِ حالي وحِيلَتي

إليك ومن حَولي ومن قوَّتي أبْرَا

* * *

9- مع الله

عمر بهاء الأميري

مَعَ اللهِ في سُبُحَات الفِكر — **مَعَ اللهِ في لمحَاتِ البَصَرْ**

مَعَ اللهِ في زَفَراتِ الحَشَا — **مَعَ اللهِ في نَبَضاتِ البَهَرْ**[1]

مَعَ اللهِ في رَعَشاتِ الهَوَى — **مَعَ اللهِ في الخَلجاتِ الأُخَرْ**

مَعَ اللهِ في مُطْمَئنِّ الكَرَى[2] — **مَعَ اللهِ عندَ امتدَادِ السَّهَر**

مَعَ اللهِ آنَ اجتلاءِ السَّنا[3] — **ونَيلِ المُنى والهَناءِ الأغَرّ**

مَعَ اللهِ حالَ اتِّقادِ الأسَى — **ووَقعِ الأذَى واحتِدَامِ الخطَر**

مَعَ اللهِ في حَملِ عِبءِ الضَّنَى — **مَعَ اللهِ بالصَّبر فيمَن صَبَر**

مَعَ اللهِ والقَلبُ في نَشوةٍ — **مَعَ اللهِ والنَّفسُ تَشكو الضَّجَر**

---

1 (?) البهر: ما يعتري الإنسان عند السـعي الشـديد والعـدو من النهج وتتابع النفس.

2 (?) الكرى: النوم.

3 (?) السنا: الضوء.

مَعَ اللهِ فِي كُلِّ بُؤْسَى ونُعمَى — مَعَ اللهِ في كُلِّ خيرٍ وشر

مَعَ اللهِ فِي أَمسِيَ المُنْقضِي — مَعَ اللهِ فِي غَدِيَ المُنْتَظَرْ

مَعَ اللهِ فِي عُنْفُوَانِ الصِّبَا — مَعَ اللهِ فِي الضَّعْفِ عِنْدَ الكِبَرْ

مَعَ اللهِ قَبْلَ حَيَاتِي وَفِيهَا — وَمَا بَعْدَهَا، عِنْدَ سُكْنَى الحُفَرْ

مَعَ اللهِ في فْيءِ[1] فِرْدَوْسِهِ — مَعَ اللهِ فِي عَوذِنَا مِنْ سَقَرْ

مَعَ اللهِ فِي نَبْذِ مَا قَدْ نَهَى — مَعَ اللهِ بِالسَّمْعِ فِيمَا أَمَرْ

مَعَ اللهِ فِي الجِدِّ مِنْ أَمْرِنَا — مَعَ اللهِ فِي جَلَسَاتِ السَّمَرْ

مَعَ اللهِ فِي خَلَوَاتِ اللَّيَالِي — مَعَ اللهِ فِي الرَّهْطِ وَالمُؤتَمَر

مَعَ اللهِ فِي حُبِّ أَهْلِ التُّقَى — مَعَ اللهِ فِي كُرْهِ مَنْ قَدْ فَجَرْ

مَعَ اللهِ فِي مُدْلَهِمِّ[2] الدُّجَى — مَعَ اللهِ عِنْدَ انبِلَاجِ السَّحَرْ

---

1 (?)فيء: هو الظل.

مَعَ اللِه فِي لَألآتِ النُّجُومِ ... وَحَبْكِ[3] الغُيَومِ وَضَوْءِ القَمَرْ

مَعَ اللهِ وَالشَّمْسُ تَكْسُو الدُّنَى ... مَعَ اللهِ وَالشُّهْبِ كَرٌّ وَفَرْ

مَعَ اللهِ عِنْدَ هَزِيمِ الرُّعُودِ ... وَلمعِ البُرُوقِ وَدَفْقِ المَطَرْ

مَعَ اللهِ فِي الفَلَكِ المُستَطِيرِ ... وَفِي الشَّمسِ تَجرِي إِلَى مُسْتَقَر

مَعَ اللهِ فِي الأرْضِ فِي سَهْلِهَا ... وَأَودَائِهَا وَالرَّواسِي الكُبَرْ

مَعَ اللهِ فِي البَحْرِ مِلْحٌ أُجَاجٌ ... مَعَ اللهِ فِي سَلسَبِيلِ النَّهَرْ

مَعَ اللهِ فِي نَأَمَاتِ[4] الوُجُودِ ... مَعَ اللهِ فِي كُلِّ مَا قَدْ فَطَرْ

مَعَ اللهِ فِي سَكَنَاتِ الحَيَاةِ ... مَعَ اللهِ فِي حَرَكَاتِ الحَجَرْ

مَعَ اللهِ فِي نَسَماَتِ الرِّيَاحِ ... اللَّوَاقِحِ تَخطُرُ بَيْنَ الشَّجَرْ

---

2 (**?**) مدلهم: شديد الظلمة.

3 (**?**) حبك الغيوم: طرائقها.

4 (**?**) تأمات الوجود: أحواله الخفية.

مَعَ اللهِ فِي نَفَحَاتِ الشَّذَا — **مَعَ اللهِ مِلءَ ثُغُورِ الزَّهَرْ**

مَعَ اللهِ فِي الحَقْلِ حُلْوِ الجَنَى — **مَعَ اللهِ فِي الرَّوضِ دَانِي الثَّمَرْ**

مَعَ اللهِ سَامِعِ صَوْتِ الدَّبِيبِ — **مِنَ النَّمْلِ أَنَى وَأَيَّانَ مَرّْ**

مَعَ اللهِ وَالنَّحْلُ يَحسُو الرَّحِيقَ — **وَيَحمِي جَنَاهُ بَوخْزِ الإِبَرْ**

مَعَ اللهِ فِي رَفرَفَاتِ الفَرَاشِ — **تَلَامَعُ فِي الشَّمْسِ مِثلَ الدُّرَرْ**

مَعَ اللهِ وَالطَّيْرُ تَغدُو خِمَاصًا — **وَتَنْعَمُ بِالرِّزْقِ مُنذُ البُكَرْ**

مَعَ اللهِ فِي سَيْرِ وَحشِ الفَلاةِ — **بِهَدي الغَرائِزِ تَقضِي الوَطَرْ**

مَعَ اللهِ يَنْفُخُ مِنْ رُوحِهِ — **عَلَى حَمَأٍ فَيَكُونُ البَشَرْ**

مَعَ اللهِ مَا اخْتَلجَتْ نُطفَةٌ — **بِرُوحِ خَفِيٍّ وَمَا دَرَّ دَرّْ**

مَعَ اللهِ فِيمَا سَيَذْرَأُ مِنْ — **نُفُوسٍ و فِيما مَضَى وَاندَثَرْ**

مَعَ اللهِ مَا اخْتَلفَتْ فِي الأنَامِ ... طَبَائِعُ أُنثَاهُمُ و الذَّكَرْ

مَعَ اللهِ مَا افتَرَقَتْ فِي الوَرَى ... لُغَاهُمْ وَألوَانُهُمْ وَالصُّوَرْ

مَعَ اللهِ نَوَّعَ أشكَالَهُم ... وَخَصَّ أنَامِلَهُم بِالأثَرْ

مَعَ اللهِ مَيَّزَ أذوَاقَهُمْ ... فَكُلٌّ لَهُ فِي هَواهُ نَظَرْ

مَعَ اللهِ فِي سَبْرِ كُنْهِ الوُجُودِ ... وَرُوحِ الحَيَاةِ وَسِرِّ القَدَرْ

مَعَ اللهِ فِي عَالَمِ المُدْرَكَاتِ ... وَفِي الغَيْبِ مِنْ كَائِنَاتٍ أخَرْ

مَعَ اللهِ فِيمَا بَدَا وَانْتَشر ... مَعَ اللهِ فِيمَا انْطَوَى وَاسْتَتَرْ

مَعَ اللهِ وَفْقَ نَوَامِيسِهِ ... مَعَ اللهِ رَهْنَ القَضَا وَالقَدَر

مَعَ اللهِ فِي بَعْثِهِ المُرْسَلِينَ ... هُدَاةً دُعَاةً إِلَى مَا أمَرْ

مَعَ اللهِ فِي وَحْيِ قُرآنِهِ ... مَعَ اللهِ فِي آيِهِ وَالسُّوَرْ

مَعَ اللهِ فِي قَصَصِ ... وَفِي قَصَص

الأوَلِين الأوَلِينَ العِبَرْ

مَعَ اللهِ طَوعًا مَعَ اللهِ سَوقًا فَمَا مِنْ مَلَاذٍ وَلَا مِنْ وَزَرْ

مَعَ اللهِ وَالفَيْضُ مِنْ قُدْسِهِ يُنِيرُ بَصِيرَتَنَا وَالبَصَرْ

وَيَدفَعُ أَعْمَاقَ إِيمَانِنَا فِرَارًا إِلِيه ونعمَ المفرّ

* * *

10- لك الأمر وحدك

للشاعر محمد العلائي

لك الأمرُ لا يدري
عبادُك ما بِيَا

لكِ الأمرُ لا
للنَّاصِحينَ ولا لِيَا

وهذِي مَعَاذِيري
وتلكَ صَحَائِفٌ

عليها خَطَاياي..
وفيها اعترافِيَا

وفيها من الأمسِ
الدفينِ وحاضِري

وفيها من الآتي
وفيها ابتِهَاليا

وفيها تهاويلٌ ..
ومهجةُ شاعرٍ

ينامُ بها يأسًا
ويصْحُو أمَانيا

وفيها أعاجيبٌ يكفِّرُ
همُّها

ذنوبي وإن كانتْ
جِبَالًا رواسِيا!

ونازعني شوقٌ إليك

وهَزَّني

من الغيبِ ما يهفُو
إليه رَجَائيَا

فجئتُ من الدنيا
الأثيمةِ هاربًا

بصَفْويَ من أكْدَارِهِا
ونَقَائِيَا

وناديتُ أحلَامي إليكَ
وخَافقًا

تهيَّب أسبابَ المُنَى
والتمادِيا!

أناديك في ضَعفٍ
وأخجلُ أن ترَى

جراحَ أمانيه ولونَ
دِمَائيا

لك الأمرُ أشواقي
ببابِك والمنَى

ولي أملٌ ألَّا يطولَ
انتظارِيَا

لك الأمرُ ما لي
ارتجيك فيَلتَوِي

لساني وأمضي
بالتوسُّلِ شَاكِيا

ذكرتُك في نفسٍ
هَدَاها ضلالُها

إليك وعافتْ وِحْدَتي
وارتِيَابِيا

ومنَّيتُ رُوحي من
سَنَاك بلمْحَةٍ

أضمِّدُ آلامي بها
وجِرَاحِيا

تعاليتَ لم أذكُرْ
سواك بمِحْنَتِي

ولم أرجُ إلا مِنْ يدَيْك
جَزَائِيا

وفوَّضتُ عن عِلْمٍ
إليك إرَادتي

وَحَسْبي ما أدَّى إليه
اخْتِيَاريا

لك الأمرُ شَاقْتنِي
سماؤُك وانتَهى

إليك بأحلامِ الضَّميرِ
مَطَافِيا

وأنزلتُ آمالي وفيها
ملامِحٌ

تَردُّ أمَامي ما تركتُ
وَرَائِيا!

يُطَالِعُنِي منها زمانٌ عرفتُهُ

بريحِ لياليه ولونِ سُهَادِيا!!

ضياؤُك أغْرَى باليقينِ جَوَارِحي

وفَجَّرَ أَعْمَاقي وأفضى بِذَاتِيا

لك الأمرُ أسبابٌ ضعافٌ وخَاطري

ببابك يخشَى رَجْعَتِي وانْحِرَافيا

دعوتُك مِلءَ النفسِ ألا تردّه

مغيظًا وألَّا تستعيدَ سُؤَالِيا

وحاشَاك أن ترضَى مع النفسِ مذهبًا

بغيرِ يقينٍ منك يهدِي شُعَاعِيا

لك الأمرُ هذا من يديك عدالةٌ

وهذا قليلٌ في مقامِ اتِّصَالِيا

أتيتُك والحقُّ الصريحُ يمُدُّني

إليكِ ولحنُ البشرِ ملءُ فؤاديا

وفي النفسِ فجْرٌ من يقينٍ ومَوْكِبٌ

من الخيرِ يحدُوهُ إليك وَلائِيا

وفيها رجاءٌ فاضَ منك جلالُه

وآفاقُ نورٍ يَسْتَجِيها ضِيَائيا

وأحببتُ حتى أسْكَرَتْنِي مَوَدَّتي

وذابَ يميني رحمةً وشِمَالِيا

وهامَتْ بآلامِ الحياةِ وسَائِلي

وفاضَتْ على ما ليسَ مني هِبَاتِيا

وأرسلتُ أنسَامي
عبيرًا وبهجةً

لتنفحَ أشواكَ الرُّبى
والأفاعِيا

وآمنتُ حتى كادَ
يذهبُ خَاطِري

وتصعَدُ أنفاسًا إليك
حيَاتِيا!

ولم يبقَ حرفٌ منك
إلا أسرَّهُ

ضَمِيري وأبدتْه إليك
سَمَائيا!!

لك الأمرُ آفاقٌ
تَرَاءَتْ لخوَاطِرِي

وعاوَدَني منها دبيبُ
شِكاتيا!

وذكرني بِشْرُ
المساءِ منازلًا

أتيتُك منها عابسَ
الوجهِ دامِيَا

أقلِّبُ أَوْهَامي يمينًا
ويُسْرَةً

وأرفعُ آمالًا إليك رَوَانِيا!!

ينازِعُني ماضٍ شَرِقْتُ بعَذْبِهِ

وراودتُ فيه ما أشابَ النَّواصِيَا

إذا طافَ منه حولَ نفسِي طائفٌ

ذكرتُ زماني والسنينَ الخوَاليا

هناك وفي أرضٍ عليها مَلاعِبِي

وأطيافُ آبائي ولغوُ دِيارِيا

وفيها تَعِلَّاتي ورَاحُ مَشارِبي

وزلاتُ أَهْوَائِي ودمعُ مَتَابِيا

وأحْلَامِي الموتَى وذاتُ مواجِعي

وأطلالُ مأْساتِي

ورجعُ بَلَائِيا

لك الأمرُ ألهاني
حديثٌ أعادَهُ

عليك ضَمِيري
واستحَاه لِسَانِيا!

وأسرفتُ في ذكرِ
المساءِ ولم أكُنْ

لأُسرفَ لولا رجفةٌ
من صَبَاحِيا

لك الأمرُ نادتْ
بالرحيلِ خَوَاطري

وهبَّتْ على نَفْسِي
رياحُ اغْتِرَابِيا

وذكَّرتُها أنَّ الشعابَ
جديدةٌ

وأن عليها من سَنَاك
هَوَادِيا!

وأنَّ شعابَ الأمسِ
واجهتُ غيَّها

على غيرِ إيمانٍ
فكانت مَهَاوِيا!!

لك الأمرُ مالي في وداعِك باهتًا

ومالي أَخْطُو شاحبَ النفسِ نَائِيا

لك الأمرُ لاحَتْ من بعيدٍ مَذَاهِبِي

وآذنَ حاديها وآنَ ارتحَالِيا!!

ورَفَّتْ عليها من سَنَاكَ مآثرٌ

ورَفَّتْ عليها غَايَتِي وَصَلاتِيَا

تنسّمتُ أمواجَ الرحيلِ وأشرفَتْ

عَليَّ أمانيه فبارِكْ شِرَاعيا[1]

* * *

1 (**?**) الله أهل الثناء والمجد (ص:166-171).

11- وإياكَ لا تَجْعَلْ مع اللهِ غَيْرَه

زيد بن عمرو بن نفيل

إلَى اللهِ أُهْدِي مِدْحَتي وثَنَائِيا — **وَقَولًا رَضِيًّا لَا يَنِي الدَّهرَ بَاقِيَا**

إلَى المَلِكِ الأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ — **إلَهٌ وَلَا رَبٌّ يَكُونُ مُدَانِيَا**

أَلَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِيَّاكَ وَالرَّدَى — **فَإِنَّكَ لَا تُخْفِي مِنَ اللهِ خَافِيَا**

وَإِيَاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ — **فَإِنَّ سَبِيلَ الرَّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا**

حَنَانَيْكَ إِنَّ الجِنَّ كَانَتْ رجَاءَهُم — **وَأَنْتَ إِلَهِي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا**

رَضِيْتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبًّا فَلَنْ أَرَى — **أَدِينُ إِلَهَا غَيْرَكَ اللهُ ثَانِيَا**

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلِ مَنٍّ وَرَحمَةٍ — **بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولاً مُنَادِيَا**

فَقُلْتَ لَهُ اذْهَبْ وَهَارُونَ فَادعُوَا — **إِلَى اللهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا**

وَقُولَا لَهُ آأنْتَ سَوَّيتَ هَذِهِ — **بِلَا وَتَدٍ حَتَى اطْمَأَنَّتْ كَمَا هِيَا**

وَقُولَا لَهُ آأَنتَ رَفَّعْتَ هَذِهِ
بِلَا عَمَدٍ أرفِقْ إِذًا بِكَ بَانِيَا

وَقُولَا لَهُ آأَنْتَ سَوَّيْتَ وَسْطَهَا
مُنِيرًا إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيلُ هَادِيَا

وَقُولَا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غُدْوَةً
فَيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الأَرْضِ ضَاحِيَا

وَقُولَا لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الحَبَّ فِي الثَّرَى
فَيُصْبِحُ مِنْهُ البَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا

وَيُخرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ في رُؤسِهِ
وَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمنْ كَانَ وَاعِيَا

وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسا
وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا

وَإِنِي لَوْ سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا
لَأُكْثِرُ إِلَّا مَا غَفَرْتَ خَطَائِيَا

فَرَبَّ العِبَادِ أَلقِ سَيْبًا وَرَحْمَةً
عَلَيَّ وَبَارِك في بَنِيَّ وَمَالِيَا[1]

* * *

12- أسلمت وجهي إليك

زيد بن عمرو بن نفيل

---

[1] (?) الروض الأنف (1/386).

وَأَسْلَمتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمتْ لَهُ الأرضُ تَحْمِلُ صَخرًا ثِقالا
دَحَاهَا فَلَمَّا رآها استَوَتْ عَلَى المَاءِ أَرسى عليها الجِبالا
وَأَسْلمتُ وَجهِي لمَنْ أسلمتْ لهُ المُزنُ تَحْمِل عَذْبًا زُلالا
إذا هِي سِيقَتْ إلى بَلدةٍ أطَاعَتْ فَصَبَّتْ عليها سِجالا[1]

* * *

1 (?) الروض الأنف (1/389).

13- قريح القلب

علي بن أبي طالب ت

قرِيحُ القلبِ من وجَعِ الذنوبِ نحيلُ الجِسْمِ يشهَقُ بالنحيبِ

أضرَّ بجسمِهِ سَهَرُ الليالي فصارَ الجِسْمُ منه كالقضيبِ

وغيَّرَ لونَهُ خوفٌ شديدٌ لِما يلقاهُ من طولِ الكُروبِ

ينادي بالتضرُّعِ يا آلهي أقلني عَثْرتي واسْتُر عُيوبي

فزِعتُ إلى الخلائِقِ مستغيثاً فلم أَرَ في الخلائقِ من مُجيبِ

وأنتَ تُجيبُ من يدعُوكَ ربِّي وتكشِفُ ضُرَّ عبدِكَ يا حبيبي

ودائي باطنٌ ولَديْك طِبٌّ فمن لي مِثلُ طِبِّك يا طبيبي[1]

* * *

[1] (?) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص:43).

14- إلهي وسيدي

رضيّ الدين الغزي

إِلَهِي سَيِّدِي رَبي أَغِثنِي وَخُذْ بِيَدِي وَمِنْ بُعدِي أَجِرنِي

إِلَهِي قَدْ جَنَيْتُ وَأَيُّ عَبدٍ ضَعيفِ الخَلقِ مِثلِي لَيْسَ يَجْنِي

إِلَهِي لَيْسَ أَجْدَرُ بِالخَطَايَا وَبِالتَّقْصِيرِ وَالزَّلَاتِ مِنِّي

إِلَهِي لَو أَتَيْتُ بِكُلِّ ذَنْبٍ فَلَا أَوْلَى بَعَفوٍ مِنْكَ عَنِّي

إِلَهِي أَنْتَ ذُو صَفْحٍ جَمِيلٍ وَجُودٍ وَاسِعٍ وعَظِيمِ مَنِّ

إِلَهِي مَا عَصَيتُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا أَبَدًا أَطَعتُ بِغَيرِ إِذنِ

إِلَهِي إِنْ أَطِعْ فَبِمَحضِ فَضْلٍ وَإِنْ أَعصِ فَمِنْ نَقْصٍ وَوَهَنِ

إِلَهِي مَا لِعَبدٍ حُجَّةٌ فِي تحَمُّلِهِ الجِنَايةَ والتَّجَنِّي

إِلَهِي إِنَّ حُجَّتَكَ الَّتِي قَدْ عَلَا بُرهَانُهَا مِنْ غَيْرِ طَعْنِ

إِلَهِي لَيْتَنِي لَوْ كُنتُ عَبدًا بِلَا خَطَإٍ وَهَلْ يُجْدِي التَّمَنِّي

إِلَهِي لَيْتَنِي لَا كُنْتُ إِذْ لَمْ ... أُطِعْكَ وَلَيْتَ أُمِّي لم تَلِدْنِي

إِلَهِي إِنَّ خَوفِي زَادَ لولا ... رَجَائِي مُتُّ مِنْ هَمٍّ وَحُزْنِي

إِلَهِي مَنْ يُنَاقَشْ فِي حِسَابٍ ... يُعَذَّبْ مِنْهُ يَا رَبِّي أَقِلنِي

إِلهِي أنتَ قَهَّارٌ حَلِيمٌ ... بِحَقٍّ مِنْكَ يَا ذُخرِي أَعِذنِي

إِلَهِي لَيْسَ إِلَّا أَنتَ رَبِّي ... فَلَا أَبَدًا بِغَيرِكَ تَمتَحِنِّي

إِلَهِي إِنْ أَسَأَتُ بِغَيرِ عِلمٍ ... فَإِنِّي فِيكَ قَدْ أَحسَنْتُ ظَنِّي

إِلَهِي أَنْتَ قَدْ حَقَّقتَ فقرِي ... إِلَيْكَ وَلَيْسَ شَيءٌ عَنْكَ يُغنِي

إِلَهِي إِنَّنِي أَخشَى وَأَرجُو ... أَمَانًا مِنْكَ فَامْنُنْ لِي بِأَمْنِ

إِلَهِي غَيرُ بَابِكَ فِي أمورِي ... إِذَا مَا ضِقْتُ ذَرعًا لم يَسَعنِي

إِلَهِي قَدْ رَجَعْتُ إِلَيكَ عَمَّا ... سواكَ فلا إلى غيرِك تَكِلْني

إِلهِي مِثْل ما ... ففي العُقبى

أحْسَنْتَ بدءًا بِحَقِّك لا تسُؤني

إلهي من يُعينُ على وصُولي إلى مَا تَرْتَضِي إن لَم تُعِنّي

إلَهِي مَنْ سِوَاكَ يُزِيلُ هَمِّي وَمَنْ أَدعُوهُ مُضطرًّا يُجِبنِي

إلَهِي لَستُ أُحصِي مَا بِهِ قَدْ مُنِحتُ مِنَ العَطَاءِ بِلا تَعَنِّي[1]

* * *

15- أفرُّ إليك منك

أبو نواس

أيا مَنْ لَيسَ لي مِنْهُ مُجِيرُ بِعَفْوِكَ مِنْ عَذابِكَ أَستَجِيرُ

أنا العَبدُ المُقِرُّ بِكُلِّ ذَنبٍ وأنتَ السَّيِّدُ المولى الغَفُورُ

فَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَبِسُوءِ فِعلِي وإِنْ تَغْفِرْ فَأنتَ بِهِ جَدِيرُ

أَفِرُّ إليكَ مِنْكَ وأَيْنَ إلَّا يَفِرُّ إليكَ مِنْكَ المُستَجِيرُ[2]

---

1 (?) الكواكب السائرة (1/15) ط. المكتبة الشاملة الإلكترونية.

2 (?) ديوان أبي نواس (1/68).

16- تبارك ذو الجلالِ وذو المحال

يحيى بن معاذ

تبارَكَ ذُو الجلالِ وذو المحالِ **عَزِيزُ الشَّأْنِ مَحْمُودُ الفِعَالِ**

سُروري بالسُّؤالِ لكي أراهُ **فكيف أُسَرُّ منه بالنوَالِ**

فيا ذَا العِزِّ! يا ذا الجُودِ! جُدْ لِي **وغيِّر مَا تَرَى من سُوءِ حالِي**[1]

* * *

17- ولكنني في رحمةِ اللهِ أطمعُ

علي بن أبي طالب ت

ذُنوبيَ إنْ فَكَّرتُ فيها كثيرةٌ **ورحمةُ ربِّي مِنْ ذُنوبيَ أَوْسَعُ**

فما طمَعي في صالحٍ قد عملتُهُ **ولكنَّني في رحمةِ اللهِ أطمَعُ**[2]

* * *

[1] (**?**) الحلية (10/63).

[2] (?) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص:77).

18- إلهى أنت للإحسانِ أهلٌ

إلهي أنتَ للإحسانِ أهلٌ ... ومنك الجودُ والفضلُ الجزيلُ

إلهي باتَ قلبي في همومٍ ... وحالِي لا يُسَرُّ به خليلُ

إلهي تُب وجُد وارحمْ عُبيْدًا ... مِنَ الأَوْزَارِ مدمعُهُ يسيلُ

إلهي ثوبُ جِسْمِي دنَّسَتْهُ ... ذنوبٌ حملُها أبدًا ثقيلُ

إلهي جُد بعفوِك لي فإني ... على الأبوابِ منكسِرٌ ذليلُ

إلهي خانَني جَلدي وصَبْري ... وجاء الشيبُ واقتربَ الرحيلُ

إلهي داوِني بدواءِ عفوٍ ... به يُشفَى فؤادي والغليلُ

إلهي ذابَ قلْبِي من ذنوبي ... ومن فِعْلٍ القبيحِ أنا القتيلُ

إلهي قلتَ ادعُوني أجِبكُمُ ... فهاك العبدُ يدعُو يا وكيلُ

إلهي هذه الأوقاتُ تمضِي ... بأعمارٍ لنا وبها تزولُ (1)

* * *

[1] (**?**) مناجاة ختم بها الدكتور علي محمد الصـلابي كتابـه في السـيرة النبوية (ص:895).

19- عظُمت صفاتُك يا عظيم

الأصمعيّ

يا فَاطِرَ الخلقِ البَدِيعِ وكافِلاً
رِزقَ الجَميعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ

يا مُسبِغَ البِرِّ الجَزِيلِ ومُسبِلَ الـ
ـسَّترِ الجَميلِ، عَمِيمُ طَولِكَ طَائِلُ

يا عَالِمَ السِّرِ الخَفِيِّ ومُنجِزَ الـ
ـوَعْدِ الوَفِيِّ، قَضَاءُ حُكمِكَ عَادِلُ

عَظُمَتْ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أن
يُحصِي الثَّنَاءَ عَلَيكَ فِيهَا قَائِلُ

الذَّنبُ أنتَ لَهُ بِمَنِّكَ غَافِرٌ
ولِتَوبَةِ العَاصِي بِحِلمِكَ قَابِلُ

رَبٌّ يُرَبِّي العَالَمينَ بِبِرِّهِ

ونَوَالُهُ أبَدًا إِليهم وَاصِلُ

تَعصِيهِ وهوَ يسُوقُ نَحوَكَ دَائِمًا

مَا لا تَكُونُ لبَعضِهِ تَستَأهِلُ

مُتَفَضِّلٌ أبَدًا وأنتَ لِجُودِهِ

بِقَبَائِحِ العِصيَانِ مِنكَ تُقَابِلُ

وإذا دَجَى لَيلُ الخُطُوبِ وأظلَمَتْ

سُبلُ الخَلَاصِ وخَابَ فِيهَا الآمِلُ

وأيِستَ من وَجْهِ النَّجَاةِ فمَا لَهَا

سَبَبٌ ولَا يَدنُو لَهَا مُتَنَاوِلُ

يَأتِيكَ مِن أَلطَافِهِ الفَرَجُ الذِي
لَمَ تَحتَسِبهُ وأنْتَ عَنهُ غَافِلُ

يا مُوجِدَ الأشيَاءِ مَنْ ألقَى إلَى
أبوَابِ غَيرِك فَهُوَ غِرٌّ جَاهِلُ

ومَن استَرَاحَ بِغَيرِ ذِكرِكَ أو رَجَا
أحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلٌّ زَائِلُ

عَمَلٌ أرِيدَ بِه سِوَاكَ فَإنَّهُ
عَمَلٌ ـ وإنْ زَعَمَ المُرَائِي ـ بَاطِلُ

وإذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيءٍ هَيِّنٌ
وإذَا حَصَلتَ فَكُلُّ شَيءٍ حَاصِلُ

قد أَثقَلَت ظَهرِي

الذُنُوبُ وَسَوَّدَت

صُحُفي العُيُوبُ
وسِترُ عَفوِكَ شَامِلُ

هَا قَدْ أَتَيتُ وَحُسنُ
ظَنِّي شَافِعِي

وَوَسَائِلي نَدَمٌ ودَمعٌ
سَائِلُ[1]

فاغفِر لِعَبدِكَ مَا
مَضى وَارزُقهُ تَو

فِيقًا لِمَا تَرضَى
ففَضلُكَ كَامِلُ

وافعَل بِهِ مَا أنتَ
أهلُ جَمِيلِهِ

والظَّنُّ كُلَّ الظَّنِّ
أنَّكَ فَاعِلُ[2]

* * *

---

1 (?) هذه إحدى شروط التوبة: 1- الندم. 2- الإقلاع. 3- العزم على عدم المعاودة.

2 (?) ذكر القصيدة الدميري في حياة الحيوان الكبرى (2/17)، وقد حكاها الأصمعيُّ عن غلام.

20- عرفتك يا إلهي

عبد الرحمن حبنكة

إلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنَ كُلِّ شَيءٍ ظَهَرْ عَرَفْتُكَ مِمَا اخْتَفَى وَاسْتَتَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ حَاضِرَاتِ الوُجُودِ وَمِمَا مَضَى فِي زَمَانٍ غَبَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ لَفَحَاتِ الرِّيَاحْ وَمِنْ نَفَحَاتِ نَسِيمِ السَّحَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ وَطْأَةِ الحَادِثَاتِ وَمِنَ رِقَةٍ مِثْلِ خَمْلِ الزَّهَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ حِكَمٍ عُلِّقَتْ بِمَظْهَرِ خَيْرٍ وَمَظْهَرِ شَرٍّ

عَرَفْتُكَ مِنَ كُلِّ عُمْقٍ لَدَيَّ عَرَفْتُكَ مِنَ مَسْمَعِي وَالبَصَرْ

عَرَفْتُكَ مِمَا وَرَاءَ الشُّعُورِ عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ شَيءٍ شَعَرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

إلَهِي

فَطَرتَ حَيَاتِي عَلَى الفَقرِ لَكْ وَفِكرِي وَقَلبِي عَلَى العِلمِ بِكْ

وَنَفسِي عَلَى حُبِّ ورُوحِي عَلَى

مَا قَدْ وَهَبَتْ	الأُنْسِ فِي حَضرَتِكْ
لِذَلِكَ يَا رَبِّ آمَنتُ بِكْ	خُضُوعًا وَحُبًّا وأسلَمْتُ لَكْ
عَلَى رُغمِ أنفِ الجَحُودِ الكَنُود	آمنتُ بِكْ ثُمَّ آمَنتُ بِكْ
رَضَيتُكَ رَبًّا فأذلَلتُ قلبًا	وَرُوحًا ولُبًّا إلى عِزَّتِكْ
وَأَخضَعتُ نَفسِي وَفِكرِي وَحِسِّي	وَوَجهِي وَرَأسِي إلى قُدرَتِكْ
وسَلَّمْتُ أمرِي بِجَهرِي وسِرِّي	وَخَيرِي وَشَرِّي إلى حِكمَتِك
صَلَاتي ونُسكِي خُشوعِي وَحُبِّي	خُضُوعِي وَقُربِي إلى حَضرَتِك
ومَحياىَ رَبِّي وغُفرَانُ ذَنبِي	ومَوتِي وبَعثِي إلى رَحمَتِكْ
إلَهِي إلَهِي تَبَارَكتَ فِي	عُلَاكَ فَإنِّي آمنتُ بكْ
إلَهِي إلَهِي تَعَالَيتَ فِي	سَنَاكَ فإنِّي أسلمتُ لَكْ

إلهِي

عَرَفْتُكَ مِنْ لَامِعَاتِ	عَرَفْتُكَ مِنَ

الأُفُقْ مُوحِشَاتِ الغَسَقْ

عَرَفْتُكَ مِنْ نَفَحَاتِ الفَلَقْ عَرَفْتُكَ مِنَ خَلقِكَ المُتَّسِقْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنْ بَهْجَةٍ فِي القَمَرْ عَرَفْتُكَ مِنَ نَسْمَةٍ فِي السَّحَرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ بَسْمَةٍ فِي الزَّهَرْ عَرَفْتُكَ مِنَ نَامِياتِ الشَّجَرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مَا لَاحَ نُورٌ وَنَارْ وَمَهْمَا يَدُرْ كَوكَبٌ فِي مَدَارْ

عَرَفْتُكَ مَهْمَا الزَّمَانُ اسْتَدَارْ وَمَهْمَا أَتَى اللَّيْلُ بَعْدَ النَّهَارْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظِيمُ الصَّمَدْ

عَرَفْتُكَ بِالسُّحُبِ الهَاطِلاتْ لِتُحيِيَ كُلَّ بِلادٍ مَوَاتْ

بِكُلِّ نَبَاتٍ عَجِيبِ النَّبَاتْ بِمُخْتَلِفَاتٍ وَمُشْتَبِهَاتْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ حِينَ سَلَكْتُ القِفَارْ وَسَارَ بِنَا فِي السُّهُولِ القِطَارْ

عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ البِحَارْ وَحِينَ جَرَتْ بِي جَوارٍ كِبَارْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ الهَوَاءْ وَطَوَّفْتُ فِي جَنَبَاتِ الفَضَاءْ

وَحِينَ تَأَمّلْتُ هَذِي السَماءْ وَكُلَّ عَظِيمٍ بِهَا ذِي بَهَاءْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظِيمُ الصَّمَدْ
إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنَ ذِي جَنَاحٍ يَطِيرْ عَرَفْتُكَ مِنْ ذِي قَوَامٍ يَسِيرْ

عَرَفْتُكَ مِنَ سَابِحٍ فِي الغَدِيرْ عَرَفْتُكَ مِنْ زَاحِفٍ فِي الهَجِيرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ لمَّا نَظَرْتُ الجِبَالْ عَرَفْتُكَ مِنْ رَائِعَاتِ الجَمَالْ

عَرَفْتُكَ حِينَ شَرِبْتُ الزُّلَالْ عَرَفْتُكَ إِذْ ظَلَّلَتْنِي الظِلَالْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنْ لَمسِ لِينِ الحَرِيرْ وَمِنْ لمَسِ ذِي قَسْوَةٍ فِي الصّخُورْ

عَرَفْتُكَ مِنْ نَفَثَاتِ وَمِنَ بَارِدٍ قَاتِلٍ

السَّعِيرْ زَمْهَرِيرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظِيمُ الصَّمَدْ
إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنَ نَبَضَاتِ الجَنَانْ وَمِنْ مَنْطِقٍ عَجَبٍ فِي اللِّسَانْ

عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ البَنَانْ وَأَرْشَدَنِي لِعُلَاكَ اليَدَانْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنَ أَكْبُدٍ ظَامِئَاتْ عَرَفْتُكَ مِنْ مِعَدٍ جَائِعَاتْ

عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ الحَيَاةْ عَرَفْتُكَ مِنْ سَكَنَاتِ المَمَاتْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ

عَرَفْتُكَ مِنْ مُعجِزَاتِ السّوَرْ وَمَا جَمَعَتْ مِنْ جَلِيلِ العِبَرْ

وَعَرَّفَنِي بِكَ طهَ[1] الأَغَرْ رَسُولُكَ أحْمَدُ خَيْرُ البَشَرْ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الإِلَهُ الأَحَدْ
وَأَنَّكَ أَنْتَ العَظِيمُ الصَّمَدْ[2]

---

1 (?) طــه: ليس من أســماء النــبي، ولكنــه ورد في القــرآن كبقيــة الأحرف المقطعة في أوائل السور على سبيل الإعجاز.

2 (?) ديوان: آمنت بالله (ص:9-12).

* * *

21- أشكو إليك ذنوبًا

يحيى بن معاذ

أشكُو إليك ذنوبًا لستُ أنكِرُها
وقد رجوتُك يا ذا المنِّ تغْفِرُها

من قبلِ سُؤلِك لي في الحشرِ يا أمَلي
يومَ الجزاءِ على الأهوالِ تذكرُها

أرجُوك تغفُرُها في الحشرِ يا أمَلي
إذْ كنتَ سؤْلي كما في الأرضِ تستُرها

* * *

22- مسلم يخاطبُ الكونَ

شعر عائض القرني

قف في الحياةِ تَرَى الجمالَ تَبَسُّما
والطلُّ من ثغرِ الخمائلِ قد هَمَى

وشَدَتْ مطوّقةُ العروسِ ورجَّعَتْ
وترعْرَعَ الفَنَنُ الجميلُ وقد نما

وسرى النسيمُ يهزُّ عطفَ عبيره
والماءُ في عطْفِ الجَدَاوِلِ تَمْتَمَا

وتفتّحَ الأزهارُ واعتنَقَ النَّدَى
هدرَ الغديرُ وكان قبلُ ملثَّما

والنبتُ قد شقَّ الثَّرى فعيونُه
تاقَتْ إلى ضوءٍ تألَّقَ في السَّمَا

والشمسُ أرسَلتِ الأشعَّةَ في الفضا ... بَدَدًا وَقَبَّلَتِ الجليدَ فهَمْهَمَا

وَسَرتْ طيورُ القاعِ تنشُدُ في الرُّبا ... بيتَ القَصيدِ سعادةً وترنُّما

والنحلُ قد تَرَك الخليةَ مولعًا ... برحيقِ زهرٍ ظلَّ يسكُبُ في اللَّمّا

وفراشَةُ البستانِ ألقتْ نفسَها ... في سندسٍ فوقَ البطائِحِ وسِّما

وبكى الغمامُ من الفراقِ مشامتٌ ... في الأرضِ يضحَكُ ترحةً وتلوّما

وتطاولَتْ شممُ الجبالِ ونافرتْ ... قِمَمِ التلالِ فلم تُكُنْ أبدًا كما

والمؤمنُ اطّلعَ الوجودَ مسلّمًا ... أهلًا بمن حازَ الجمالَ مسلّما

فجثَتْ لطلعَتِه الجبالُ وأذعنتْ ... إذ كان منها في الحقيقةِ أعظما

وقد اشْرَأَبتْ كلُّ كائنةٍ له ... فكأنه مَلِكٌ يسيرُ مُعَلِّما

ورأى الحياةَ بنظرةٍ قدسيةٍ ... وبها إلى عزّ المهيمنِ قد سمَا

كشفَ الحجابَ عن ... سبلُ الهدايةِ قبلَه

الغيوبِ فَأَشْرَقَتْ فتقدَّما

عرفَ الحقيقةَ فاسْتَنَار بنورِها وتراهُ في عُمْقِ التفكُّرِ مُلهمًا

في كلّ ماثلةٍ تمرُّ بعينِه عِبَرٌ تُعرِّفه الإلهَ الأعظما

حَبْلُ الرجاءِ غدا به متمسِّكا أنعِمْ بحَبْلٍ قطُّ لن يَتَصَرَّما

أَتَرَى الجمالَ بغيرِ منظارِ التُّقى حسنًا ولو مَلَكَتْ يداك الأنجُما

أتظنُّ أن الأُنسَ يَسْكُنُ بُرهةً قلبًا ولم يكُ في الحقيقةِ مُسْلِما؟!

لا والذي جمعَ الخلائقَ في مِنًى وبدا فأعطَى من أحَلَّ وأحْرَما

ما في ربوعِ الكونِ أجملُ منظرٍ من مؤمنٍ للسْعِد جدَّ ويمَّمَا

إن متَّ يا جَامِي الحياةِ فإنَّما هي نقلةٌ تلقَى حياةً أوسَما

في ظلِّ ربٍّ كنتَ قد وحَّدتَه تلقاه في الأخْرَى أبرَّ وأكرَما

بل كيفَ ترحَلُ والحياةُ تقدما ما للعوالمِ حَوْلَ قبرِك جُثَّما

فاسَعْد فقد ظَفَرَتْ يداك بصَفْقةٍ — **واهنأْ فإنك بعدُ لن تَتَنَدَّما**[1]

23- الجحود

خير الدين وانلي

يَغذوكَ لكن أنتَ تشكرُ غيرَهُ — **ويذودُ عنك فتمْدَحُ الأوثانا؟!**

أَوَ هَكَذا ردُّ الجميلِ لأهْلهِ — **أَوَ هكذا تَسْتَقْبِلُ الإحْسَانا؟!**

يا من جحدتَ لذي الصَّنيعِ صنيعَهُ — **أَوَ مَا تهابُ السُّخْطَ والنيرانا؟!**

أتخاصمُ الجبَّارَ في عَلْيَائِه؟! — **يا من بَراكَ من الثرى إنسانا**

من نُطفةٍ سوّاك ربي مبصرًا — **تتبيَّنُ الأشكالَ والألوَانا**

بل سخَّر السَّبعَ الطباقَ لخدمةٍ — **والأرضَ والأنهارَ والخلْجَانا**

والفُلكَ تجري والرياحَ لواقحًا — **والماءَ يُحْيِي الزرعَ والأفْنَانا**

والرعدُ في كبدِ السَّماءِ مُسبِّحًا — **والثلجَ يهطِلُ يرفِدُ الغُدْرَانا**

---

1 (?) عائض القرني، والإسلاماه (ص:18-21).

والطيرُ يبسُطُ جنحَه كسفينةٍ فوقَ الرياحِ يسبِّحُ الرحْمَانا

في كلِّ شيءٍ للمُهيمنِ آيةٌ تدعُ الجَحُودَ بأمرِه حَيْرَانا

يا من جَحَدْتَ ألم تفكِّرْ لحظةً في ذا الوجودِ وتنظرِ الأكوانا

في قلبكَ الخفَّاقِ أكبرُ آيةٍ إن لم تجدْ مِنْ حَوْلِك البُرهانا

السمعُ والأبصارُ خلقٌ مُعْجِزٌ يتحديانِ الجَحْدَ والنُّكْرَانا

والسيرُ منتصبًا دليلٌ واضحٌ أن المسيِّرَ ميَّز الإِنْسانا

والنطقُ آيةُ قدرةٍ جبارةٍ والمخُّ يحفظُ كلَّ ما قد كانا

واللمسُ للأشياءِ والشمُّ الذي لا يُخطيءِ الأرياحَ والرَّيحانا

والشَّعرُ يكسُو الجلدَ ثوبًا ناعِمًا متموِّجًا متجدِّدًا ألْوَانا

كالجلدِ للحِرْباءِ يشبهُ لونُه ما حولَه فتظنُّه أغصَانا

والرأسُ يحْمِي المخَّ والصدرُ يَحْمِي

في تَجويفِه القلبَ والشَّريانا

فلِمَ الجُحُودُ وفَضْلُ ربِّكَ سابقٌ من قبلِ أنْ تَسْتَرضِعَ الألْبانا؟![1]

* * *

1 (?) ديوان النصر للإسلام (ص:123).

24- يا منزل الآياتِ والفرقانِ

أبو محمد الأندلسي القحطاني

يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ وَالفُرْقَانِ … بَيْنِي وَبَيْنَكَ حرْمَةُ الْقُرْآنِ

اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لمعرِفَةِ الهُدَى … وَاعْصِمْ بِهِ قَلبِي مِنَ الشَّيطَانِ

واحطُطْ بِهِ وِزْرِي وَاخْلِصْ نِيَّتِي … وَاشدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَصْلِحْ شَانِي

واكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وحقِّقْ تَوبَتِي … أَرْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلَا خُسْرَانِ

طَهِّر بِهِ قَلْبِي وصَفِّ سَرِيرَتِي … أجمِلْ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مكانِي

وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشرِّفْ هِمَّتِي … كَثِّرْ بِهِ وَرَعِي وَأحِي جِنَانِي

أسهِرْ بِهِ لَيْلِي وأظْمِ جَوَارِحِي … أسبِلْ بفيْضِ دُمُوعِهَا أجفانِي

وَأمزِجْهُ يَا رَبِّي بلحْمِي مَعْ دَمِي … وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الأضْغَانِ

أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلقتَنِي … وَهَدَيْتني لِشَرَائِعِ الإِيمَانِ

أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي ورَحِمْتَنِي وَجعلتَ صَدْرِيَ واعِيَ القُرْآنِ

أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسقَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدٍ وَلَا دُكَّانِ

وجَبَرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنصَرْتَنِي وَغَمَرْتَنِي بِالفَضْلِ والإِحْسَانِ

أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي وَهَدَيْتَنِي مِنَ حِيرَةِ الخُذْلَانِ

وَزَرَعَتَ لِي بَيْنَ القُلُوبِ مَوَدَّةً وَالعَطْفَ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ

وَنَشرتَ لِي فِي العَالمِينَ مَحَاسِنًا وَسَتَرْتَ عَنْ أبصَارِهِمْ عِصْيَانِي

وجعلتَ ذِكْرِيَ في البَرِيَّةِ شَائِعًا حَتَّى جَعلْتَ جَمِيعَهُم إِخوَانِي

وَاللهِ لَو عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي لَأبَى السَّلَامَ عليَّ مَنْ يَلْقَانِي

ولَأعْرَضُوا عَنِّي ومَلُّوا صُحْبَتِي وَلَبُؤْتُ بَعْدَ كرامةٍ بَهَوانِ

لَكنْ سَتَرتَ مَعَايِبِي ومثالِبِي وحَلُمْتَ عَنْ سَقَطِي وعَنْ طُغيَانِي

فَلَكَ المحَامِدُ والمدَا بَخوَاطِرِي وَجَوَارِحِ

ئِحُ كُلُّهَا ... ي وَلِسَانِي

وَلقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ بَأَنْعُمٍ ... مَا لِي بشُكْرِ أقلِّهنَّ يَدَانِ

فَوَحَقِّ حِكْمَتِكَ التِي آتَيْتَنِي ... حَتَّى شَددتَ بِنُورِهَا بُرْهَانِي

لئن اجتَبَيْتَنِي مِنَ رِضَاكَ مَعُونَةٌ ... حتى تُقوِّيَ أيدُهَا إِيمَانِي

لأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرةً وَعَشِيَّةً ... ولتخدِمنَّكَ في الدُّجَى أركَانِي

ولأذْكُرَنَّكَ قَائِمًا أَو قَاعِدًا ... ولَأشْكُرَنَّكَ سائِرَ الأحيَانِ

ولأكتُمَنَّ عَنْ البَرِيَّةِ خِلَّتِيَّ ... ولاشْكُوَنَّ إليك جَهْدَ زمَانِي

ولأقْصِدنَّكَ في جَمِيعِ حَوَائِجِي ... مِنْ دُونِ قصدِ فُلانةِ وفُلانِ

ولأحسِمَنَّ عَنْ الأنَامِ مَطامِعِي ... بِحُسَامِ يَأسٍ لم تَشُبْهُ بَنَانِي

ولأجعلَنَّ رِضَاك أكبرَ هِمَّتيَ ... ولاضرِبَنَّ مِن الهَوَى شيْطَانِي

ولأكسُوَنَّ عُيوبِ نَفسِي بالتُّقَى ... ولأقبِضَنَّ عَنِ الفُجُورِ عِنَانِيَ

ولأمنَعَنَّ النَّفْسَ عَنْ شَهَوَاتِهَا ... ولأجعَلَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أعْوَانِي

ولأتْلُوَنَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَى ... ولأحْرِقَنَّ بنُورِهِ شيْطَانِي

أنت الذي يا ربّ قلتَ حروفه ... ووصفته بالوعْظِ والتبيانِ

ونَظَمْتَه ببلاغةٍ أزليةٍ ... تكييفُها يخفَى على الأذْهانِ

وهو المحيطُ بكلِّ شيءٍ عِلمُه ... من غير إغفالٍ ولا نِسْيانِ

من ذا يكيِّفُ ذاتَه وصفاتِه ... وهو القديمُ مكوِّنُ الأكوانِ

سبحانَه ملِكًا على العرشِ استوى ... وَحَوَى جميعَ الملكِ والسلطانِ[1]

* * *

1 (?) مختارات من نوية القحطاني، ط. مكتبة السوادي - جدة.

25- سبحانك اللهم

مصطفى عكرمة

يا رَبِّ قَدْ أَبدَعتَ مِنْ عَدَمٍ
جَميعَ الكائِنَاتِ

وَجَعَلتَ لِلإِنسانِ آياتِ الرَّشادِ
البيِّنَاتِ

وأَمَرتَهُ ألَّا يَحيدَ الدَّهرَ عَنْ
دَربِ الهُداةِ

مَنَّيْتَهُ... وأَعَنْتَهُ... لِنَوالِ كُلِّ
الأمنيَاتِ

الأَرضُ كَمْ قد أَعطَت
الإنسانَ شتَّى الأعطِياتِ!

أنتَ الَّذي أودَعْتَ فيها كُلَّ
الوانِ الهِباتِ

أَنبَتَّنا مِنْها.. كما أَنبَتَّ أَزواجَ
النَّباتِ

شَتَّى نَرَى أَلوانَهُ رَغمَ
التَّشابُهِ في الصِّفاتِ

وتَسُحُّ أبوابُ السَّمَواتِ
العُلى بالنِّعمَياتِ

قَدَّرتَ رَبِّي الخَلقَ تَقديرًا بِهِ
كُلُّ العِظاتِ

وَوَهَبتَ يا رَبَّاهُ كُلَّ الخَلقِ
أسبابَ الحَياةِ

هذي السَّماءُ بِلا دَعائمَ حَيَّرت
كُلَّ البُناةِ

أَمسكتَها... فإذا بِها مَثَلُ
الثَّباتِ على الثَّباتِ

وَزَرَعتَ في الأجواءِ آلافَ
النُّجومِ النَّيِّراتِ

تَهدي بها في الدَّهرِ أصحابَ
العُقولِ الراجِحاتِ

وَبَسطتَ فَوقَ الماءِ أرضًا لم
تَزَل في الدّائِراتِ

الكُلُّ في فَلَكٍ يدورُ كما
أرَدتَ بِلا انفِلاتِ

لا الماءُ يَطغى، لا، ولا
يُخْشَى عَليها من أذاةِ

سُبحَانَكَ اللّهُمَ تُخرِجُ كُلَّ حَيٍّ

من مَمَاتِ

يا مَنْ إِذا قَدْ قُلتَ: كُنْ...
كانتْ جَميعُ المُعجزاتِ

أدعُوكَ فامنَحْ أُمَّتي سُبُل
الهِدايةِ والنَّجاةِ[1]

* * *

1 (?) ديوان حتى ترضى (ص:49-50).

26- سبحان من يعطي المنى

سُبْحَانَ من يُعْطِي المُنىَ بخواطرٍ في النَّفس لم ينطِقْ بهنَّ لِسَانُ

سُبْحَانَ من لاشيءَ يحجُب علمَه فالسرُّ أجمعُ عندَه إعلانُ

سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لا يزالُ مُسبَّحًا أبدًا وليس لغيرِهِ السُّبحانُ

سُبْحَانَ مَنْ تجْري قضَاياه على ما شاءَ منها غائبٌ وعيانُ

سُبْحَانَ مَنْ هُو لا يزالُ ورزقهُ للعالمينَ به عليه ضَمَانُ

سُبْحَانَ من في ذكرِه طرقُ الرِّضَى منه وفيه الرَّوحُ والريحانُ

ملكٌ عزيزٌ لا يقارَنُ عِزُّه يُعصَى ويُرجَى عنده الغفرانُ

ملكٌ له ظهرُ القضاءِ وبطنُه لم تُبلِ جدَّة ملكِه الأزمانُ

ملكٌ هو الملكُ الذي من حِلْمِه يُعصَى بحسنِ بلائِهِ ويُخانُ

يَبْلَى لكلِّ مسلّطٍ سلطانُه واللهُ لا يَبْلَى له سلطانُ[1]

* * *

[1] (?) الله أهل الثناء والمجد (ص:110).

27- إخلاصُ العبودية

خير الدين وائلي

علَى المَولى تَوَكَّلنَا — وسبَّحْنا اسمَهُ الأعلَى

وحَسبُ المُسلِمِ المُؤمِنْ — بنصرِ اللهِ أن يُوقِنْ

فإنَّ العونَ والنصْرا — لمنْ يَدعوه مُضطَّرا

ومن يسأَلْ سوى الربِّ — يُدنِّس طاهرَ القَلبِ

ومِنْ يُشرِكْ بمولاهُ — يكنْ في النارِ مَثواهُ

وكلُّ الذنبِ قد يُغفرْ — سُوَى الإشراكِ بالأكبَرْ

ومن يطلبْ من القبرِ — ينلْ ما نالَ ذو الكفرِ

فأخْلِصْ يا أخي النيَّةْ — وأنواعَ العبوديَّةْ

لربٍّ قادرٍ قاهرْ — حكيمٍ عالمٍ غافِرْ

ففي الإخلاصِ — بلوغُ المِرفَقِ

للمولَى الأعلى

لدَى الرحمنِ في الجنَّةْ ولُقيا الفضلِ والمنَّةْ

فعندَ اللهِ للعابِدْ نعيمٌ وافرٌ خالِدْ

فياذا الفضلِ والجودِ وباري كلِّ موجودِ

أَنِلْني راحةَ البالِ معَ المختارِ والآلِ[1]

---

1 (?) ديوان النصر للإسلام (ص:127).

28- إلهي أقلني عثرتي

عبد الرحيم البرعي

عَسى من خَفِيِّ اللطفِ سُبحانَهُ لُطْفٌ
بِعَطْفَةِ بِرٍّ فالكَرِيمُ لَهُ عَطفُ

عَسى مِن لَطِيفِ الصُّنعِ نَظرَةُ رَحمَةٍ
إلى مَنْ جفَاهُ الأهلُ والصَّحبُ والإِلْفُ

عَسى فَرَجٌ يأتِي بِهِ اللهُ عاجِلاً
يُسَرُّ بِهِ المَلْهُوفُ إن عَمَّهُ اللَّهفُ

عَسى لِغَرِيبِ الدَّارِ تَدبِيرُ رَأفَةٍ
وبِرٌّ مِنَ البارِي إذا العَيشُ لَمْ يَصفُ

عَسى نَفحَةٌ فَردِيَّةٌ صَمَدِيّةٌ
بِها تنقَضِي الحاجاتُ والشَّمْلُ يُلتفُّ

فإنِّيَ والشَّكوى إلى اللهِ كالَّذِي
رَمى نَفسَهُ في لُجَّةٍ مَوجُها يَطفُو

فَمِنْ مِحَنِ الأيَّامِ قلبِي مُعَذَّبٌ
ألَمَّ بِرَوحِي قَبلَ حَتفِ الفَنا حَتفُ

ومِنْ فُرقَةِ الأحبابِ قلبِي مُقسَّمٌ
ثلاثٌ وأربَاعٌ ونِصفٌ ولا نَصفُ

وإني لأرضَى ما قَضَى اللهُ لي ولو
عَبَدْتُ على حَرْفٍ لأزْرَى بيَ الحرفُ

ولم أَبنِ حُسنَ الظَّنِّ في سيِّدي على
شفا جُرُفٍ هارٍ فَيَنهارُ بي الجُرفُ

ولكِنْ دَعَوتُ اللهَ يَكشِفُ كُربَتِي

فَما كُربَةٌ إلَّا ومِنهُ لَها كَشفُ

فكَمْ بُسِطت كَفٌّ بسوءٍ تُرِيدُني

فَقالَ لَها الكافِي ألا غُلَّتِ الكَفُّ

وَكَمْ هَمَّ صَرفُ الدّهْرِ يَصرِفُ نابَهُ

عَلَيَّ فَجاءَ الموتُ وانصَرَفَ الصَّرفُ

ولمْ أَعتَصِمْ باللهِ إلَّا وَمَدَّ لِي

مِنَ البِرِّ ظِلًّا في رضاءٍ لَهُ وَكْفُ[1]

وإني لمُستغَنٍ بِفَقرِي وفاقَتِي

إليهِ ومُستقْوٍ وَإنْ كانَ بِي ضَعفُ

---

1 (?) وكْف: الوكف الجريان والتتابع.

وفي الغَيبِ لِلعَبدِ
الضَّعيفِ لَطائفٌ

بِها جَفَّتِ الأقلامُ
وَانطَوَتِ الصُّحفُ

بِقُدرَةِ مَنْ شَدَّ الهوا
وَبَنى السَّما

طَرائِقَ فَوقَ الأرضِ
فَهْي لها سَقفُ

ومَنْ نَصَبَ الكُرسيَّ
والعَرشَ واستَوى

على العَرشِ، والأملاكُ
مِن حَولِهِ حَفُّوا

ومَنْ بَسَطَ الأرضِينَ
فَهِيَ بِلُطفِهِ

لِحَيِّ بَنِي الدُّنيا
ومَيِّتِهِمْ ظَرفُ

وألقى الجِبالَ الشُّمَّ
فِيها رَواسِيًا

فَلَيسَ لها مِنْ قَبلِ
مَوعِدِها نَسفُ

وأَلبْسَها من سُندُسِ

النَّبتِ بَهجَةً

مِنَ النورِ ما صِنْفٌ يُشابِهُهُ صِنفُ

وسَخَّرَ من نَشْرِ السَّحابِ لواقِحًا

إذا انتشَرَت دَرَّت سَحائِبُها الوَطفُ[1]

وأَنشَأ من أَلفافِها كُلَّ حَبَّةٍ

به الأبُّ والريحانُ والحَبُّ والعَصْفُ

ويعلمُ مَسْعَى كلَّ سارٍ وساربٍ

وما أعلنوه من خِطابٍ وما أخْفُوا

ويَدري دَبِيبَ النَّملِ في اللّيلِ إن سَعَت

وإن وَقَفَتْ ما أمكَنَ السّعيُ والوقفُ

ووزنُ جِبالٍ كَمْ

---

1 (?) الوطف: الماء المنهمر.

مَثاقِيلَ ذَرَّةٍ

وكَيْلُ بِحارٍ لا يُغَيِّضُها نَزفُ

وكَمْ فِي غَرِيبِ المُلكِ والمَلَكُوتِ مِنْ

عَجائِبَ لا يُحصِي لأيسَرِها وصفُ

فَسُبحانَ مَنْ إن هَمَّ وَهْمٌ يَقِيسُهُ

بِكُفءٍ وتكيِيفٍ يُلَجِّمُهُ الكَفُّ

إلَهِي أقِلنِي عَثرَتِي وتَوَلَّنِي

بِعفوٍ فإنَّ النائِباتِ لها عُنفُ

خَلَعتُ عِذَارِي ثُمَّ جِئتُكَ عائِذاً

بِعُذرِي فإن لم تَعفُ عَنِيَ فمَنْ يَعفُو

* * *

29- رحمتك اللهم

الإمام الشافعي

قَلبِي بِرَحَمِتِكَ اللَّهُمَّ ذُو أُنُسِ في السِّرِّ والجَهرِ والإصبَاحِ والغَلَسِ

ومَا تَقَلَّبتُ مِنْ نَومِي وَفي سِنَتي إلَّا وذكرُكَ بين النَّفْسِ والنَّفَسِ

لقَدْ مَننتَ علَى قلبي بمعرِفَةٍ بأنَّكَ اللهُ ذُو الآلاءِ والقُدسِ

وقَد أتَيتُ ذُنُوبًا أنتَ تَعلمُها ولم تَكُنْ فاضحِي فِيهَا بِفعلِ مُسِي

فَامنُنْ عَلَيَّ بذكرِ الصَّالحينَ ولاَ تجعَل عَلَيَّ إذًا في الدِّينِ من لَبَسِ

وكُنْ مَعِي طُولَ دُنيايَ وآخِرتي ويَومَ حَشري بِما أنزَلت في عَبَسِ[1]

* * *

1 (?) ديوان الشافعي (ص:85).

30- إلهنا ما أعدلك

أبو نواس

إلهنا ما أعدَلكْ ... مَليكَ كلِّ من مَلَكْ

لبيك قد لبيتُ لكْ ... لبيكَ إنَّ الحمدَ لكْ

والملكُ لا شريكَ لكْ ... والليلُ لمَّا أن حَلَكْ

والسَّابِحَاتُ في الفَلكْ ... على مجارِ المنسَلِكْ

ما خاب عبدٌ أمّلَكْ ... أنتَ له حيثُ سَلَكْ

لولاك يا ربّ هَلَكْ ... كلُّ نبيٍّ ومَلَكْ

يا مخطئًا ما أغفَلَكْ ... عجّل وبادِرْ أجَلَكْ

واختِمْ بخيرٍ عمَلَكْ ... لبيك إن الملكَ لكْ

والحمدُ والنِّعمةُ لكْ ... والعزُّ لا شريكَ لكْ[2]

---

[2] (?) أناشيد فتية الحق (ص:46).

* * *

31- لك المجدُ في كل الوجودِ

عبد الرحمن حبنكة

لكَ المجدُ في كلِّ الوجودِ لك الحمدُ ... إلهي. فأنتَ الخالقُ الصَّمَدُ الفردُ

إلهي وأنتِ الربُّ تخلُقَ مَا تشَا ... وأنتَ مُعينُ العبدِ ما التجأ العبدُ

لديكَ إلهي رزقُنَا وحياتُنا ... ومنكَ إلهي السعدُ ما أقبلَ السَّعدُ

وكلُّ تصاريفِ الوجودِ قضاؤها ... لديكَ ومَا تقضِيهِ حقٌّ لهُ الحمدُ

ولا خير إلا في يديك قضاؤُهُ ... وكم ساءنَا خيرٌ إذا ألِمَ الجِلدُ

وكم مؤلمٍ للنَّفسِ نَكرهُ مسَّهُ ... وفيهِ لنا خيرٌ وفيهِ لنا مجدُ

فأنتَ حَكيمٌ والحكِيمُ بفعْلهِ ... حميدٌ وعلمُ الناسِ صغّرهُ الحَدُّ

* * *

32- تسبيحات[1]

حازم القَرْطَاجَنِّي

سُبحانَ من سَبَّحَتْهُ أَلسُنُ الأممِ
تَسْبيحَ حَمْدٍ بِمَا أَوْلَى مِنَ النِّعَمِ

سُبحانَ مَن سبَّحَتْهُ أَلسُنٌ عَرفتْ
بِأَنَّ تسبيحَهُ مِنَ أَفْضلِ العِصَمِ

سُبحانَ مَنْ سبَّحتْهُ ألسنٌ نطقتْ
من عالَمٍ في حِجَابِ الغيبِ مُكْتَتَمِ

سُبحانَ من سبَّحَت حمدًا ملائِكَةٌ
لهُ بِلَا فترةٍ تَعْرو وَلَا سَأَمِ

سُبحانَ مَن سَبَّحَتْ سَبعٌ له سَبَحَتْ

---

1 (?) تسبيح ومناجاة وثناء (ص:99-101).

مِنَ السمواتِ ذاتِ
الأنجُمِ العُتُمِ

سُبحانَ مَن سبَّحَتْ
شمسُ النهارِ لهُ

والبدرُ بدرُ الدُّجَىٰ
والشُّهْبُ في الظُّلمِ

سُبحانَ من سبَّحَ
الليلُ البهيمُ له

وسبَّحَ الصُّبحُ يُبدي
ثغْرَ مُبْتَسَمِ

سُبحَانَ من سبَّح
الجِسْمُ الجمادُ له

بمنطقٍ من لسانِ
الحالِ مُنفهِمِ

سُبحَانَ مَن سبَّح
الحيُّ الفصِيحُ لهُ

بمنطقٍ مِنْ صَريحِ
اللفظِ مُلتَئِمِ

سُبحانَ مَنْ فجَّر
الأنهارَ أسفلَها

وَأَنْشأَ السُّحْبَ منها
في ذُرَى القِمَمِ

سُبحَانَ عالمِ ما في
العالمينَ معًا

من كلِّ ما دَقَّ أو ظَلَّ
ذا ضِخَمِ

سُبحَانَ مَنْ كُلُّ حينٍ
في الوجودِ لهُ

إعدامُ موجودٍ أو
إيجادُ منعدَمِ

سُبحَانَ مَن خَلَقَ
الإنسانَ من عَلَقٍ

وردَّه بعدَ أمشاجٍ إلى
رِمَمِ

سُبحَانَ من شاءَ سُكنى
الروحِ في جسدٍ

باقٍ إلى أمدٍ لا بدَّ
مُختَرمِ

سبحانَ مَنْ كُلُّ شيءٍ
عندَهُ لِمَدًى

مثلُ الشبابِ الذي
يُفضِي إلى الهرَمِ

سُبحانَ من جعلَ الدنيا وصورَتَها

مثلَ الخيالِ سَرَى والعيشَ كالحُلُمِ

سُبحَانَ من جَعَل الدنيا مُحببةً

ملتَّذةً معَ ما فيها مِنَ الألَمِ

سُبحَانَ من حَبَّبَ الأخرى لطائفةٍ

سَمَتْ إلى أشرفِ الدَّارينِ بالهِمَمِ

سُبحَانَ من ينشُرُ الموتَى ويبعَثُهم

للفصْلِ ما بين ظَلَّام ومُظَّلَمِ

سُبحَانَ مَنْ بينَهم بالعدلِ يحكُم في

يومٍ بهِ ليسَ غيرُ اللهِ من حَكَمِ

سُبحَانَ من جلّ في

سلطانِه وعلا

عن أن يُرى معه حُكْمٌ لمحْتَكِمِ

سُبحَانَ من شاء تدبيرَ الأمورِ على

ما خطَّ تقريرُه في اللوحِ بالقلمِ

سُبحَان من ألهَمَ العبْدَ السعيدَ لما

أضحَى الشَّقِيُّ إليه غيرَ مُلتَهَمِ

سُبحَانَ من ضَلَّل الأشقَى بِمَعْصِيةٍ

فضَلَّ عن طرُقِ التوفيقِ وهْو عَمِ

سُبحَانَ من إن يشأْ يجْزِ المسيءَ وإن

يَشَأْ عفا عن كبيرِ الإثم واللَّممِ

سُبحَانَ من منه نرجُو عَفْوَ مقتدِرٍ

ونستعيذُ به من بطشِ مُنْتَقِمِ

سُبحَانَ من يُعدِمُ الموجودَ حين يشا

سبحان من أوجَدَ الأشياءَ من عَدَمِ

سُبحَانَ من لم يُحطْ خلقٌ به وله

إحاطةٌ بجميعِ الخلْقِ كلِّهِمِ

سُبحَانَ من بدليلِ الوحْي زادَ هُدًى

من اهتدَى بدليلِ العقل والفِهَم

سُبحَانَ من شاء إمدادَ العقولِ بما

أوحَى إلى رُسْلِه في الأعصُرِ القِدَم

سُبحَانَ من تَـمَّم الحسنَ بخاتَمِهم

محمدٍ خيرِ مبعوثٍ

ومختَتَمِ

* * *

33- بكلِّ الشوقِ

محمد التهامي

بكُلِّ الشَّوقِ في قلبي طرقتُ البابَ يا رَبِّي

وفي شَفَتي ضَرَاعاتٌ لقلبٍ ذابَ في جَنْبِي

دُعَاءٌ في تألُّقِهِ ضِيَاءٌ غيرُ ذي لَهَبِ

يَسِيلُ الطُّهرُ في دمعي لِيغسِلَ صِدقُهُ ذنبي

وحَسْبي أنَّك الرَّحمـ ـنُ في رضوانِهِ حسبي

تُجيب ضراعةَ المُحتا ج عِندَ الموقفِ الصَّعْبِ

وتَهْدِي خُطْوَةَ الحْيرا نِ إن ضَلَّتْ على الدَّربِ

طلبتُ رضاكَ يا رحما نُ واسترحَمْتُ في طلبي

قصدتُكَ يا حِمَى رُوحي ويا غَوثِي من الكَرَبِ

ويا حِصْني مِنَ الأيَّا م والأيَّامُ تَعْصِفُ بي

ويا عَوني عَلَى الإنسا نِ والإنسانُ يغْدِرُ بي

ويَلْبَسُ ثوبَ إنسانٍ ليُخْفِيَ صورةَ الذِّئبِ

سألتُ اللهَ أن ترتا حَ دُنيانا مِنَ اللَّهَبِ

وأن يرتاحَ صِدقُ النَّا سِ مِنْ دوَّامةِ الكَذِبِ

وأن يخلُو رحابُ الأرْ ضِ من حَمَّالةِ الحَطبِ

وأن يرضَى رضاءً يُنـ ـقِذُ الدُّنيا من الغضَبِ

سألتُ اللهَ أن يَهْدِي إلينا نعمَةَ الحُبِّ

وأن يَسقي ظِمَاءَ الرُّو حِ من تيَّارِهِ العَذْبِ

وأن يسري رحيقُ الحُـ ـبِ من قلبٍ إلى قلبِ

فَنَسْعَدُ كُلما ضمَّت خُطانا لمسةُ القُربِ

سألتُ اللهَ والمسئُو لُ فوقَ الشَّكِّ والرِّيَبِ

هو المُعطي بلاً منٍّ عطاءً غيرَ مُقتَضَبِ

دعوتُ وحُلميَ المأمُو لُ يبدو اليومَ عن كَثَبِ

تعالى اللهُ من دانٍ إلى الدَّاعي ومُقتربِ[1]

* * *

[1] (?) من ديـوان يـا إلهي، لمحمـد التهـامي (ص:7-8)، وانظـر: رائـق الشهد (ص:451-452).

34- ربٌّ لا يقهر

خير الدين وانلي

آمنتُ بربٍّ لا يُقهَرْ … سُبوحٍ قُدوسٍ أكبرْ

بالجبتِ كفرتُ وبالطاغو … ت فدعْوَى الشّركِ هي المنكرْ

لا ربَّ لهذا الكونِ سوى الـ … ـخلّاقِ القيّومِ الأقْدَرْ

الخلقُ جميعًا قبضتُهُ … في الحشرِ ويا هولَ المحْشَرْ

أبوابُ الخُلدِ مفتَّحةٌ … والنارُ بمن يَهْوِي تُسعَرْ

وملائكةُ النيرانِ على الـ … أبوابِ تنفِّذُ ما تُؤمَرْ

وأمامَ الجنَّةِ ترحيبٌ … من رضوانَ الملَكِ الأشهَرْ

والرسْلُ بفردوسٍ أَعْلَى … والصِّدِّيقونَ ومن شمَّرْ

الخلدُ طريقٌ مفروشٌ … بالشوكِ طويلٌ مسْتَوْعَر

والنارُ بلذّاتِ حُفَّتْ — وبِمَكْروهٍ حُفَّ الكَوْثَر

لا يغفرُ ربّي إشراكًا — والأدنَى من ذَنْبٍ يُغْفَرْ

وشفاعةُ أحمدَ للعاصي — مِن أهلِ الملَّةِ لا تُنكَرْ

وكذاكَ شفاعةُ قرآنٍ — وشفاعةُ طِفلٍ مُستَصْغَرْ

للهِ سَجَدْتُ ولم أسجُدْ — يومًا للطاغوتِ الأكفَرْ

للهِ نَذَرْتُ ولم أنذُر — للقبرِ ومن فيهِ يُقبرْ

باللهِ حَلَفْتُ ولم أحْلِفْ — بسواهُ فاللهُ الأكبرْ

للهِ عَمِلتُ وما راءيتُ — فذاكَ هو الشركُ الأصْغَرْ

في اللهِ أُجاهِدُ لا أبغِي — أجرًا أو أبغِيَ أن أذكَرْ

والعونَ من المولى أرجُو — نعمَ المرجُوُّ المستنصَرْ

أدعُو الرحمنَ ولا أدعُو ميتًا أو جنِّيًا أحمَرْ

وأخافُ الجبّارَ الأعلى لا أخشَى جبارًا أصغَرْ

وأُحبُّ حبيبًا لا يفنَى لا ينسى الحِبَّ ولا يَبْهَرْ

للهِ ذبحتُ ولم أذبَحْ لسواهُ الهَدْيَ ولم أنحَرْ

وعلى القيّومِ توكلتُ عَلَّامِ الغيبِ وما يَظهَرْ

ربّي الرزاقُ هو المعبودُ هو المقصودُ هو الأظهَرْ

الكونُ جميعًا قبضتُه جلَّ الفعَّالُ المُستقدَرْ (1)

* * *

---

1 (**?**) ديوان النصر للإسلام (ص:129-130).

35- لله الأمرُ من قبلُ ومن بعدُ[1]

إلى اللهِ كلُّ الأمرِ في الخلقِ كلّه
وليس إلى المخلوقِ شيءٌ من الأمرِ

إذا أنا لم أقبَلْ من الدَّهرِ كلَّ ما
تكَرهْتُ منه طالَ عتبي على الدهْرِ

تَعَوَّدتُ مسَّ الضُّرِّ حتى ألِفْتُهُ
وأحْوجَني طولُ العزاءِ إلى الصَّبْرِ

وصيَّرني يأسي من الناسِ راجيًا
لِسُرْعةِ لُطفِ اللهِ من حيثُ لاَ أدْرِي

* * *

1 (?) الله أهل الثناء والمجد (ص:670).

36- إلهي وجاهي

لكَ الحمدُ طوعًا... لكَ الحمدُ فرضًا

وثيقًا عميقًا... سماءً وأرضًا

لكَ الحمدُ صَمْتًا... لكَ الحمدُ ذِكرًا

لكَ الحمدُ خَفْقًا حثيثًا... ونبضًا

لكَ الحمدُ ملءَ خلايا جَنَاني

وكلِّ كِياني... رُنوًّا وغَمْضًا

إلهي وجاهي إليك اتِّجَاهي

وطيدًا مديدًا... لترضَى فأرضَى

فأنتَ قِوَامي... وأنت انسِجَامي

مع الكونِ والأمرُ لولاكَ فوضى[1]

* * *

[1] (**?**) من ديوان قلب ورب لعمر بهاء الدين الأميري (ص:197-198).

37- سبحانك يا الله

عبد الرحيم البرعي

لكَ الحمدُ يا مُستوجِبَ الحمدِ دائمًا

على كلِّ حالٍ حمدَ فانٍ لدائمِ

وسبحانكَ اللهُمَّ تسبيحَ شاكرٍ

لمعروفِكَ المعروفِ يا ذا المراحِمِ

فكم لكَ من سترٍ على كُلِّ خاطِئٍ

وكم لكَ من برٍّ على كلِّ ظالمِ

وجُودُكَ موجودٌ وفضلُكَ فائضٌ

وأنتَ الذي تُرجَى لكشفِ المظالمِ

وبابُكَ مفتوحٌ لكُلِّ مُؤمِّلٍ

وبرُّك ممنوحٌ لكلِّ

مُصَارِمِ

فيا فالِقَ الإصباحِ والحَبِّ والنَّوى

ويا قاسِمَ الأرزاقِ بين العوالِمِ

ويا كافلَ الحيتانِ في لُجِّ بحْرِها

ويا مُؤنسًا في الأفقِ وحشَ البهائِمِ

ويا مُحصي الأوراقِ والنبتِ والحصَى

ورملِ الفَلا عَدًّا وقطرِ الغَمَائمِ

إليكَ توسَّلنا بكَ اغْفِر ذُنُوبَنا

وخفِّفْ عَنِ العَاصينَ ثِقْلَ المظالمِ

وحبِّبْ إلينا الحقَّ واعِصْمِ قُلُوبَنَا

من الزِّيغِ والأهواءِ يا خيرَ عاصِمِ

ودمِّر أعادِينا بسُلطانِكَ الذي

أذلَّ وأفنَى كُلَّ عاتٍ وغاشمِ

ومُنَّ علينا يومَ ينكَشِفُ الغطا

بستر خَطَايَانا ومَحْوِ الجَرَائمِ

وصلِّ على خيرِ البرايا نبيِّنا

مُحمَّدٍ المبعُوثِ صفوةِ آدمِ

* * *

38- ربِّ رحماك!

لكَ محيايَ خالصًا.. ومماتي ... يا إلهي.. ويا عظيمَ الصِّفاتِ

لكَ سَعْيِي.. وفيكَ غايةُ حُبِّي ... ونجَاوَى ضرَاعتي.. وصلاتِي

وسُجُودي.. معرَاجُ رُوحي وعقلي ... وانعِتاقي.. ولذَّتي.. وحَياتِي

وكأنّي في بحرِ نورِكَ طيفٌ ... هائمُ الشَّوقِ.. واكِفُ[1] العبَراتِ

وأرى الكونَ.. الفضاءَ.. كِتابًا ... سُطِّرَتْ فيه أروعُ الآياتِ

كلُّ شيءٍ مرآتُهُ عنكَ تحْكِي ... وتُرينا الإبداعَ.. والمعجزَاتِ

ولسانُ الوجودِ يلهَجُ بالحمدِ اعـ ... ـترافًا مِنهُ بفيضِ الهِباتِ

ربِّ رُحماكَ!.. كلُّ نبضَةِ عِرقٍ ... من فُؤادي تجيشُ بالدَّعواتِ

قصُرَتْ هِمَّتي.. وهِيضَ جَناحِي ... أينَ مِنّي النُّهوضُ بالواجباتِ

---

1 (?) واكف: منهمر.

أين بذلي من أجلِكَ النَّفسَ وَالمَا
لَ.. ومَعنَى تَجَرُّدي.. وثَبَاتِي

طَالمَا قد ظلَمتُ نَفْسِي.. فعَفوًا
وأعِنِّي ربِّي علَى الطَّاعاتِ

ورجَائي.. وحُسنُ ظَنِّي.. وصِدْقي
هُو يومَ الحسَابِ حبلُ نجَاتي[2]

* * *

[2] (?) ديوان (جراح وكلمات)، انظر: رائق الشهد (ص:70-71).

39- أطيار

مصطفى عكرمة

هُنا في الرَّوضِ أطيارٌ بِحَمْدِكَ سبَّحت رَبِّي

أرىَ أَشْكَالَها اختَلفتْ ولكن كُلُّها تَصْبِي

تناغَمَ صوتُها.. وحَكى لنا في رِقّةِ الصَّبِّ

بألحانٍ تبايُنُها بأفصَحِ مَنطقٍ يُنْبِي

بأنَكَ أنتَ مُبدِعُها ومُبدعُ لحْنِها العَذبِ

وأنتَ هديتَها طَبعًا يُحَيِّر كُلَّ ذي لُبِّ

وأنتَ منحتَها عزمًا على التَّحليقِ يا رَبِّي

تَسَاوَى عِندَ أصغَرِها قَصِيُّ البُعدِ بالقُربِ

أقامَت في الذُّرَى وكرًا لتَأمنَ كُلَّ ذي رُعْبِ

تطيرُ لَهُ على أمنٍ ... وتَهْدِي البِشْرَ للزُّغْبِ[1]

وتُخرِجُ من حَوَاصِلِها ... وتُطعِمُها من الحَبِّ

وترعاها لِكي تَقْوَى ... وتمرَحَ في المَدَى الرَّحْبِ

وتهتِفُ باسمِكَ الأعلَى ... مُسبِّحةً أيا رَبِّي

فكم من آيةٍ فيها ... غَفَا عن وَعْيِها صَحْبي!

وإدراكُ الذِي تُوحِي ... هِ كانَ.. ولم يَزَل دَأبي

فمَنْ إلّاكَ أرشَدَها ... لتَحيا العُمرَ في حُبِّ!

ومن إلَّاكَ سَوَّاها ... تُحيِّرُ كلَّ ذِي لُبِّ!

إلهي إنَّ بعضَ الطَّيْـ ... ـرِ في تسبيحِها.. قَلبي

وحَسْبي اليَومَ إيمانِي ... بقُدرةِ خالِقي حَسْبي[2]

---

[1] (?) الزغب: صغار الطير التي لا ريش لها.

* * *

[2] (?) حتى ترضى (ص:42-44).

40- يكفيك ربٌّ لم تَزَل في حفظِه

ابن قيم الجوزية

يكفيكَ من وَسِعَ الخلائِقَ رَحمةً ... وكفايَةً ذُو الفضلِ والإحسانِ

يكفيكَ من لم تَخْلُ من إحسانِهِ ... في طَرْفَةٍ كتقلُّبِ الأجفانِ

يكفيكَ ربٌّ لم تزلْ ألطافُهُ ... تَأتِي إليكَ برحمَةٍ وحَنانِ

يكفيكَ رَبٌّ لم تَزلْ في سِترِهِ ... ويَراكَ حينَ تَجِيءُ بالعصيانِ

يكفيكَ ربٌّ لم تزلْ في حِفظِهِ ... وَوِقَايةٍ منهُ مَدَى الأزمَانِ

يكفيكَ ربٌّ لم تزلْ في فَضلِهِ ... مُتقَلِّبًا في السِّرِ والإعْلانِ

يدعُوهُ أهلُ الأرضِ مَعْ أهلِ السَّما ... ءِ فكلَّ يومٍ ربُّنا في شانِ

وهُو الكفيلُ بكُلِّ ما يَدعُونَهُ ... لا يَعتَري جدوَاهُ من نُقصانِ[1]

* * *

---

[1] الكافية الشافية (؟)

41- تسبحُ كلُّ الكائناتِ بحمدهِ

تَبارِكَ مَنْ شُكْرُ الوَرَى
عنهُ يقصُرُ

لكونِ أيادي جُودِهِ
ليسَ تُحْصَرُ

وشَاكرُها يحتاجُ شُكرًا
لشُكرِهَا

كذلكَ شُكرُ الشُّكرِ
يحتاجُ يُشكَرُ

ففي كلِّ شُكرٍ نعمَةٌ
بعدَ نعمةٍ

بغيرِ تناءٍ دُونهَا
الشُّكرُ يصْغُرُ

فمن رَامَ يقضِي حقَّ
واجبِ شُكرِهَا

تحَمَّلَ ضِمنَ الشُّكرِ
ما هُو أكبرُ

تُسبِّحُهُ الحيتانُ في
الماءِ وفي الفلَا

وحُوشٌ وطَيرٌ في
الهَوَاءِ مُسخّرُ

وفي الفُلكِ والأملاكِ كُلٌّ مُسبِّحٌ
نهَارًا وليلًا دائمًا ليسَ يفتُرُ

تُسبِّحُ كلُّ الكائِناتِ بحَمدِهِ
سَمَاءٌ وأرضٌ والجبَالُ وأبحُرُ

جميعًا ومن فِيهنَّ والكُلُّ خاشِعٌ
لهيبَتِهِ العُظمَى وَلَا يتكَبَّرُ

لهُ كُلُّ ذرَّاتِ الوجُودِ شَواهدٌ
على أنهُ البَاري الإلَهُ المُصوِّرُ

دَحَا الأرضَ والسَّبعَ السَّماواتِ شادَهَا
وأتقنَهَا للعالمينَ لينظُرُوا

وأبدَعَ حُسنَ الصُّنعِ في

ملكُوتِهَا

وفي مَلَكوتِ الأرضِ كي يَتَفكّرُوا

وأوتَدَهَا بالرَّاسِيَاتِ فلم تَمِدْ

وشَقَّقَ أنهارًا بِهَا تتفجَّرُ

وأخرجَ مرعَاها وبثَّ دوابَّهَا

وللكُلِّ يأتِي منهُ رِزقٌ مُقدَّرُ

من الحَبِّ ثمَّ الأبِّ والقضْبِ والكلَا

ونخْلٍ وأعْنَابٍ فَواكِهُ تُثمِرُ

فأضحَت بِحُسنِ الزَّهرِ تَزْهُو ريَاضُها

وفي حُلَلٍ نسجُ الرَّبيعِ تَبَختَرُ

وزَانَ سَمَاءً بالمصَابيحِ أصبحَتْ

وأمستْ تُبَاهِي الحُسْنَ تزهُو وتَزهَرُ

ترَاهَا إذا جَنَّ الدُّجَى قد تقلَّدَت

قلائِدَ دُرِّيٍّ لِدُرٍّ تُحَقِّرُ

فيَا نَاظِرًا زهرَ البَسَاتِين دُونَهَا

أظُنُّكَ أعمَى ليسَ للحُسنِ تُبصِرُ[1]

* * *

42- الله سندنا

خير الدين وانلي

ما غيرُ اللهِ لنا سَندُ — **فعليهِ دومًا نعتَمِدُ**

لم نشركْ يومًا بالباري — **فهو الأحدُ الفردُ الصَّمدُ**

من للمضْطرِّ إذا نَادَى — **كي يكْشِفَ عنهُ ما يجدُ؟**

من للمحْزونِ — **بِ وللمَلْهوفِ**

---

[1] (?) رائق الشهد (ص:85-86).

وللمكرو المعتَمَدُ؟

من غيرُ اللهِ يُؤيِّدُنا بالنصرِ ومن منهُ المدَدُ؟

فعلى الرحمنِ توكلْنا وإليهِ نَجِدُّ ونجتَهِدُ

وله أسلَمْنا عن طوعٍ وبهِ نعتزُّ ونعتَضِدُ

وإليهِ أنبْنا في ذلٍّ من هَوْلِ جهنمَ نرتَعِدُ

ندعُوه نرجُو جنَّتَهُ فالخلدُ منالٌ مبتَعَدُ

لكنَّ الرحمةَ واسعةٌ يُؤتَاها العبدُ المجتَهِدُ[2]

* * *

[2] (?) ديوان النصر للإسلام (ص:131).

43- أمّن ينجيكم في ظلمات البر والبحر

عبد الرحمن حبنكة

رَكِبتُ البحارَ وأهوالَهَا — وحَمَّلتُ في الفُلْكِ أحمَالَهَا

وخُضْتُ العُبابَ وأمواجَهُ — وقد زُلزِلَتْ فيهِ زلزالَهَا

وهاجَتْ عواصِفُهُ في الصَّبا — بِ وجرَّتْ ليالِيهِ أذيالَهَا

وخفَّت علَى موجِهِ الجَاريا — تُ وقطَّعتِ النَّفسُ آمالَهَا

ولم يبقَ من سَبَبٍ يُرتَجَى — وأوقَفَتِ النَّاسُ أعمالَهَا

ونادَى المُنادِي: إلهِي أغِثْ — فإنَّكَ وحدَكَ تُرجَى لهَا

فأرخَى المُهيمِنُ حَبْلَ النَّجا — ةِ ونَالَ السَّلامَةَ من نَالَهَا

وأرْسَتْ علَى الشَّاطيء المُرتَجَى — وألقَتْ علَى البَرِّ أثقَالَهَا

وأثنت علَى اللهِ نَفسُ الشَّكورِ — ولم يُنسِها الأمنُ أحوَالَهَا

وكم أنفُسٍ جَحَدت رَبَّهَا
ومرَّتْ تُجَرِّرُ أذيَالَها

وساوسُ شيطَانِهَا استحْوَذتْ
علَيهَا من الوَهمِ فاجتالَها

فيَا ويلَهَا أنفُسًا بالجُحُو
دِ تُقَابِلُ أنعُمَ من عَالَها

وتتبَعُ أوهَامَهَا البَاطِلا
تِ وتَعبُدُ بالذُّلِّ مُغتالَها

***

44- زهرةُ الروض أجيبي

شَدَّني الحُسنُ وأغرَى إذ رَأت عينَايَ زهرَه

تنشُرُ العِطرَ وتُضفِي من شَذَا العِطرِ المسَرَّه

بهجَةُ العينِ ولُطفًا رَفَّ إحساسًا وفِكرَه

يأسِرُ الرَّائينَ طَوْعًا ينفُحُ الأرجَاءَ سِحرَه

زهرَةَ الرَّوضِ أجيبِي من تُرَى أهدَاكِ نَضْرَه

من تُرَى أنشاكِ أنسًا لمُحِبٍّ زَادَ صَبْرَه

من تُرَى أهدَاكِ ألوَا نًا لَهَا في السِّحرِ قُدرَه

تَجْذِبُ الرَّائين طُرًّا تَفْتِنُ الألبَابَ بُكرَه

من أُناسٍ وطُيُورٍ رَاقَهَا الحُسنُ بزَهْرَه

أو هَوَامٍ تنقُلُ الطَّلعَ فتَزهُو مِنهُ دُرَّه

من تُرَى أهدَاكِ عِطرًا ... تنشُدُ الأحيَاءُ سِحرَه

من تُرَى سَوَّاكِ شكلًا ... يُرهِفُ الحِسَّ بنَظرَه

من تُرَى أجرَى حياةً ... فيكِ إذْ ما كُنتِ بِذرَه

من تُرَى أنبَتَ من مَيْـ ... ـتٍ حياةً ومَسَرَّه

من تُرَى أسرَى بكِ المَا ... ءَ فكَانت مِنهُ خُضرَه

زهرَةَ الرَّوضِ تُرَى من ... فيكِ قد أودَعَ خَيرَه

من تُرَى أهدَاكِ سِحْرًا ... زاهيًا يُحسِنُ أسرَه

فأَمَالت زهرَتي رَأ ... سًا وأَومَت لي بنَظرَه

خالِقي اللهُ تعَالى ... فِيَّ قد أودَعَ سِرَّه

خالِقي اللهُ تجلَّى ... مُبدِعًا في كُلِّ ذَرَّه[1]

---

1 (**?**) رائق الشهد (ص:334-335).

* * *

45- توبة وإقبال

ربِّ قد أقبلتُ في ظلِّ رحابِكْ

خاشعَ الطرفِ لدى نورِ شِهَابكْ

خاضعَ النفْس ذليلًا صاغرًا

وفؤادي ساجدٌ يَجْثُو ببابِكْ

كم بكى يا ربّ في سَجْدَتِه

إذ يهابُ الهولَ في يومِ حِسَابِكْ

يرقُبُ الغفرانَ في يومِ الظَّمَا

وهو يرجُو الوردَ من فيْضِ شرَابِكْ

كلما وَسْوَسَ شيطانُ الهَوَى

قلتُ يا شيطانُ سُحْقًا لِسَرَابِكْ

أو دَعَاني خاطرٌ يعْصِفُ بي

قلتُ يا شاعِرُ رفْقًا بِشَبابِكْ

كيف تَشْرِي ضَلَّةً بعدُ هدًى

وتُمَنِّي النفسَ ظلمًا بِخَرَابِكْ

أنتِ ما زلتَ فَتًى لا تَرْعَوِي

ضَلَّتِ الحكمةُ في غَضِّ إِهَابِكْ

عُدْ إلى اللهِ وَرَتِّلْ آيَهُ

فلعلَّ الله يرضَى بمَتَابِكْ

ربِّ لن يَهْدِيَنِي في حَيْرَتِي

غيرُ نورٍ وَسنَاءٍ من كتابِكْ[1]

[1] (?) يوسف العظم (السلام الهزيل) (ص:14-16).

* * *

46- رحماك يا ربَّ العبادِ

رحْمَاك يا ربَّ العبادِ رجَائي ورِضَاك قَصْدِي فاستجِبْ لِدُعَائي

وحَمِاك أَبْغِي يا إلهي راجيًا منك الرِّضا فَجُدْ بوَلائي

ناديتُ باسْمِك يا إلهي ضارِعًا إن لم تُجِبْني فمن يُجيبُ بُكَائي

أنتَ الكريمُ فلا تَدَعْني تائِهًا فلقَدْ عَيِيتُ من البِعَادِ النَّائي

ما لي سِوَى أعتابِ جُودِكَ مَوْئِلٌ فلئِن رُدِدتُ فمن سِوَاكَ رَجَائِي

ولقد رجوتُك يا إلهي ضارِعًا متذللًا فلا تَرُدَّ رجَائِي[1]

* * *

---

1 (**?**) أناشيد فتية الحق (ص:37).

47- توكلتُ على اللهِ

توكلتُ في رِزقِي علَى اللهِ خالقِي

وأيقنتُ أن اللهَ لا شَكَّ رازِقي

وما يَكُ من رزقِي فليسَ يفوتُني

ولو كانَ في قَاعِ البِحارِ الغوامِقِ

سيأتي بهِ اللهُ العظيمُ بِفَضْلِهِ

ولو لم يكنْ مِني اللسانُ بنَاطِقِ

ففي أيِّ شيءٍ تذهَبُ النفسُ حسرَةً

وقد قسَّمَ الرَّحمنُ رِزقَ الخلائِقِ [1]

* * *

1 (?) ديوان الشافعي (ص:99).

48- حبيبُ القلوب

هبِ الرسلُ لم تأتِ من عندِه ... ولا أخْبرتْ عن جمالِ الحبيبِ

أليس من الواجبِ المسْتَحَقِّ ... محبتُه في اللِّقَا والمغيبِ؟

فمن لم يكنْ عقلُه آمرًا ... بذا ما له في الحِجَى من نَصِيبِ

وإن العقولَ لتدعُو إلى ... محَبةِ فاطرِها من قريبِ

أليستْ على ذاك مجبولةً ... ومفطورةً لا بكسْبٍ غريبِ؟

أليسَ الجمالُ حبيبَ القلوبِ ... لذاتِ الجمالِ، وذاتِ القلوبِ؟

أليس جميلًا يحبُّ الجمالَ؟ ... تعالى إلهُ الورَى عن نَسِيبِ

أما بعدَ ذلك إحْسَانُه ... بداعٍ إليه الفُؤاد المنيبِ؟

فمن ذا يُشَابِهُ أوصَافَه؟ ... تعالى إلهُ الورَى عن ضَرِيبِ[1]

ومن ذا يكافئُ إحسانَه ... فيألَهُه قلبُ عبدٍ منيبِ؟

---

[1](?) ضريب: يقال: فلانٌ ضريب فلان: إذا كان شبيهًا له.

وهذا دليلٌ على أنَّه إلى كلِّ ذي الخَلْقِ أولى حبيبِ
فيا منكرًا ذاك واللهِ أنت عينُ الخصيمِ وعينُ الحريبِ[1]
ويا من يُحِبُّ سواه كمثـ ـلِ محبتِه أنت عبدُ الصَّلِيبِ
ويا من يوحِّدُ محبوبَه ويُرضيه في مَشْهدٍ، أو مغيبِ
حَظَيْتَ وخَابوا فلا تَبْتئسْ بكيدِ العدوِّ وهجرِ القريبِ[2]

49- آياتٌ من الدُّررِ

محمد عبد الله القولي

تباركَ اللهُ زانَ الأرضَ بالدُّررِ واستنطَقَ الحُسنَ في زَهرٍ وفي شَجَرِ
وهَزْهَزَ الأرضَ من نومٍ ليُوقِظَهَا ورشَّ في وجهِهَا الوسنَانِ بالمطَرِ
وأرسلَ الشَّمسَ تُذكيهَا بقُبلتِهَا فاستعذَبَتْ دفئَهَا المحفوفَ بالخدَرِ
وحرَّكَ الرِّيحَ مسَّت كأنهَّا الطَّيفُ

---

1 (?) الحريب: المحارب والمسلوب.

2 (?) الله أهل الثناء والمجد (ص:363-364).

شَعْرَهَا بيدٍ يغشَاهَا بلا كَدَرِ

وأرسلَ النَّهرَ تُطفِي فيهِ حُرقَتَها
وتستَقي رَغَدًا ينسَابُ بالنَّهرِ

وأبهجَ الطَّيرَ فاهتزَّت مَعَازفُهَا
تُدغدِغُ السَّمعَ في لحنٍ بلا وتَرِ

وغرَّدِ البُلبُلُ الصَّدَّاحُ يُطربُهَا
فينتشي الحسُّ ما في الكَاسِ من سكَرِ

ففتَّحَتْ عينَهَا والنَّومُ يجذِبُهَا
ومسَّحَتْ ذَيلَ طيفٍ عادَ للسَّفرِ

وسبَّحتْ ربَّهَا الوهَّابَ واتَّكأتْ
وأعتدَتْ مجْلِسًا كم طابَ للبَشرِ

وفكَّرتْ أيَّ ثوبٍ تنتَقِي لهُمُو
تحيَّر القلبُ من أثوابِهَا الكُثُرِ

تنهَّدَتْ نشَرَتْ أزهَى ملابِسَهَا
وقلَّبت تَصْطَفِي الفتَّانَ للنَّظرِ

وسارَعتْ لحِلَاها تنتَقِي قمَرَا
عِقْدًا تألَّقَ في نَجْماتِهِ الزُهُرِ

تقلدَّتهُ وفي حبَّاتِهِ بَهَرٌ
قد هيَّجَ اللؤلؤَ الوضَّاءَ كالقمَرِ

تبسَّمتْ وارتدَتْ ثوبًا يُزيِّنُها
وصفَّقَتْ للجَواري إقتفِي أثرِي

تباركَ اللهُ أعطَى الحُسنَ مُقتَدِرًا ... فاختَالتِ الأرضُ في وَشيٍ من الزَّهَرِ

وجَرجَرتْ ثوبَهَا المعطُورَ مَنْسَجُهُ ... وأفرَدَت ذَيلَهُ المرشُوشَ بالصُّورِ

وأشرقَتْ بعَطاءِ اللهِ تلبَسُهُ ... وتزدَهِي بجمَالٍ سارَ في زُمَرِ[1]

ترنو إلى المَاءِ تلقَى فيهِ صُورتَهَا ... وتَنْتَشِي فرَحًا من أيِهَا الغُرَرِ

شتَّى من النَّبتِ هذِي الأرضُ قد وَلَدَتْ ... وأودَعَتها الدُّنا للعيشِ والنَّظرِ

ففي الرُّبا شَجَرٌ أفنانُهُ ضَحِكَتْ ... ويبسُمُ الزَّهرُ مَطوِيًّا على ثمَرِ

وفي البحارِ نباتٌ راقَ ساكنَهَا ... تحيَا عليهِ ويحمِيها من الخطَرِ

والنَّهرُ قِيعَانُهُ بالنَّبتِ قد فُرِشَتْ ... تباركَ اللهُ بثَّ الخَيرَ في النَّهَرِ

والماءُ مُدْهِشَةٌ في الأرضِ صنعَتُهُ ... والنَّبتُ مُختَلِفٌ في الذَّوْقِ والصُّورِ

تباركَ اللهُ أَعطَى الأرضَ فتنَتَها ... واستنطقَ الشِّعرَ آياتٍ من الدُّرَرِ[1]

---

1 (?) زمر: جماعات.

* * *

[1] (?) رائق الشهد (ص:332-334).

50- الإبداعُ

خير الدين وانلي

تفوحُ روائحُ الرَّيحانِ لا أزْكَى ولا أطْيَبْ

ويشْدُو الطيرُ في البستانِ لا أنْدَى ولا أطْرَبْ

ويزهو الزهرُ في الرّمانِ لا أبْهَى ولا أعْجَبْ

فَجَلَّتْ قُدرةُ الرحمنِ لا أَقْوَى ولا أغْرَبْ

يُنادي البلبلُ الشّادي رفيقتَه ويُغرِيها

وتثغو[1] الشاةُ في الوَادِي فلا تُنسَى بوادِيها

وماءُ البركةِ الهادي يعانِقُ رمْلَ شاطِيها

وألحانٌ من الحَادِي إلى الغَيْماتِ يُهديها

يدُ الإبداعِ في الكونِ بكلِّ خليقةٍ تظهَرْ

1 (?) تثغو: تصيح.

من الأصواتِ واللونِ إلى الأعراضِ فالجْوهَرْ

فَسِرْ في الأرضِ في هَوْنِ ولا تَسْتَعْلِ أو تفخَرْ

فأنتَ أحقُّ بالعَوْنِ وأنت الأضْعَفُ الأصْغَرْ

كتابُ اللهِ مَفْتوحٌ لمن يَسْتَوْضِحُ السِّرَّا

ونصرُ اللهِ ممنوحٌ لراجٍ عندْ النَّصْرَا

ورزقُ اللهِ مَطروحٌ لمن قد قدَّمَ الشُكْرَا

وفعلُ الخيرِ مَسْموحٌ به فاستكثرِ الأجْرَ

عن الأرواحِ لا تَسْألْ فسرُّ الروحِ مجهولُ

ولا تُهْمِلْ ولا تَكْسَلْ فراعي الضأنِ مَسْؤولُ

وسلْ عن كلِّ ما فهذا العِلمُ

تجهَلْ مبذولُ

ويَلْقَى المرءُ ما يَعْمَلْ وفَضْلُ اللهِ مأمولُ

تأَمّلْ صَنْعَةَ الخالِقْ وكلُّ الخلقِ آياتُ

فهذا كَوْكَبٌ سامِقْ وهذي الأرضُ ذرَّاتُ

وهذا شامخٌ شاهِقْ وذاكَ السهلُ جَنَّاتُ

وموجٌ زاخرٌ دافِقْ وأحياءٌ وأمواتُ

وكلُّ الكونِ إحْكامٌ منَ الأسْمَى إلى الأصغَرْ

ودينُ اللهِ إسلامٌ على أدْيانِهم يظهَرْ

وشرعُ اللهِ أحكامٌ جَلِيَّاتٌ لمن أبصَرْ

ووحيُ اللهِ إلهامٌ فجلَّ الخالِق الأكبَرْ [1]

---

1 (?) ديوان النصر للإسلام (ص:140-141).

* * *

51- عجائب أصناف النبات

عبد الرحمن حبنَّكة

عجائبُ لا تنتَهِي في النَّباتْ تدلُّ على الخالقِ المقتدِرْ

عجائبُ في أصلِ تكوينِهِ عجائبُ في نَجْمِهِ والشَّجَرْ

عجائبُ لا تنقَضِي في الجُذُورْ وفي السُّوقِ ثمَّ بفَيْضِ الثَّمرْ

عجائبُ تبدُو بأوراقِهِ وما جَمَعَتْ من ثغورٍ كُثُرُ

نسيجٌ بهِ يُدْهِشُ النَّاظرينْ وتحتارُ فيمَا حَوَاهُ الفِكَرْ

ومختَلِفَاتٌ بهِ لا تُعدُّ فتحلُو صُنُوفٌ وأُخرى تَمُرّ

وكلٌّ لهُ مَيْزةٌ في الحَيا ةِ يعرِفُ قيمتَهَا من خَبَر

***

52- سبحانك ربي

أُسبِّحُ ربي مثلَ الطيور — **وأهتفُ باسمِ إلهي كبيرْ**

أرى كبرياءً بلونِ السّماءْ — **ووَمْضِ النجومِ وبُعدِ المسيرْ**

وفي شَفَقٍ مُشْفِقٍ كالجراحْ — **يُذَكِّرُ من أبصَروا بالسَّعير**

وحين يساقُ السَّحابُ الجوادْ — **ليُحْيِيَ في الأرضِ مَوْتَى القبورْ**

وفي الشمْسِ لُفَّتْ بخِدْرِ الحياءْ — **تُنادِي الأحبَّةَ عند البُكُورْ**

وفي النخلِ دانٍ بِقنوانِهِ — **وفي النَّحْلِ يجمَعُ حُلْوَ العبيرْ**

بصوتٍ تَرَقْرَقَ بين الحَصَا — **بكَفِّ الحبيبِ البشيرِ النَّذِير**

بغِبْطَةِ بشرٍ بليلٍ حَزِين — **بَبَسْمةِ طفلٍ حبيبٍ صَغير**

أبيعُ وربّي مني اشْتَرَى — **أبيعِ الحياةَ ولا أستَشِير**

وأُشهِدُ خَلْقَكَ أَنَي — **أَحَبَّ المليكَ العزيزَ**

عبدٌ الغفور

وأُسلمَ عند لِقَاك الرِّحَا لَ وأُلْقِي لديْك عَنَاءَ المسِير[1]

* * *

1 (?) أناشيد دعوة الحق (ص:136).

53- قف بالخضوع

البرعي

قف بالخضُوعِ ونادِ يا اللهُ — إنَّ الكريمَ يُجيبُ من ناداهُ

واطلُب بطاعَتِهِ رِضاهُ فلم يزَلْ — بالجودِ يُرضِي طالبينَ رِضَاهُ

واسأَلْهُ مغفرةً وفضْلًا إنَّهُ — مبسوطَتَانِ لسَائليهِ يداهُ

واقصِدْهُ منقطِعًا إليه فكلُّ من — يرجُوهُ مُنقطِعًا إليه كفاهُ

شَمِلَتْ لطائِفُهُ الخلائِقَ كلَّهَا — ما للخَلَائقِ كافلٌ إلَّا هُو

فعزيزُها وذليلُها وغنيُّها — وفقيرُها لا يرتَجُون سِوَاهُ

مَلِكٌ تدِينُ لهُ المُلوكُ ويَلْتَجِي — يومَ القيامةِ فقرُهُم بغِناهُ

هو أوَّلٌ هو آخرٌ هو ظاهرٌ — هو باطنٌ ليسَ العيُونُ تراهُ

حجَبتْهُ أسرارُ الجلالِ فدونَهُ — تَقِفُ الظُّنونُ وتَخْرُسُ الأفْواهُ

صَمَدٌ بلا كفْءٍ ولا كيفيَّةٍ
أبدًا فما النُّظَراءُ والأشْبَاهُ؟!

شَهِدَتْ غرائبُ صُنْعِهِ بوجُودِهِ
لولاهُ ما شَهِدَت بهِ لولاهُ

وإليهِ أذعَنتِ العُقولُ فآمنَتْ
بالغيبِ تؤثِرُ حُبَّها إيَّاهُ

سُبحانَ من عَنَتِ الوُجُوهُ لوجْهِهِ
ولهُ سُجُودٌ أوجهٌ وجباهُ

طوعًا وكرهًا خاضِعينَ لعِزِّهِ
ولهُ عليها الطَّوْعُ والإكرَاهُ

سَلْ عنهُ ذرَّاتِ الوجُودِ فإنها
تدعُوهُ معبُودًا لها ربَّاهُ

أبدي بمُحْكَمِ صَنِيعِهِ من نُطفةٍ
بَشَرًا سويًّا جلَّ مَنْ سَوَّاهُ

وبنى السَّمواتِ العُلا والعَرشَ وال
كُرسيَّ ثمَّ علا عليه عُلاهُ

ودَحا بساطَ الأرضِ فرشًا مُثبتًا
بالرَّاسِيَاتِ وبالنَّباتِ حَلاهُ

تجري الرِّياحُ على اختلافِ هبُوبِها
عن إذنِهِ والفُلكُ والأمواهُ

ربٌّ رحيمٌ مُشْفِقٌ
لا ينتَهِي بالَحصْرِ ما

متعطِّفٌ أعطاهُ

كم نعمةٍ أولى وكم من كُربَةٍ أجلَى وكم من مُبتلًى عافاهُ؟!

وإذا بُليتَ بغُربةٍ أو كُربةٍ فادعُ الإلهَ ونادِ يا اللهُ

لا مُحسنُ الظنِّ الجميلِ بهِ يَرى سُوءًا ولا راجِيهِ خابَ رجاهُ

ولحِلْمِهِ سُبحانهُ يُعصَى فلم يَعْجَلْ على عبدٍ عَصَى مولاهُ

يأتيهِ مُعتَذِرًا فيقبلُ عُذْرَهُ كرمًا ويغفرُ عمدَهُ وخطاهُ

يا ذا الجلالِ وذا الجمالِ وذا البَقا يا مُنعِمًا عمَّ الأنامَ نَدَاهُ

* * *

54- روعة الخلق

خير الدين وانلي

بديعٌ كلُّ ما في الكوْ ... ن خلقُ المبْدعِ القادرْ

جميلٌ كلُّ ما في الكوْ ... ن للمُسْتَمْتِعِ الشَّاعِرْ

تأَمَّلْ هل تَرَى عيبًا ... بصُنعِ المتقِنِ الفاطِرْ

تعالى اللهُ ربُّ العَرْشِ ... جلَّ الباطنُ الظَّاهِرْ

تأَمَّلْ زَهْرةَ التفَّاحِ ... ذاتَ السِّحْرِ والعِطْرِ

وتابِعْ شَدْوَ شحْرورٍ ... يُناجي بَسْمَة الفجرِ

وراقبْ نَمْلَةً تسعَى ... ونَحْلًا غاصَ في الزهْرِ

ونهرًا فِضَّةً يجرِي ... على حَصْباءَ كالدُّرِّ

تأمَّل طائرًا يَسْعَى ... على أفراخِهِ الزُّغبِ

وبطًّا سَابحًا ... مع التيارِ في

يَجْرِي	حَرْبِ
وشاةً طِفْلَها تَدْعُو	ثُغَاءً مفرحَ القَلْبِ
ومُهْرًا قافزًا يَلهُو	على بُسُطٍ من العُشْبِ[1]

* * *

1 (?) ديوان النصر للإسلام (ص:142).

55- سبحان الله

يوسف العظم

لا تمترُوا في ذاتِهِ فالكَونُ من آياتِهِ

إن ضجَّ في حَركاتِهِ أو نامَ في سكناتِهِ

والصُّبحُ في إشراقِهِ واللَّيلُ في ظُلُماتِهِ

والشَّمسُ في كَبِدِ السَّما والنَّجمُ في رَعَشاتِهِ

والجوُّ في إعصارِهِ إن هَبَّ أو نَسَماتِهِ

والرَّعدُ دوَّى قاصِفاً والبرقُ في ومَضاتِهِ

واللَّيثُ في فلواتِهِ يختَالُ في خُطُواتِهِ

والطَّيرُ حلَّقَ في الفضَا أو نامَ في وَكَناتِهِ

والوردُ والعِطرُ الشَّذِيُّ يفُوحُ من روضَاتِهِ

دَانت لهُ الأزهارُ والـ أشوَاكُ بعضُ حُماتِهِ
لا تَمتَروا في ذاتِهِ أو تهزَءُوا بدُعاتِهِ
سُبحانهُ قد حقّقَ الـ إعجَازَ في كَلِماتِهِ
لا تمترُوا في ذَاتِهِ فالرِّزقُ من آياتِهِ
سُبحانهُ من خالقٍ برٍّ بمخْلُوقَاتِهِ
غَمَرَ الوجُودَ بفضلِهِ وأفاضَ من خَيْراتِهِ
من نَبعِهِ الثَّرِّ الغزيرِ يجُودُ من بَركاتِهِ
ناءَت بهِ السُّحُبُ الثِّقا لُ فسَالَ في رَبواتِهِ
والحقْلُ حانَ حصادُهُ نَفِْتَاتُ من غَلّاتِهِ
والنَّهرُ في السَّهلِ الفسِيـ ـحِ يَرِقُّ عذبُ فُراتِهِ
والغَابُ ظلٌّ والرَّوضُ في

وارفٌ ... ثَمَراتِهِ

والماءُ صافٍ في الغَديـ ... ـرِ يشِفُّ في مِرَآتِهِ

لا تقنطُوا من رحمَةِ الـ ... ـرَّحمنِ أو مَرضاتِهِ

فالحِلمُ والغُفرانُ والـ ... ـرضوانُ بعضُ صِفاتِهِ

لا تمتَرُوا في ذاتِهِ ... فالرُّوحُ من آياتِهِ

والصَّدرُ في أنفاسِهِ ... والقلبُ في خَفَقاتِهِ

والثُّغرُ في تسبيحِهِ ... والثَّغرُ في بسَماتِهِ

والصَّومُ في رمَضَانِهِ ... والحجُّ في ميقَاتِهِ

والمُؤمنُ البَرُّ الكريـ ... ـمُ مُصدِّقًا بزَكاتِهِ

والصَّالحُ العَفُّ ... يهيمُ في

التَّقيُّ صَلواتِهِ

يرجُو الرِّضى من ربِّهِ ليُقيمَ في جَنَّاتِهِ

والفاجِرُ الغِرُّ الجهُو لُ يَتيهُ في نزَوَاتِهِ

لا يَسْتَقِيمُ ولا يسيـ ـرُ على طَريقِ هُداتِهِ

والمرءُ في أفراحِهِ والمرءُ في مأسَاتِهِ

يمضِي علَى دَرْبِ الحيَا ةِ وينتَهي بمَمَاتِهِ

لا تَمتَروا في ذَاتِهِ فالموتُ بعضُ عظاتِهِ

لا تَمتَروا في ذاتِهِ فالوَحْيُ من آياتِهِ

والحقُّ من إلهَامِهِ والنُّورُ من مِشْكاتِهِ

والعَقلُ في إبداعِهِ والفِكرُ في سَبَحاتِهِ

والعلمُ في العَصرِ الحديـ ـثِ يضِجُّ في آلاَتِهِ
يرتَادُ آفاقَ الفضَا ءِ ويمتطِي طيَّاتِهِ
والبَحْرُ يهدِرُ صاخبًا والفُلكُ في جنَبَاتِهِ
والذَّرَّةُ الصُّغْرى مَصِيـ ـرُ الكونِ في ذَرَّاتِهِ
فخرَابُهُ ودَمَارُهُ إن سادَ حِقْدُ طُغاتِهِ
وعَمَارُهُ وصَلاحُهُ إن سادَ عقلُ ثُقاتِهِ
كم مِجْهَرٍ قرُبت لنا ال أبعادُ في عَدَساتِهِ
أو هاتِفٍ حَمَل الحديـ ـثَ مُردِّدًا همساتِهِ
لا تمترَوا في ذَاتِهِ فالكُلُّ من آياتِهِ[1]

---

[1] (?) قصيدة سبحان الله من ديوان في رحاب الأقصى ليوسف العظم، (531ـ 241)، المكتب الإسلامي. وانظـر: رائـق الشـهد (ص:325-327).

* * *

56- إِلا بِبَابِكَ

مصطفى عكرمة

إلَّا بِبابِك ما أطلتُ وقوفي ... يا من تُلبّي حاجَة الملهوفِ

ذلٌّ الوُقوفِ ببابِ عِزِّك عِزَّةٌ ... يا ربِّ فاقَبْل ذِلَّتي ووقُوفي

عمَّرتُ بالأحْلامِ قلبي.. يا لهُ ... من خَافقٍ بِضَلالِهِ مشغوفِ!

صرفَتْهُ أهواءُ الحياةِ عن الهُدَى ... ولكم لها في النَّاسِ من تَصْريفِ!

هي عونُ إبليسٍ وعدَّةُ جُندهِ ... ولكم يُساقُ المرءُ بالتَّسويفِ!

غالتْ وأغْرَى وصفُها فاسْتَرْسَلَتْ ... والوصفُ كم يُغريكَ بالموصوفِ!

كم ذا وقفتُ ولم أنلْ من وعْدِها ... إلَّا بريقَ الوعدِ والتَّرجيفِ

ومضيتُ لا العِبَرُ الكبارُ تهُزُّني ... يومًا.. وإن بلَغَتْ ألوفَ ألوفِ

والصَّحْبُ قد عكَفوا على لذَّاتِهم ... ولكم على اللذاتِ طالَ عُكوفي!

ألِفوا الحياةَ كما اشتهت أهواؤهُم ... بئسَت حياةُ اللَّهْوِ من مألوفِ

رباهُ إنّي ما ارتَضَيْتُ سبيلَهُم ... ولكم عزفتُ وطالَ عنهُ عُزوفي!

لكنَّها الأهواءُ والهفي لما ... عانيتُ في الأهواءِ من تَلهيفِ

رباهُ إن قَطَفوا لذائِذَهُم هُنا ... رباهُ فاجْعَل في الجِنانِ قُطوفي

هي حقبةٌ عاشَ الفؤادُ بها الأسَى ... ما بينَ حَالَيْ خائفٍ ومُخيفِ

واليومَ تابَ وجاءَ تحدُوهُ المُنى ... من غيرِ إبطاءٍ ولا تزييفِ

غُفرانَكَ اللهُم إنِّي تائبٌ ... يدعُو بقلْبٍ خاشعٍ وضعيفِ

يا ربِّ رُدَّ المُسلمينَ وردَّهُ ... للدِّين يا من أنتَ خيرُ لطيفِ

وانصُر بحقِّكَ أُمَّتي والطُف بها ... يا من تُلبّي حاجَةَ المَلهوفِ[1]

* * *

[1] (**?**) حتى ترضى (ص:32-34).

57- بك أستجير

إبراهيم بديوي

بك أستجيرُ فمن يجيرُ سِوَاكا … فأجِرْ ضعيفًا يَحْتَمِي بِحَمَاكا

إنَّي ضعيفٌ أستعينُ على قِوِى … ذَنْبي ومَعْصِيَتي بفيضِ قِوَاكا

أذنبتُ يا ربي وآذتْني ذنوبٌ … مَا لَها من غافرٍ إلَّا كَا

دنْيَايَ غَرَّتِني وعفوُك غرَّني … وا حَيْرَتي في هذه أو ذاكا

يا مدركَ الأبصارِ والأبصارُ لا … تَدْري له ولكُنهِهِ إدرَاكا

إن لم تكنْ عَيْنِي تَرَاك فإنني … في كلِّ شيءٍ أستبينُ عُلاكاً

يا منبتَ الأزهارِ عاطرةَ الشَّذا … هذا الشَّذَا الفوَّاحُ نفحُ شَذَاكا

ربَّاهُ ها أنا ذا خلَصْتُ من الهَوى … واستقبلَ القلبُ الخليُّ هَوَاكا

وتركْتُ أُنْسِي بالحياةِ ولهوِها … ولقيتُ كلَّ الأنسِ في نَجْواكا

ونسيتُ حُبِّي واعتزلتُ أحِبَّتي	**ونسيتُ نَفْسي خوفَ أن أنسَاكا**
أنا كنتُ يا ربي أسيرَ غِشاوةٍ	**رانَتْ على قَلْبِي فضَلَّ سَنَاكا**
واليومَ يا ربِّي مَسَحْتُ غِشاوتي	**وبدأتُ بالقلْبِ البصيرِ أرَاكا**
يا غَافِرَ الذنبِ العظيمِ وقابلًا	**للتِّوبِ قلبٌ تائبٌ ناجَاكا**
يا ربِّ جئتُك ثاويًا أبْكِي على	**ما قَدَّمَتْه يَدَايَ لا أتَباكى**
أخشَى من العَرْضِ الرهيبِ عليك يا	**ربي وأخْشَى منك إذ ألقَاكا**
يا ربّ عدتُ إلى رِحَابِك تائبًا	**مُسْتَسْلمًا مسْتَمْسِكًا بعُراكا**
ما لي وما للأغنياءِ وأنت يا	**رَبِّي الغنيُّ ولا يُحَدُّ غِنَاكا**
ما لي وما للأقوياءِ وأنت يا	**ربي عظيمُ الشَّأنِ ما أقْوَاكا**
إني أويْتُ لكل مأوًى في الحياةِ	**فما رأيتُ أعزَّ مِنْ مَأواكا**
وتلمسَتْ نفسي	**فلم تجدْ منجًى سِوَ**

السبيلَ إلى النَّجَاةِ ... ى مَنْجَاكا

وبحثتُ عن سِرِّ السعادةِ جاهدًا ... فوجدتُ هذا السرَّ في تَقْوَاكا

فليرضَ عنِّي الناسُ أو فليسْخَطوا ... أنا لم أعُدْ أسْعَى لغيرِ رِضَاكا

أدعوك يا ربي لتغْفِرَ حَوْبَتي ... وتُعَيِنَني وتمدَّني بهُدَاكا

فاقْبَلْ دعائي واسْتَجِبْ لرجَاوَتي ... ما خابَ يومًا من دَعَا ورجَاكا

يا ربّ هذا العصرُ ألحدَ عندما ... سخَّرتَ يا ربِّي له دُنياكا

ما كاد يُطْلِقُ للعُلا صاروخَه ... حتى أشاحَ بوجِهه وقَلاكا

أَوَ مَا دَرَى الإنسانُ أن جميعَ ما ... وصَلَتْ إليه يَدَاه من نُعْمَاكا

يا أيُّها الإنسانُ مهلًا واتَّئِدْ ... واشكُر لربِّك فضلَ ما أوْلاكا

أفإنْ هَدَاك بعِلْمِه لعَجِيبةٍ ... تَزْوَرُّ عنه ويَنْثَنِي عِطْفاكا

قلْ للطبيبِ تخطَّفَتْه يدُ الرَّدَى   يا شَافِيَ الأمْراضِ من أرداكا؟

قلْ للمريضِ نَجَا وعُوفي بعدما   عَجَزَتْ فنونُ الطِبِّ، من عَافَاكا؟

قل للصحيحِ يموتُ لا من علةٍ   من بالمنايا يا صحيحُ دَهَاكا؟

قلْ للجنينِ يعيشُ معزولاً بلا   راعٍ ومرعًى ما الذي يَرْعَاكا؟

قل للوليدِ بكَى وأجهَشَ بالبُكا   عند الولادةِ ما الذي أبكاكا؟

وإذا تَرَى الثُّعبانَ ينفثُ سُمَّهُ   فاسألْه مَن ذا بالسُّمومِ حشَاكا؟

واسألْه كيف تعيشُ يا ثعبانُ أو   تَحْيَا وهذا السُّمُّ يملأُ فاكا؟

واسألِ بطونَ النحلِ كيفَ تَقاطَرَتْ   شَهْدًا وقل للشَّهْدِ من حَلَّاكا؟

بل سَائِلْ اللبنَ المصَفَّى كان بيـ   ـن دمٍ وفَرْثٍ ما الذي صَفَّاكا؟

وإذا رأيتَ الحيَّ   ثَنَايا مَيِّتٍ فاسْأَلْه

يخرجُ مِن من أحْيَاكا؟

قلْ للهَوَاءِ تحسُّه الأيدي ويخـ ـفى عن عيونِ الناسِ من أخفَاكا؟

وإذا رأيتَ البدَر يَسْري ناشرًا أنوارَه فاسأَلْه من أسْرَاكا؟

وإذا رأيتَ النخْلَ مشقوقَ النَّوَى فَاسْأَله مَن يا نخلُ شقَّ نَوَاكا؟

وإذا رأيتَ النارَ شبَّ لهيبُها فَاسْأَل لهيبَ النارِ من أورَاكا؟

وإذا ترى الجبلَ الأشَمَّ مناطِحًا قِمَمَ السَّحَاب فَسَلْه من أرسَاكا؟

وإذا تَرى صَخْرًا تفجَّر بالمياهِ فسَلْه مِن بالماءِ شَقَّ صَفاكا؟

وإذا رأيتَ النهرَ بالعذبِ الزُّلالِ جَرَى فسَلْه مَن الذي أجْرَاكا؟

وإذا رأيتَ البحرَ بالملحِ الأُجَاجِ طَغَى فسَلْه من الذي أطْغَاكا؟

وإذا رأيتَ الليلَ يغْشَى داجِيًا فاسْأَلْه مَن يا ليلُ حَاكَ دُجَاكا؟

وإذا رأيت الصُّبْحَ يُسْفِرُ ضَاحِيًا فاسأله مَن يا صبحُ صاغَ ضُحَاكا؟

هذي العجائبُ طالما أخَذَتْ بها عيناكَ وانفَتَحَتْ بها أذنَاكا

واللهُ في كلِّ العَجَائِبِ مبدعٌ إن لم تكُنْ لِتراهُ فهو يَرَاكا

يا أيُّها الإنسانُ مهلًا مالذي بالله جَلّ جَلَالُه أغْرَاكا

فاسجُدْ لمولاك القديرِ فإنّما لا بدَّ يومًا تَنْتَهي دنياكا

وتكونُ في يومِ القيامةِ ماثلًا تُجْزَى بما قَدْ قدَّمَتْه يَدَاكا[1]

* * *

1 (?) الله أهل الثناء والمجد (ص:545-550).

58- يسبحُك الخلقُ في كلِّ آن

الدكتورة عاتكة الخزرجية[1]

يسبحُك الخلقُ في كلِّ آنٍ ... ويَعْنو لهيبَتِك القانِتون

ويَسْأَلُك الرحمَةَ الأتقِيَا ... ء ويأوي إلى ظِلِّك المذنبون

وتُحنى الجباهُ لعزِّ الإلهِ ... ويخضَعُ للأكبرِ الكابرون!

تباركتَ سُبِّحْتَ يا ذا الجلا ... لِ ويا من إليه غدًا يَنْسِلُون

ويا مجريَ الفُلْكَ فوقَ البحا ... رِ ومن باطنِ الصَّخْر ثجَّ العُيُون

ويا مُجري الشمسَ في أُفْقِها ... وكلٌّ على فَلَكٍ يَسْبَحُون

تباركتَ كيف سَلَخْتَ النها ... رَ من الليلِ كيف مَسَخْتَ القرون؟

وكيف بَرَيتَهُمُ من رُغا ... م وكلٌّ إلى أجلٍ سائرون؟

وَسَرَّيْتَ بينهُمُ بالحِما ... م ورَوَّضْتَ فيهم جِماحَ الحَرون[1]

1 (?) تسبيح ومناجاة وثناء - حسن موسى الشريف (ص:132-134).

تباركت كيف قسَمْتَ الجُدو[1] ... د وكيف يُقال بها العاثرون

وسعتَ بحِلْمِك طيشَ الجَهُو ... ل وغيَّ الكفورِ ولُؤْمَ الخؤُون

ولم توصِدِ البابَ دونَ الجَمُو ... د ولا دونَ ما أمَّل التَّائبون

حكمتَ فأقسطْتَ في العالمين ... وبالعَدْلِ فليحْكُم الحَاكِمون

فنارُك يَصْلَى بها الكافرون ... وجناتُ عَدْنٍ بها المؤمنون

تباركتَ يا ربِّ هذا الوُجُود ... ومن باسمِه سبَّح العالمون

ويا موقِدَ النارِ من أخضرٍ ... ومُعْطِي مِنَ الأرضِ ما يشتَهون

ويا مخرجَ الحيِّ من ميتٍ ... ومن قال للشيءِ كُنْ كيْ يكون

تباركْتَ يا فاطرَ الكائناتِ ... ومن هُمْ إليه غدًا يَنْسِلون

---

1 (?) الحرون: المكابر والمعاند.

1 (?) الجدود: الحظوظ.

فزعتُ لبابِك أرجو حِمىً — لضَعْفي فأنتَ حِمايَ المصُون

عبادُك يا ربِّ ضَلّوا السبيلَ — وحَارَ الدليلُ فما يهتَدون

تَشَامَخَ في أرضِك الأدنياءُ — فأبانَ عن غَيِّهم ينتهُون

وجَارتْ بأحكامِها الأقوياءُ — فَسِيمَ الضعيفُ عذابًا وهُون

ولم يُعطِ من مالِكَ الأغنياءُ — وراحوا على شُحِّهم يَحْرِصُون

ولم يبقَ في الناسِ معنى الحياءِ — فأمسُوا بآثامِهم يفخَرون

وضجَّتْ مواخِيرُهم بالحياةِ — وباتَتْ محاريبُهم في سُكون!

عِبَادُك يا ربّ ضَلّوا السبيلَ — فأين الدليلُ؟ عَسَى يهتدون

أخافُ عليهم وأرجُو لهم — فغفرًا لهم إنهم لا يعُون!

وأنت اللطيفُ الرؤوفُ الرحيمُ — وأنت الرفيقُ الشفيقُ الحنون

* * *

59- يا مجيب السائلين

عبد الرحمن حبنكة

ربِّ إني قدْ سألتُك يا مُجيبَ السَّائلينْ

لم يَخِبْ دَاعِكَ ربِّي وهو يدعُو بيقِينْ

إنَّني أدْعُوكَ يا اللهُ مَعْ إخلاصِ دِينْ

***

ربِّ إني قد سألتُكْ إذ تُحِبُّ السَّائلينْ

بدُعائي قد عبَدتُكْ إذ تُحِبُّ العابِدينْ

أنتَ أولَى بِيَ مِنِّي فأعِنّي يا مُعينْ

أنتَ بي أعلَمُ مِنِّي أنتَ خيرُ الأكرمينْ

فاصْطَنِعْنِي لكَ يا ربِّي اصطِنَاعَ الأقربينْ

واتَّخِذْني لكَ ضمنَ الصّالحِين الطاهِرينْ

وبفضلٍ منكَ فارفَعْنِي لأوجِ المُحسِنينْ

أنت رَبِّي في تصَاريفِكَ خَيرُ الأحْكَمِينْ

ورجَائي باستجَابَاتِكَ لي حقُّ اليقينْ

لستُ أخشى ردَّ سُؤلي ولكَ الوَعدُ المتينْ

أنا يا ربِّي بألطافِكَ في حِصْنٍ حَصِينْ

فاقضِ لي الخيرَ وأكرمِني بسُلطَانٍ مكينْ

تنصُرُ الحقَّ بهِ والخيرَ بينَ العالمينْ

وبهِ تنصُرُ قُرآ نَكَ ذا النُّورِ المُبينْ

تنصرُ الدِّينَ الذي جَا ءَ بِهِ الدّاعي الأمِينْ

أحمدُ المُختارُ خيرُ الخلقِ خيرُ المُرسَلينْ

وبِهِ تنصُرُ في الدُّ نيا جُمُوعَ المؤمنينْ

وبِهِ تهزِمُ يا ربِّي حُشُودَ الكَافِرينْ

ربِّ واجعلنِي إمامًا للهُداةِ المتَّقينْ

* * *

ربِّي إنِّي قد سألتُكَ يا مُجيبَ السَّائلينْ

بدُعائِي قد عبَدتُكَ إذ تُحِبُّ العابِدينْ (1)

* * *

(1) (?) ديوان ترنيمات إسلامية (ص:58-59).

60- كتاب الكون

خير الدين وانلي

كم في كتابِ الكونِ من عِبرٍ ... لأولي النُّهي والبحْثِ والنَّظرِ

في الأرضِ في الآفاقِ قاطبةً ... في النفسِ في الأصواتِ في الصُّورِ

في ذرةٍ عَمْياءَ هائجةٍ ... في الشمسِ ذاتِ الوهْجِ والشَّررِ

في النَّجْمِ في الأفلاكِ سابحةً ... في الشُّهْبِ ذاتِ الخطفِ للبَصَرِ

في الزهرةِ الأخاذِ رونقُها ... في الطيرِ صدّاحًا على الشّجَرِ

في البحرِ والأمواجُ صاخبةٌ ... تعلو تَرومُ تَنَاولَ القمَرِ

في الراسِياتِ الشمِّ عمَّمَها ... ثلجُ الشتاءَ يسيلُ في النّهرِ

في السَّفْحِ والأعشابُ مائسةٌ[1] ... ترنو إلى الوديانِ في خَفَرِ

* * *

ماذا أقولُ لغافلٍ ... عن كلِّ ما في

---

1 (?) مائسة: مائلة متبخترة.

لاهٍ ... الكونِ من عِبَرِ

أيظنُّ خلقَ الكونِ عن عَبَثٍ ... كلَّا فخلقُ الكونِ عن قَدَرِ

ما فيهِ من وَهَنٍ ولا خَللٍ ... ما فيه من واهٍ ومُنفطِرِ

الشمسُ في الأفلاكِ جاريةٌ ... كالأرضِ ذات الماءِ والمَدَرِ[1]

لا الليلُ يسبقُ لا النهارُ ولا ... تُفني البحارُ رواسِيَ الجُزُرِ

النبتَةُ الخَضْراءُ ضاربةٌ ... أطْنَابَها في الصَّخْرِ والحَجَرِ

والزهرةُ البيضاءُ فائحةٌ ... والجِذْرُ بين الطينِ والكَدَرِ

والغيمةُ السوداءُ مُثْقَلَةٌ ... تجْري بأطنابٍ من المَطَرِ

والهِرةُ السَّمراءُ حانيةٌ ... فوق الصِّغارِ العُمْي عن خَطَرِ

الكونُ متَّسِقٌ ومنتظِمٌ ... كم فيهِ من ذِكْرَى لمُعتَبرِ

سبحانَ من باللُّطْفِ ... أعظِمْ بقيومٍ

---

1 (?) المَدَر: الطين.

قدَّرَهُ **ومُقتَدِرِ**[1]

* * *

1 (**?**) ديوان النصر للإسلام (ص:134).

61- إلهي أنت تعلم كيف حالي

عبد الرحيم البرعي

أغيبُ وذُو اللَّطائفِ لا يغيبُ — وأرجُوهُ رجَاءً لا يخيبُ

وأسألهُ السَّلامةَ من زمانٍ — بُليتُ بهِ نوائبُه تُشيبُ

وأُنزِلُ حَاجتي في كلِّ حالٍ — إلى من تَطمئِنُّ بهِ القلوبُ

ولا أرجُو سواهُ إذا دَهَاني — زمانُ الجَوْرِ والجارُ المُريبُ

فكم للهِ من تدبيرِ أمرٍ — طوتهُ عنِ المُشاهدَةِ الغيُوبُ

وكم في الغيبِ من تيسير عُسرٍ — ومن تفريجِ نائبةٍ تنُوبُ

ومن كرمٍ ومن لطفٍ خفيٍّ — ومن فرجٍ تزُولُ بهِ الكروبُ

وما لي غيرُ بابِ اللهِ بابٌ — ولا مولى سواهُ ولا حبيبُ

كريمٌ مُنعمٌ برٌّ لطيفٌ — جميلُ السّترِ للدَّاعي مُجيبُ

حليمٌ لا يُعاجِلُ بالخَطايا رحيمٌ غيثُ رحمتِهِ يَصُوبُ

فيا ملكَ المُلوكِ أقِلْ عِثاري فإني عنكَ أَنْأَتْنِي الذُنوبُ

وأمرضَنِي الهَوى لهوانِ حظِّي ولكن ليسَ غيرَكَ لي طبيبُ

وعَانَدَني الزمانُ وعِيلَ صَبري[1] وضاقَ بعبدِكَ البلدُ الرَّحيبُ

فآمِن رَوْعَتي واكبِتْ حسُودًا يُعاملُني الصَّدَاقةَ وهو ذيبُ

وآنِسْني بأولادِي وأهْلي فقد يَسْتَوْحِشُ الرجلُ الغريبُ

ولِي شَجَنٌ بأطفالٍ صِغارٍ أكادُ إذا ذكرتُهُم أذوبُ

ولكني نَبَذْتُ زِمَامَ أمْرِي لِمن تدبيرُهُ فينا عَجيبُ

هو الرحمنُ حَوْلي واعْتِصَامي بِهِ وإليهِ مُبتَهِلًا أنيبُ

إلهي أنتَ تعلمُ كيفَ حالي فهل يا سيِّدي فرجٌ قريبُ

---

[1] (?) عيل صبري: غُلِب.

* * *

62- حبيبي أنت رحمن

يحيى بن معاذ

أنا إن تُبتُ منّاني وإن أذنبتُ رجّاني

وإن أدبَرْتُ نادَاني وإن أقبلْتُ أدنَاني

وإن أحْبَبْتُ والاني وإن أخْلَصْتُ نَاجَاني

وإنْ قَصَّرتُ عافاني وإن أَحْسَنْتُ جازَاني

حبيبي أنتَ رَحْمَاني أَلَا اصرِفْ عني أحْزَاني

إليك الشَّوقُ من قَلْبي عَلَى سرِّي وإعْلاني

فيا أكرَمَ من يُرجَى وأنتَ قديمُ إحسانِ

وما كُنتَ على هذا - إلهَ النَّاسِ - تنسَاني

لَدَى الدُّنيا وفي العُقبَى على ما كانَ من شَاني[1]

[1] (?) الحلية، (10/62).

* * *

63- ربِّ سبحانك

محمود حسن إسماعيل

ربِّ سُبحانكَ في أعلى عُلاك

كلَّما ندعوكَ.. تُعطينا يدَاك

خَيَّمَ اللِّيلُ، فنادَيتُ.. إلهي

فإذَا الكونُ ضياءْ

وجرَى الدمعُ فناديتُ.. إلهي

فإذا الدُّنيا صَفاءْ

والرِّضا يغمُرُ قَلْبي وشِفاهي

وتُناجِيني السَّماءْ

ربِّ سبحانكَ في أعلى عُلاك

كلَّمَا ندعُوكَ تُعطينا يدَاك

كلَّمَا تُشرِقُ شمسٌ أو تغيبْ

يملأُ القلبَ ضِيَاك

وإذا ضَاقَتْ من اليأسِ القُلُوب

يغمُرُ الرُّوحَ هُدَاك

وإذا ملَّتْ من العَفوِ الذُّنوب

صَافَحَ النَّفسَ رِضَاك

ربِّ سُبحانكَ في أعْلى عُلاك

كُلَّما ندعُوك.. تعُطينا يدَاك [1]

* * *

64- يا أرحم الرحماء

محمد الحامد

يا أرحم الرُّحماءِ ما لي حيلةٌ **إلا الرُّجوعُ إليكَ يا ربَّاهُ**

---

1 (**?**) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل (1783/4-1784).

أنا قد أسأتُ، وأنتَ ربٌّ غافرٌ **غِوِثَاهُ ممَّا قد عَرَا غَوْثَاهُ**

يا سِيِّدي يا من إليهِ شِكَايتي **أوَّاهُ ممَّا نابني أوَّاهُ**

أدرِكْ بلُطْفِك نادمًا ذا حسرةٍ **مُسْتَغْفرًا مما جَنَتْهُ يَدَاهُ**

ما للضَّعيفِ إذا ألمَّت كربةٌ **إلا الدُّعاء: اللهُ ياللهُ**

يا ربِّ نفِّسٍ عن عُبيدِكَ كربةً **وأرِحْهُ مما قد عنَا ودَهَاهُ**[1]

* * *

65- تأملات إيمانية

عبد الرحمن حبنكة

لستُ أدْري ما حَيَاتِي **لا. ولا ما هُو آتِ**

أنا مِن أينَ؟ وممَّن **قبسِتْ نفسِي صِفَاتي؟**

أنا لا أملكُ نفسِي **في انتقالٍ أو ثَبَاتِ**

---

[1] (**?**) مجلة حضارة الإسلام، العدد 3، (ص:83)، من السنة العاشرة، من جمادي الأولى سنة 1389هـ، وانظر: رائق الشهد (ص:222-223).

إن ربًّا هو أعطَاني وجُودي وحَيَاتي

مثلما أعطَى جميعَ الكائناتِ الحادِثَاتِ

وهَداني أن أرَى زَادِي لما بعدَ المماتِ

خيرُ زادٍ لي تَقْوَاي وفِعْلُ الصَّالحاتِ

واعْتِرَافي بالذي أبدَعَنِي في الكائنَاتِ

قَد عَرَفْتُ اللهَ ربي حينما أدركْتُ ذاتي

أفَلَا أملأُ فِكرِي وفَمِي بالصَّلواتِ

ووجُودي وصِفَاتِي منهُ بعضُ النَّفحاتِ

إن شُكري يا إلهي لك يُعلي دَرَجَاتي

فلكَ الشُّكرُ على ما جُدتَ لي من أعْطِياتِ [2]

---

[2] (?) ديوان ترنيمات إسلامية (ص:129).

* * *

66- تبارك الله

خير الدين وانلي

تباركَ اللهُ كم في الكونِ من عَجَبٍ؟!

في البرِّ والبحرِ والأفلاكِ والشهُبِ

طيرٌ يُهاجرُ من أقصى الشمالِ إلى

أقصى الجنوبِ ولا يهتمُّ بالسَّغَبِ[1]

ويقطعُ السَّمكُ الشلالَ مُتجهًا

إلى ا لمنابعِ كي يفنَى من التعَبِ

وينشِرُ النملُ حبًّا كي يُجِففَه

ويصنعُ النحلُ شكلًا مُنتهى العجَبِ

ويحملُ (الكنغرُ) الأبناءَ يحفظُها

1 (?) السغب: الجوع.

في جيبِهِ سائرًا وَثْبًا
على الذَّنَبِ

ويرفَعُ القردُ أولادًا
على كَتِفٍ

ويزقِمُ[2] الطيرُ
أفراخًا ذَوِي زَغَبِ[3]

ويَجْأرُ الحوتُ في
الأعماقِ مبتهجًا

ويُنْقِذُ الصوتُ خَفَّاشًا
من العَطَبِ

ويَسْبَحُ البطُّ في
أعقابِ مَوْلِدِهِ

بلا مرانٍ وماءُ النهرِ
في صَخَبِ

وَيَلْقَمُ الثديَ
والعينانِ مُغْمَضَةٌ

هِرٌّ وليدٌ وما في
الثديِ من حَلَبِ

ويقفزُ المهرُ خلفَ
الأمِّ مرتَجِفًا

---

2 (?) يزقم: يلقم.

3 (?) الزغب: الريش الصغير.

ولم يزلْ عَظْمُه أوهَى
من القصَبِ

ويتبعُ الكلبُ ريحًا
غابَ صاحبُها

ويسمعُ الهرُّ همسَ
الفأرِ في الخِرَبِ

ويُبصرُ الصَّقرُ من
علْيائِهِ جُرُذًا

ويُمْسِكُ القنفذُ
الأفعَى من الذَّنَبِ

وينقرُ الطيرُ دودًا
غابَ في غصْنٍ

تحتَ اللّحَاءِ وما في
الغُصْنِ من ثُقُبِ

ويُمسِكُ البجَعُ
الأسماكَ سابحةً

ويُرسِلُ الأخطبوطُ
الرجْلَ عن جُنْبِ

وينفخُ الثعلبُ
الأحشاءَ مرتميًا

حتى تُهاجِمَهُ الغِربانُ

عن كَثَبِ

ويلْسَعُ العَنْكبوتُ الجُعلَ في عُنقٍ

حتى يخدِّرَه تخديرَ مُرتَقِبِ

ويُمسِكُ الضَّبُّ غُصْنًا حين تدرِكهُ

أفعَى ليمنَعَ بلعَ الرأسِ كالذَّنَبِ

تباركَ اللهُ لا تُحصَى خلائِقُه

وكلُّ آلائِهِ تدعو إلى العَجَبِ[1]

* * *

67- ما شئت كان

الشافعي

ما شئتَ كانَ، وإن لم أشَأ **وما شِئْتُ إن لم تشأ لم يكُنْ**

خلقتَ العبادَ لما قد عَلِمتَ **ففي العلمِ يجري الفَتَى والمُسِنْ**

---

1 (?) ديوان النصر للإسلام (ص:136).

فمنهُم شقيٌّ، ومنهم سعيدٌ | **ومنهُم قبِيحٌ، ومنهم حَسَنْ**

على ذا مننتَ، وهذا خذلتَ، | **وذاكَ أعنتَ، وذا لم تُعنْ[2]**

* * *

[2] (?) ديوان الشافعي (ص:118).

68- يا كافل الرزق

مصطفى عكرمة

قدَّرتَ أرزاقَ كلِّ الخلقِ من عَدمِ

وزدتَ في الرِّزقِ يا ذا الجودِ والكرمِ

أبوابُ جودِكَ ما تنفكُّ مشرعَةً

حتى طَفَوْنا على بَحْرٍ من النِّعمِ

هذي الملايينُ مما قد خَلَقتَ تَرى

من حَوْلها الرِّزقَ موفورًا على أُمَمِ

فالنَّملُ، والطَّيْرُ.. والأسماكُ أجمعُها

من عاش في النُّورِ، أو من عاشَ في الظُّلَمِ

والآدميونَ نالوا فوقَ ما سألوا

عَبرَ الزَّمَانِ.. كأنَّ الكُلَّ في حُلُمِ

وكلُّ ذي مُهجةٍ في الأرضِ زاحفةٍ

أو غيرِ زاحفةٍ تَسْعَى على قَدَمِ

تَسْعَى.. وللسَعي أوقاتٌ محدَّدةٌ

ورزقُها غيرُ محدودٍ ومُنقسمِ

لم ينفَدِ الرِّزقُ يومًا رَغْمَ كثرَتِها

وربَّما قد قَضَتْ يومًا من التُّخَمِ

آلافُ آلافِ أعوامٍ وما بَرِحَت

كلُّ الخلائِقِ تَلْقَى غايةَ الكرمِ

لا عقلُها كافِلٌ أرزاقَها أبدًا

ولا قُواها تُنجِّيها من الألمِ

يا ربِّ أنتَ الذِي

أعطيتَها كَرمًا

وأنتَ من قدَّر الأرزاقَ من قِدَمِ

وأنت يا ربِّ هاديها.. وكافِلُها

وأنت كافِلُ رزقِ الكُلِّ من عَدَمِ

وأنتَ تعلمُ عنها فوقَ ما عَلِمَتْ

عن نَفْسِها.. وهي كالذَّراتِ في الرَّحِمِ

وأنتَ وحدَكَ من يُرجَى.. ومن يدُهُ

تُعطي.. فتُغنِي وتكفِي سائِرَ الأُمَّمِ

فامنُن عليَّ برزقٍ وافرٍ أبدًا

واجعَلْهُ ربِّي حَلالًا سائغًا بِفَمِي

ورُدَّ يا ربِّ للإسلام عزَّتهُ..

وابعث بنا من يُصحِّينا من الرِّمَمِ

حتى تعودَ إلى ما كان أُمَّتُنا

بِنَهْجِكَ الحقِّ تَهْدِي أقوَمَ القِيَمِ[1]

1 (?) حتى ترضى (ص:62-64).

69- إليك جميع الأمر

ابنِ الوزير الصنعاني[1]

إليكَ جميعُ الأمرِ يُرْجَعُ كلُّهُ ومنكَ الأمَاني تُرتَجَى والبشائرُ

وبعضُ أياديكَ العوالمُ والذِي بهَا والبحارُ والثقالُ المواَطِرُ

ومنكَ العطَا والمنعُ والأمرُ كلُّهُ إليكَ ومَا في الكونِ غيرُكَ قادرُ

فمنْ شاءَ فليمنعْ سواكَ فلا أذًى إذَا يَبِسَ الضَّحْضَاحُ فالبحرُ زاخرُ

وعفْوُكَ يا ربَّ الخلائقِ واسعٌ تضيعُ الخطَايا عندهُ والكبائرُ

فلو يعلمُ الخلقُ الذي أنتَ أهلُهُ من العفوِ لم يقنُطْ منَ العفوِ فاجرُ

ورحمتُكَ العظمَى كُتبتَ بسَبقِهَا كتابًا كريمًا فهوَ عندَكَ حاضرُ

وأنت تحبُّ الحمدَ والمدْحَ والثَّنا ووصفُ محبِّ الحمدِ والمدحِ ظاهِرُ

فوعدُكَ أولَى من وعيدِكَ بالوَفا لذاكَ وحظُّ الفضْلِ للعدلِ قاهرُ

---

1 (?) رائق الشهد (ص:162-164).

وقد جاءت البُّشرى وصَحَّتْ بأننَا لَنَا ظنُّنا فالظنُّ أنَّك غافرُ

ولي حينَ يشتدُّ الوعِيدُ ذخيرَةٌ سريرةُ حبٍّ يومَ تُبلى السَّرائرُ

تجَلى هُمومي في فُؤادِي قرَارَها وأرجُو بقاهَا يومَ تَفْنى الذَّخائرُ

وديعتُكم أن تحفظُوها فإنهَا صَنيعتُكُم والجودُ بالحفظِ آمِرُ

* * *

70- الكون البديع

خير الدين وانلي

اقرأْ سطورًا من كتا … بِ الكونِ مِنْ دنيا الجمالْ
فالحسنُ فيهِ كامنٌ … والحسنُ مرآةُ الخيالْ
في الزهرةِ الخالصةِ الطُّهـ … ـرِ وفي الماءِ الزلالْ
في الغُصنِ يرنُو للمرو … جِ نديةً مثلَ اللآلْ
في السَّلْسَلِ العذبِ النميـ … ـرِ تحفُّه خُضْرُ التلالْ
في الموجِ يغشى الأفقَ تعـ … ـلوه نُسَيْماتُ الشّمالْ
عرِّجْ على النبعِ الوقو … رِ وسلهُ يُنبئْكَ العُجابْ
واسألْ زُرافاتِ الطيو … رِ عن الفضَاءِ عنِ السَّحابْ
واستَلْهِمِ النجمَ النشيـ … ـدَ الشَّجِيَّاتِ العِذابْ
كمْ منَ جمالٍ … بِ الكونِ

في رحا	والكونُ كتابْ
سبحانكَ اللهمَّ يا	ربَّ المحاسِنِ والجَمالْ
أنتِ الجميلُ خَلَقْتَ هـ	ـذا الكونَ في أبهَى مِثَال
لا يستطيعُ العقلُ إحصا	ءَ المحامِدِ والكمالْ
لا تُدُركُ الأفهامُ سرَّ	الخلق أو كُنْهَ الزَّوال[1]

1 (?) ديوان النصر للإسلام (ص:137).

71- يا ربنا لك الصلاة

محمود حسن إسماعيل

يا ربَّنا لكَ الصَّلاةْ

والحمدُ من كلِّ الحيَاةْ

من زهرةٍ على الغصُونْ **لَهفَانةٍ إلى نداكْ**

منْ دَمْعَةٍ علَى الجفُونْ **ظمآنةٍ إلى رضَاكْ**

منْ تائبٍ إلى حِما **كَ هلَّلتْ خُطَاهْ**

يا ربَّنا لكَ الصَّلاةْ

والحمدُ من كلِّ الحيَاةْ

يا راحمًا للتَّائبينْ **للعَفْوِ لا نرجُو سِوَاكْ**

يا مَوئلًا للحَائرينْ **طُوبى لمَن يلقى هُدَاكْ**

يا غوثَ كلِّ العالمين **حمدًا لما تُعطِي يداكْ**

بكُلِّ ما تحيَا الحياةُ نعبُدُك

وكلُّ ما فوقَ الثَّرَى يُوحِّدُك

وكلُّنا ندعُوكَ يا ربَّاهْ

يا ربَّنا لكَ الصَّلاةْ

والحمدُ منْ كُلِّ الحياةْ![1]

1 (**?**) الأعمال الكاملة لمحمود حسـن إسـماعيل ج(1781-4/1779)، انظر: رائق الشهد (ص: 213-214).

72- يا ربِّ إني مذنبٌ أواهُ

عبد الرحمن حبنكة

ناديتُ يا مولايَ يا اللهُ
يا ربِّ إنِّي مُذنبٌ أواهُ

أرجُو عطاياكَ الحسانَ وإنَّ لي
قلبًا دعاكَ فلا تَرُدَّ ندَاهُ

ما في العوالمِ من يلبي داعيًا
إلاكَ يا مولايَ يا اللهُ

داءُ الفؤادِ غرورُهُ بلذاذةٍ
من عاجلِ الدنيَا وأنتَ دوَاهُ

فامسحْ برحمتكَ التي تجلُو بهَا
قلبي فيُشرقُ في السُّلوكِ سَنَاهُ

فأكونُ عبدكَ مثلمَا ترضَى لنَا
وأجِدُّ في إحسانِ ما تَرْضَاهُ

وأكونُ بالتوفيقِ منكَ مُحصَّنًا
وينالُ قلبي من رِضاكَ مُناهُ

وأعيشُ في سَعْدِ الحياةِ وطيبِها
وأصيرُ حيثُ يصيرُ من ترعاهُ

ويضُمُّني الفردوسُ في أكنافهِ
مع من وهبتَ من الخِيَارِ عُلاهُ

مولاي أنتَ، ولا
من كنتَ يا ربَّ

يهونُ بدهرِهِ الورَى مولاهُ[1]

* * *

1 (**?**) ترنيمات إسلامية (ص:146).

73- يا سروري

رابعة العدوية

يا سُروري ومُنْيَتِي وعِمادي

وأَنِيسي وعُدَّتي ومُرَادي

أنتَ روحُ الفُؤادِ أنتَ رجائي

أنتَ لي مُؤنسي وشوقُكَ زادي

كم بدَتْ منَّةٌ وكمْ لكَ عندِي

من عَطَاءٍ ونعْمةٍ وأيَادِي

حُبُّكَ الآنَ بُغيتي ونَعيمي

وجَلَاءٌ لعينْ قلبي الصَّادي

ليسَ لي عنكَ ما حييتُ براحٌ

أنتَ منِّي مُمكَّنٌ في

الفؤادِ

إن تكن راضيًا عليَّ فإني

يا مُنى القلبِ قد بدا إسْعَادي

* * *

74- سبحان الله

أبو العتاهية

سبحانَ من يُعطي المُنَى بخواطرٍ — في النفسِ لمْ ينطقْ بِهنَّ لسانُ

سبحانَ من لا شيءَ يحجُبُ علمَهُ — فالسرُّ أجمعُ عندهُ إعلانُ

سبحانَ من هوَ لا يزالُ مسبَّحًا — أبدًا وليسَ لغيرهِ السُّبحانُ

سبحانَ من تجرِي قضاياهُ على — ما شاءَ منهَا غائبٌ وعيَانُ

سبحانَ من هو لا يزالُ ورزقُهُ — للعالمينَ بهِ عليهِ ضَمانُ

سبحان من في ذِكرهِ طُرُقُ الرضَى — منهُ وفيهِ الرَّوحُ والرَّيحانُ

ملِكٌ عزيزٌ لا يُفارِقُ عزَّهُ — يُعصَى ويُرجَى عندهُ الغفرانُ

ملكٌ لهُ ظهرُ القضاءِ وبطنُهُ — لم تُبلِ جِدَّةَ مُلكِهِ الأزمَانُ

مَلِكٌ هو الملكُ الذي من حِلمِهِ — يُعصَى بحُسنِ بلائِهِ ويخانُ

يَبْلَي لِكُلِّ مسلَّطٍ سُلطانُهُ **واللهُ لا يبلَى لهُ سُلطانُ**

كم يَسْتَصِمُّ الغافلونَ وقد دُعُوا **وغدَا وراحَ عليهمِ الحدِثانُ**[1]

* * *

1 (**?**) رائق الشهد (ص:87).

75- أنا الفقير

ابن الوزير الصنعاني

إليكَ وجَّهتُ يا مولاي آمالي

فاسمَعْ دُعائي وارحَمْ ضَعْفَ أحوالي

أرجُوك مولاي لا نفسي ولا وَلدي

ولا صَديقي ولا أهْلي ولا مَالي

لَما عرفتُكَ لم أنظُرْ إلى أحدٍ

فلا الرعيةَ أرجُوها ولا والوالي

فلا تَكِلْني إلى من ليس يكلؤني

وكن كَفيلي فأنت الكافلُ الكالي[1]

ولتَسْقِني كأسَ حُبٍّ من وِدَادِكَ يا

1 (?) الكالي: الحافظ.

مولايَ فهو شرابٌ سَلْسَلٌ حالي

فلا وحقِّكَ ما للقلبِ من شغَفٍ

إلا بحبِّكَ فاشْرَحْ لي به بَالي

أنا الفقيرُ إلى مولايَ يَرْحمُني

إذا تقضَّى بهولِ الموتِ إمهالِي

أنا الفقيرُ إلى مولايَ يَرْحمُني

في بطنِ لحدٍ وَحِيشٍ مُظلمٍ خالِي

هُناكَ لحمِي لِدُودِ القبرِ فاكِهةٌ

والعظمُ منِّي رمِيمٌ في الثَّرى بالي

أنا الفقيرُ إلى مولايَ يرْحَمُني

يومَ القيامةِ من عُنفٍ وأهوالِ

وأنْ أكونَ بعيدًا من تعطُّفِهِ

مقطِّعًا عنهُ في الآبادِ آمالِي

أنا الفقيرُ إلى مولايَ يحشُرني

في زُمرةِ المصطفىَ المختارِ والآلِ

صلَّى الإلهُ على أرواحهِم أبدًا

ضَعْفًا على قدرِ زخَّارٍ وهطَّالِ

* * *

76- دليل الحائرين[1]

يا منْ إليهِ جميعُ الخلقِ يبتهلوا

وكلُّ حيٍّ على رُحماهُ يتَّكِلُ

يا من نأَى فرأَى ما في القلوبِ ومَا

تحتَ الثَّرى وحجابُ الليلِ مُنْسَدِلُ

يا من دنا فنأى عن أن يُحيطَ بهِ ال

أفكارُ طُرًّا أو الأوهامُ والعِلَلُ

أنتَ المنادَى بهِ في كلِّ حادثةٍ

وأنتَ ملْجَأُ من ضاقتْ بهِ السُّبُلُ

أنتَ الغياثُ لمنْ سُدَّت مَذَاهبُهُ

1 (**?**) بستان الواعظين (ص:153-154).

أنتَ الدليلُ لمنْ ضاقتْ به الحيلُ

إنَّا قَصَدْناكَ والآمالُ واقعَةٌ

عليكَ والكلُّ ملهُوفٌ ومبتَهِلُ

فإن غفرتَ فعنْ طَوْلٍ وعن كرمٍ

وإن سَطَوْتَ فأنتَ الحاكِمُ العَدِلُ

* * *

77- نحن العبيد وأنت الملك[1]

يا منْ يُغيثُ الورَى من بعدِ ما قَنَطوا … ارحَمْ عبادًا أكُفَّ الفقرِ قد بَسَطوا

عودتهُم بسطَ أرزاقٍ بلا سَبَبٍ … سوى جميلِ رجاءٍ نَحْوَهُ انبسَطوا

وعُدْتَ بالفضلِ في وردٍ وفي صَدْرٍ … بالجودِ إن أقسَطوا والحلمِ إن قَسَطوا

عوارفُ ارتبطَتْ شُمُّ الأنوافِ بها … وكلُّ صعبٍ بقيدِ الجودِ يرتبطُ

يا من تعرَّفَ بالمعروفِ فاعترفَتْ … بجَمِّ إنعامِهِ الأطرافُ والوسَطُ

وعالمًا بخفيَّاتِ الأمورِ فلا … وهمٌ يجوزُ عليه لا ولا غَلَطُ

عبدٌ فقيرٌ ببابِ الجودِ مُنكَسِرٌ … من شأنِهِ أن يوافي حينَ ينضغِطُ

مهمَا أتَى ليمدَّ الكفَّ أخجَلهُ … قبائحٌ وخطايَا أمرُها فرَطُ

يا واسعًا ضاقَ خطوُ الخلقِ عن نِعَمٍ … منهُ إذا خَطَبُوا في شُكرِها خبطوا

---

1 (?) موارد الظمآن لدروس الزمان (1/48).

وناشرًا بيدِ الإجْمالِ رحمتَهُ
فليسَ يلحَقُ منهُ مسرفًا قنَطُ

ارحمْ عبادًا بضنكِ العيشِ ما لهَمُوا
غيرُ الدُجنَّةِ لحُفٌ والثَّرى بُسُطُ

لكنَّهم من ذُرَى علياكَ في نَمَطٍ
سامٍ رفيعِ الذُرَى ما فوقَه نَمَطُ

ومن يكنْ بالذي يهواهُ مجتمعًا
فما يُبالي أقامَ الحيُّ أم شَحَطوا

نحنُ العبيدُ وأنتَ الملكُ ليسَ سوَى
وكلُّ شيءٍ يُرَجَّى بعدَ ذا شَطَطُ

* * *

78- صرفت إلى ربِّ الأنام مطالبي[1]

صرَفتُ إلى ربِّ الأنامِ مطالبي ... ووجهتُ وجهي نحْوَهُ ومآربيَ

إلى الملكِ الأعلى الذي ليسَ فوقَهُ ... مليكٌ يُرجَّى سيبهُ في المتاعبِ

إلى الصَّمَدِ البَرِّ الذي فاضَ جودُهُ ... وعمَّ الورَى طُرًّا بجزلِ المواهِبِ

مُقيلِي إذا زلَّت بي النعلُ عاثرًا ... وأسمحُ غفَّارٍ وأكرمُ واهبِ

فما زالَ يُوليني الجميلَ تلطُّفًا ... ويدفعُ عَنِّي من صُدورِ النَّوائبِ

ويرزُقُني طِفلًا وكهْلًا وقبلَهَا ... جنينًا ويَحْميني وبيَّ المكاسِبِ

إذا أغلقَ الأملاكُ دوني قصورَهُمْ ... ونهنَهَ[2] عن غِشيانهمْ زجرُ حاجِبِ

فَزِعتُ إلى بابِ المُهيمنِ طارقًا ... مُدلًّا أُنادي باسمِهِ غيرَ هائبِ

فلم أُلفِ حُجَّابًا ولم أخشَ مِنْعَةً ... ولو كانَ سُؤلي فوقَ هامِ الكواكِبِ

---

1 (?) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد (ص:121-122).

2 (?) نهنه: كفّ وزجر.

كريمٌ يُلبِّي عبدَهُ كلمَا دَعَا — **نهارًا وليلًا في الدُّجَى والغياهِبِ[1]**

سأسألهُ ما شئتُ إنَّ يمينَهُ — **تسحُّ دِفَاقًا باللُّهَى[2] والرَّغائبِ[3]**

فحسبي ربِّي في الهزاهزِ[4] ملجأً — **وحرزًا إذا خيفَتْ سهامُ النوائبِ**

---

1 (?) الغياهب: الظملة الشديدة.
2 (?) اللهى: العطايا.
3 (?) الرغائب: العطاء الكثير.
4 (?) الهزاهز: الفتن.

79- عفوك اللهم[1]

يا من يُجيبُ دُعا المضطرِّ في الظُلَمِ **يا كاشف الضُّرِّ والبلوَى مع السَّقَمِ**

قد نامَ وفدكَ حولَ البيتِ وانتبهُوا **وأنتِ عينُكَ يا قيومُ لم تَنَمِ**

هب لي بجودِكَ فضلَ العفوِ عن جُرمي **يا من إليه أشارَ الخلقُ في الحرَمِ**

إن كانَ عَفْوُكَ لا يُدركهُ ذو سَرَفٍ **فمن يجودُ على العاصِينَ بالكَرَمِ**

* * *

80- يا عظيم النعم[2]

محمود سامي البارودي

لكَ الحمدُ، إنَّ الخيرَ منك، وإنني **لصنعكَ يا ربَّ السَّماواتِ شاكرُ**

فأنتَ الذي أوليتَني كلَّ نعمةٍ **وهذَّبتني حتَّى اصطفَتني العشَائرُ**

فقرِّبْ ليَ الخيرَ الذي أنَا راغِبٌ **وباعِدني الشرَّ الذي أنا حاذِرُ**

فليسَ لمنْ تُقصيهِ **وليسَ لمنء تُدنيهِ**

---

1 (?) كتاب التوابين (ص:149).

2 (?) ديوان البارودي (2/493) الموسوعة الشاملة.

في النَّاسِ نافعٌ **في النَّاسِ ضائرُ**

ولا لامرئٍ ألهمتَهُ الرُّشدَ خاذِلٌ **ولا لامرئٍ أَوْرَدْتَهُ الغَيَّ ناصِرُ**

فإن أدركتْ نفسي المرامَ ولم أقُمْ **مقامَ ضليعٍ بالذي أنت آمرُ**

فلا لاح لي في ذِرْوةِ المجدِ كوكبٌ **ولا طارَ لي في قُنَّةِ العزِّ طائرُ**

* * *

81- إليك أفرُّ من زللي

المقري

إليكَ أفرُّ من زللِي ... فرارَ الخائفِ الخجِلِ

فخُذْ بيدَيْ غريقٍ في ... بحارِ القَوْلِ والعملِ

وهبْ لي منكَ عارفةً ... تُعَرّفُ ما تنكَّرَ لِي

وتهدِينِي إلى رَشَدي ... وتمنعُني من الزَّللِ

وتحمِلُني على سَنَنٍ ... يؤمِّنُني من الوجَلِ

فأنتَ دليلُ من عَمِيَتْ ... عليهِ مسالِكُ السُّبُلِ

على جدوَاكَ معتَمَدي ... فأنقِذني من الدَّخَلِ

وألحقني بجنّاتٍ ... لدَى درجاتِهَا الأُوَلِ

فأنتَ ملاذُ مُعتَصمٍ ... وأنتَ عمادُ مُتَّكلِ[1]

* * *

[1] (**?**) نفح الطيب، (1/48) الموسوعة الشاملة، وقد حذفنا ما في القصيدة من توسل غير مشروع.

82- رأيتُ اللهَ[1]

عائض بن عبد الله القرني

إلهَ الكونِ يُسْعِدُني رِضَاكا — وما لي خالقٌ أبدًا سِواكا

تراكَ إذا رأيتُ الكوْنَ عَيْنِي — وأنتَ اللهُ أعظمُ أن نَرَاكا

إذا ما الفجْرُ في الآفاقِ حَاكا — وإذ بالطَلِّ مُنْسَكِبٌ تَبَاكى

وإذا بالماءِ في الأوهَادِ يَسْرِي — يُتَمْتِمُ عن مَعَانٍ لستُ أدري

عساهُ يقولُ للرحمَنِ شُكرًا — فأنتَ اللهُ قد أجريتَ نَهْري

وتنشقُّ الزُّهورُ بكلِّ لونِ — تقولُ لنا أيَا قَوْمِي دعُوني

أُسبحُ للذي بالماءِ اسَرى — إليَّ وكُنتُ في هَوْلِ المنُونِ

وهبَّ الطَّيرُ للأرْزَاقِ صُبحَا — تُسبِّحُ وهيَ في الآفاقِ سَبْحَا

ولولا ربُّها سَقَطَتْ خِفَافًا — وأهوَى نحوَها الصَّيادُ ذبحَا

---

[1] (?) ديوان لحن الخلود (ص:44-45).

إلهي في جميعِ الكوْنِ شاهدْ بأنكَ موجدٌ للخَلْقِ واحدْ

ومن جَحَدَ الحقيقةَ كذّبوه كذبتَ لقد خَسِرتَ أيا مُعاندْ

فمُدَّ الطَّرفَ في لَوْحِ السَّماءِ وسائِلْ وردَةُ بعدَ انتِهاءِ

أحَطْتَ بكُنهِهِ أم لمَ تُحِطهُ فأنتَ اليومَ في دورِ الغَبَاءِ

تَرَى قمرًا فَقِفْ حتّى تُفكِّرْ ترى الرحمنَ ممَّا رُمتَ أكبرْ

فَمنْ أينَ الشُّعاعُ فلستُ أدْرِي وكيفَ البدرُ في الخضْرا تكوَّر

وطَلَّ الفَجْرُ في الدُّنيا بشمسٍ أبِكْرٌ هذه أم بنتُ أمسِ

فينقَشِعُ الظَّلامُ ولم يُطقْها يَكِرُّ بجُنْدِهِ في حينِ نُمْسِي

رأيتُكَ خالِقي في كلِّ معنًى كلامُكَ بين أظهرِنا سمِعْنا

ولَوْلا أنتَ ما كُنَّا وكانتْ نفوسٌ في أكنَّتِنا اجتَمَعْنا

لقد فجَّرْتَ ينبوعَ المعانِي
فراعَ الكُفرُ من سِحْرِ المثاني

كتبتَ لكَ البقاءَ فدُمتَ حيًّا
قديرًا مالِكًا والكُلُّ فانِي

أأُذري الدَّمعَ أم تَكْفِي شُجُوني
لغيرِ هواكَ ما سَالَتْ عُيوني

فمن نرجُو سِوَاكَ ومن سَيَرْحَمْ
وقدِ أَسْلَفْتُ ذنبًا حالَ دُوني

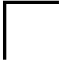
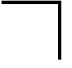
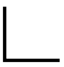
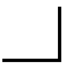
نظرتُ إليكَ من جُنحِ الغُيوبِ
وقد كثُرَتْ على قلبي ذُنوبي

وقد سارتْ خُطَايَ على طريقٍ
إلى ربِّ السَّنا أبدًا هُروبي

إليكَ عَقَدْتُ بالوُثقَى حِبَالي
ومن فَيْضِ الهُدَى شرَفي ومَالي

بنورِ عُلاكَ أمضي في طَرِيقي
أضاءتْ من سَنى النُّورِ اللَّيالي

* * *

الفهرس

الموضوع
الصفحة

* * *

قصائد في تعظيم الله

* * *